فى رحاب
الفلسفة اليونانية

بقلم
الاستاذ الدكتور
محمد رشاد عبد العزيز دهمش
عميد كلية الدراسات الإسلامية
بدسوق

الطبعة الثانية

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م



بسم الله الرحمن الرحيم

(يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً)

« صدق الله العظيم » [قرآن كريم]

إن قليلا من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد ، أما التعمق فى الفلسفة فسيرده إلى الدين .

فرانسس بيكون

تقاس حضارة الأمة وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها .

ديكارت

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وسيد المرسلين معلم الإنسانية محمد بن عبد الله الرحمـة المهداة والنعمة المسداة وعلى آله وأصحابه أجمعين .

• وبعـــد :

فلقد رأيت من واجبي أن أضع بين يدي القارىء الكريم جوانب من الفكر الإنساني وصفحات من نتاج العقول منذ أن بدأ عقل الإنسان يحدد معالم الفكر ويتجه نحو الحقيقة ضالة الإنسان في كل زمان ومكان .

وأن أقدم تصورات المدارس الفكرية المختلفـة في الكون والحياة والمعرفة والحقيقة وما إلى ذلك وادعاء كل مدرسة أن الحقيقة من نصيبها وحدها ، مع أننا لو عدنا إلى تاريخ الفلسفة لاستطعنا أن نقول :

إن الحقيقة لم تكن في يوم من الأيام وقفا على مدرسة دون مدرسة أو على مذهب دون مذهب أو على فكر دون فكر ، بل هي دائماً موزعة بين سائر المذاهب ومختلف المدارس .

إن الحقيقة كما يقول — بيرز — ليست ملكا لأحد وإنما البشر جميعا ملك للحقيقة .

ومن المعروف أن من طبيعة الفكر البشري أن يقصر نظره على ناحية واحدة من نواحي الوجود فهو قلما يصيب منه أكثر من جهة ، بينما تفوته منه جهات أخرى قطن إليها غيره ومن هنا كان الاختلاف وتعارض وجهات النظر وهذا شيء طبيعي لا غرابة منه .

إننا نجد مثلا فى هذه الحيـــاة من يعيش من الفلسفة وفى للوقت نفسه نجد من يعيش للفلسفة بينما نجد فى الوقت ذاته من يندد بالفلسفة ويغض الفلاسفة ولكل وجهة نظر ولكل رأى يتعصب له ويدافع عنه ويوجد هذا فى كل العصور والأمصار ورغم اعتقاد الكثير أن الفلسفة لم تعد — فى عصرنا هذا — بضاعة رائجة لظنهم أن العلم قد خلع الفلسفة من عرشها ونزع منها التاج إلى غير رجعة ، فمازلت أعتقد أن العالم الآن فى أشد الحاجة إلى رسالة الفلسفة الحقة حتى تكفكف من غلوائه وتهذب من ماديته وتنتشله من سقطاته ، وتجعل الإنسان يحسن — على حد تعبير أرستبس — القدرة على العيش فى اطمئنان ومن غير خوف مع كل الناس .

ولو عاد العالم إلى الفلسفة لوجد فيها غـــذاءه الروحى وبلسمه الشافى ولسارت قافلته نحو مرفأ السلام وشاطىء الأمان ولأدرك بادىء ذى بدء أن مبدع هذا الكون أو مبدع الكل على حد تعبير ابن سينا إنما هو الله الواحد الأحد فصلة أننى من أجل هذه الغاية النبيلة ومن أجل عشاق المعرفة وطلاب الحقيقة أقدم هذه الصفحات من الفكر الفلسفى فى العصر القديم .

ولقد حاولت — جهد الطاقة — أن أقدم أفكار الرعيل الأول من مفكرى الإنسانية فى رداء القرن العشرين وبأسلوب معاصر وأن أتبع مبدأ تيسير المـــادة لا تبسيطها ، ذلك لأن التيسير يولد الحافز ويحيى الإرادة ويوقظ الدافع وينعش الفكر أما التبسيط فإنه قد يضعف العزائم ويوهن الهمم ويدفع إلى الملل ويهبط بالمادة الدسمة إلى المستوى الأدنى ويؤثر على الفهم كذلك حاولت — جهد الطاقة أيضا — أن أبتعد عن العبارات المعقده

فى أسلوب الفلاسفة وذلك قصد اعطاء ـ فى دقة وأمانة ـ صورة واضحة لأفكارهم وآرائهم وتصوراتهم ، وحتى لا يدير القارىء الكريم ظهره لهذا الكتاب إذا ما قدمت مادته فى ثوب مهدها التاريخى هذا ودون مساس بالمصطلحات الفلسفية المتعارف عليها التى لا يجوز استبدالها أو التحريف فيها أو الزيادة عليها أو الانتقاص منها .

هذا والله أسأل أن يحقق الآمال وأن ينفع عشاق المعرفة بهذا الجهد المقل وأن يوفقنا لخدمة الدين والعلم والوطن والإنسانية جمعاء .

« ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا »

هذا وبالله التوفيق ؟

القاهرة فى رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ

الموافق يوليو سنة ١٩٨٢ م

دكتور

محمد رشاد عبد العزيز محمود

نشأة التفكير الفلسفى

ظل الإنسان فى حياته البدائية مشغولا بتحصيل مايحفظ بقاءه من ضرورات الحياة ومقومات الوجود .

وكما يعمل قانون التطور عمله فى أى كائن حى عمل ذلك القانون عمله فى الإنسان نخطا به قليلا رويدا رويدا من الوقوف عند حد معين وتصور ضيق فى شئون الحياة إلى نزوع آخر يرتقى به ويرتفع بإنسانيته ـ ولو قليلا ـ عن حالته البدائية الفطرية .

وكان من الطبيعى أن لايتيسر للانسان ذلك إلا عندما يحس ويشعر ماشغل نفسه به من مقومات مادية لحياته قد استقر له الأمر فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها فتيسر له من الفراغ مايحمله على قرض الشعر[1] وأخذ ينظر إلى هذا الكون حيث رأى بعينه النجوم المتألقة والشمس المشرقة والرياح والأمطار والجبال وفيضان الأنهار وأحس بما حوله من ظواهر متعددة تبدو فى الظاهر متناقضة ، فأخذ يحلم بهذا الكون الذى يحيط به والذى يبعث فى النفس اللذة والخوف فى آن واحد ، ولكن ماذا عساه أن يقول عن ظواهر الكون ، لكى يرضى خياله الساذج سوى أساطير ينسجها له الخيال فيرويها لتكون له عقيدة وأدبا وعلما وهكذا كانت « الميثولوجيا » أول الأمر ثم يمضى الزمن فإذا الخيال تضيق دائرته وإذا العقل يتسع فكره وإذا به ينتقل من حياة تملؤها الضرورات القاسية إلى حياة يمازجها شىء من ترف الفكر وإبداع الفن /

(١) ص ١٧ — ١٨ الفلسفة اليونانية د . محمد عبد الرحمن بيصار .

الفصل الأول

(الفكر ما قبل الإسلام)

كى ندرس الفكر البشرى فى تطوره وامتداده على العصور قبل الاسلام لابد أن نضع خريطة تحدد المراحل التى مر بها هذا الفكر من ثنايا الأديان المنزلة .

ذلك أن الحقيقة التى لم يعد هناك ريب فى صدقها أن البشرية بدأت موحدة وأن الإنسان الأول فيها كان نبيا وأنها ظلت على مدى العصور تتنقل بين التوحيد والشك، وبين الإيمان والإلحاد، وبين مفهوم السماء والمفهوم البشرى.

وليس صحيحا ماتذهب اليه دراسات الأديان المقارنة المعاصرة ، وجلها تقوم على أساس تأكيد غاية واحدة معروفة لخدمة الفكر البشرى واعلائه على الفكر الأصيل المتصل برسالات السماء .

وأمامنا نقط أربعة مضيئة على طريق طويل : هى الحنيفية دين إبراهيم، واليهودية دين موسى والنصرانية دين عيسى والإسلام دين محمد وفيما بينها تحرك الفكر البشرى حركته التى نشأت عنها مختلف المذاهب والدعوات، التى حملت مختلف الشبهات والتحديات التى عادت فطرحت نفسها مرة أخرى وبقوة فى وعاء الاسلام بعد أن جاء حاسما وقاطعا وفاصلا بين عهدين : عهد الفكر البشرى باضطرابه وتضاربه وخلطه بين الحقائق والأباطيل ، والهدى والزيف وبين عهد الفكر القرآنى الربانى الخالص الذى بسط مختلف الحقائق ورسم

منهجاً كاملا للعقيدة والمجتمع وأعطى الإنسانية دستوراً كاملا واضحاً مجيباً عن كل الأسئلة الحائرة والشبهات المضنية حول القضايا الكبرى التي شغلت وماتزال تشغل الإنسان :

"الحقيقة الإلهية : حقيقة الكون : حقيقة الحياة : حقيقة الإنسان وعلاقة هذه الحقائق بعضها ببعض".

لقد كشفت الأديان المنزلة عن هذه الحقائق وقدمت للانسان إجابات صريحة واضحة وساطعة في هذا المجال بعد أن وضعت أمامه تفسيراً صحيحاً لمدى مقدرته في فهم عالم الغيب عن طريق عقله وحواسه ووجدانه ، وبذلك أعفته من جهد لاطائل تحته في مجال الميتافيزيقا كلها ، ووجهته إلى مجال الحياة والبناء والإنشاء وحشدت له كل جهده وعقله .

ولكن « الإنسان » لم يشأ أن يتقبل هذا المنهج الرباني تقبلا كاملا ، وأباح لنفسه الحق في أن يصل عن طريق أدواته القاصرة إلى فهم هذه الحقائق فنشأ بذلك هذا (الفكر البشري) الذي تجاوز كثيراً حدود قدراته وحدود معطياته التي قدمتها له الأديان المنزلة .

ولقد كان في استطاعة العقل البشري اهتداءاً بالوحي ورسالات السماء أن يصل إلى ماقررتههذه الأديان وأن يجد مااستطاع استخلاصه مطابقاً لما جاء به الرسل والأنبياء . ولكن الأسلوب الذي سلكه الانسان : ببشريته وأهوائه ومطامعه وعجزه عن التحرر من عواطفه وغرائزه ، لم يصل به إلى الحقيقة وإنما وصل به إلى محاولات التحرر من حدود الله والتخلص من الضوابط التي وضعها منشيء الإنسان لتكون قوة له ، وحماية لوجوده ، ودفعا له إلى الطريق الأسمى ، طريق التقدم ماديا وروحيا ، لتحقيق الهدف الأسمى من وجوده على الأرض خليفة لله وسيداً للكون ومسيطراً على كل هذه المعطيات تحت حكم الله وفي إطار شريعته .

ولكي ننطلق من مدخل واضح ، فان علينا أن نبدأ من نقطة متقدمة : هو بعثة نبي الله إبراهيم عليه السلام بحسبانها ملتقى الديانات الثلاث الكبرى التي مازال قائمة في العالم اليوم وبوصفه أبي اليهود والمسيحيين والمسلمين : وأبي الأمم القائمة في هذه المنطقة كلها ومن بينها العرب .

وفيما بين دعوة إبراهيم : « الحنيفية السمحة » وبين رسالة الاسلام الخاتمة على يد محمد صلى الله عليه وسلم نجد المرحلة الحافلة بالأديان السماوية من ناحية وبالفكر البشري من ناحية أخرى ونجد ذلك الخلط والإضافة والحذف والتزييف والتشكيل .

فابراهيم (أولا) هو نقطة الارتكاز التي ارتبط بها الاسلام واعتبر نفسه متصلا بها ومكملا لها .

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .

فابراهيم هو أبي التوحيد الخاص في أمة تشكلت بين العراق حيث ولد وفلسطين ومصر حيث رحل والجزيرة العربية حيث رفع القواعد من البيت واسماعيل وأنشأ أمة العرب العدنانية القرشية الهاشمية التي أنبتت محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء .

ومن ابراهيم : جاء اسماعيل جد العرب والمسلمين واسحق جد اليهود والنصارى . وفي هذه الأمة جميعاً نزلت رسالات السماء ولأمر ما أصبحت هذه المنطقة التي تحرك فيها ابراهيم بين العراق والشام ومصر والحجاز هي أرض الأديان ففي الشمال نزلت اليهودية والنصرانية وفي الجزيرة نزل الدين الخاتم : الإسلام :

وما تزال اليهودية والنصرانية والإسلام هي الأديان الكبرى ذات الصلة بالسماء القائمة على الأرض بينما كل ما سواها هو من أديان الأرض وفلسفاتها وعقائدها البشرية .

وإذا كانت اليهودية والنصرانية قد أصابها من التغير ما انحرف بدعاتها عن الحقيقة الأصيلة أو اختفت كتبها السماوية أو اضطربت مفاهيمها فانما جاء ذلك نتيجة إتصالها بالجذور الوثنية والاثنينية والمعددة من فلسفات الهند واليونان ومصر القديمة أي الفكر الشرقي ذي الجذور الغنوصية والفكر الهليني ذي الجذور المادية والمعددة مما أخرجهما عن طابعهما الرباني الذي جاء به موسى وعيسى عليهما السلام .

وقد أشار القرآن إلى ظاهرة التحريف والخروج على الأصول التي جاءت بها الأديان من علم ، ووصف هذا التحريف بالبغي حين جاءهم العلم بغياً بينهم ومن هنا نشأ الفكر البشري .

ولقد تجمعت هذه القوى الضارية من الفكر البشري مرة أخرى بعد الإسلام واقتحمت حرمه وحاولت أن تدمره وأن تخـــرجه عن أصالته وربانيته وتوحيده وشكلت في أعماقه بضع وسبعين فرقة ، غير أن خاصية الإسلام كانت قد صيغت صياغة خاصة تحميها من الزيف وترد عنها الدخيل وتحميها من الإحتواء ، وتجعل له القدرة على أن تدفع عن نفسها وتتجدد من داخلها وتعيد تشكيل نفسها بالتماس جذورها وينابيعها الأولى وظهر على خلال المدى الطويل عشرات من مجددي الإسلام ومصححي مفاهيمه والأئمة الهداة الذي صادموا هذا الفكر الدخيل ودمروا قوائمه وكشفوا عن زيفه ومزقوه شر ممزق .

وكانت جولة ضخمة عاصفة ثم لم يلبث الإسلام من خلال فترة ضعف

شديدة وأزمة عنيفة ان واجه نفس الحملة الضارية فى عصرنا هذا ومنذ قرن أو يزيد ومايزال الإسلام قادراً على أن يكشف جوهره ويزيل عن نفسه كل زيف ويدفع عن حقيقته المضيئة المشرقة الغبار والسحب والشبهات .

(٣)

كان نبى الله ابرهيم علامة على المرحلة التى بدأت به وختمت برسول الله محمد وكان علامة على المنطقة والأمة وأرض الأديان :

ولا ريب أن دين إبراهيم والأنبياء من أبنائه جميعاً كانوا يحملون أصول الفكر الإنسانى المنزل من السماء والموحى به من عنـــد الله والقائم على الحق والعدل ، هذا الفكر الذى تبلور من بعد فى صورة عالمية ـ بعد إن كانت قوميـــة ـ وفى صورة كاملة ، فى الإسلام خاتم الرسالات السماوية وحفظها القرآن خاتم الكتب السماوية وجاء بها محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

ولا ريب أن هذه الأديان الأرضية والفلسفات والعقائد والمذاهب المتعددة التى ظهرت بين اليهودية والمسيحية وبين المسيحية والإسلام قد استمدت خير مافيها وأصدقه وأقرب إلى الفطرة والتوحيد والعدل من رسالات السماء . غير أنها ـ أى هذه الأديان الأرضية والفلسفات قد شابها اضطراب كثير ودخل عليها زيف كثير ، شكل منها ما أطلق عليه اسم « الفكر البشرى » : وهو ما تعارض فى بعض أصوله وفروعه مع الفكر القرآنى الذى يعد بمثابة الصورة النهائية للوحى الربانى ، والذى يحمل فى تضاعيفه « المنهج الإنسانى الأمثل » : للحياة والكون والمجتمع : عقيدة وشريعة وأخلاقا .

لقد اصطرعت البشرية طويلا من خلال فكرها قبل الإسلام ، فلما جاء بالحق وضع الحدود والفواصل ، ورسم النقاط على الحروف ، وأجاب

على كل الأسئلة وشفى الصدور من كل زيغ وإنحراف وخطأ وقدم للنفس الإنسانية فطرتها الخالصة القائمة على التوحيد والأخلاق والإيمان بالغيب .

غير أن الفكر البشرى لم يستسلم إزاء هذه الموقعة الفاصلة بين عهدين فى تاريخ البشرية ، عهد جاهليتها وعهد إسلامها لله . لم يستسلم الفكر البشرى بوثنيته واثنينيته وتعدده وإلحاده وإباحيته وعاد يتجمع من جديد ليضرب الإسلام والفكر القرآنى فى أعماقه فظهرت عشرات الفرق والدعوات والمذاهب من داخل الاسلام تحاول من خلال إطار زائف أن تحتضن هذه الفلسفات والوثنيات وتزاحم بها منهج التوحيد الخالص وتتخذ من أسلوبى المنطق العقلى أو الالهام الروحى سبيلا إلى إعلاء مفاهيم التحلل والاباحة والخروج عن حدود الله وإطراح الأخلاق والتوحيد والاندفاع إلى زيف ما أطلق عليه إسقاط التكليف أو إلغاء البعث والجزاء إلى غير ذلك مما حملته الفلسفتين اليونانية والغنوصية إلى الفكر الاسلامى من حطام الشكوك وركام الأوهام .

وإذا كان الفكر « القرآنى الاسلامى » قد استطاع أن يدافع هاتين الفلسفتين فان لوناً آخر من ركام الفكر البشرى قد حاول أن يلتمس له مكاناً داخل الاسلام .

ذلك هو فكر الأديان البشرية ويتمثل فى جماع إنحرافات الأديان السماوية وتحللها من أصولها الأصيلة وامتزاجها بالفلسفات الهيلينية والغنوصية على السواء والذى تشكل من بعد فى بيئة الفكر الغربى .

وقد أشار القرآن إلى ظاهرة التحريف فى الأديان السماوية والخروج عن الأصول التى جاءت بها من شرائع وعلم ووصف هذا التحريف بالبغى :

وقد كان الناس قبل هذا التحريف أمة واحدة ثم اختلفوا حين جاءهم العلم

بغيا بينهم ومن هنا نشأ الفكر البشرى . القائم على الوثنية والتعدد والاباحة. بقول الله تعالى فى سورة البقرة (٢١٣) .

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه . وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم » .

(٤)

كان نبي الله إبراهيم علامة على المرحلة التى بدأت به وختمت برسول الله محمد ، وكان علامة على المنطقة والأمة وأرض الأديان ومن خلاله تشكلت مرحلتان :

(١) مرحلة اليهودية : وقد امتدت منذ رسالة موسى عليه السلام إلى رسالة عيسى عليه السلام فى فترة لا تقل عن ألف وخمسمائة عام .

(٢) مرحلة المسيحية : وقد امتدت من رسالة عيسى عليه السلام إلى مجىء محمد صلى الله عليه وسلم فى فترة لا تقل عن ستمائة عام .

١ ـ جاء موسى عليه السلام إلى بنى إسرائيل بالتوراة : فيها هدى ونور وهى شريعة كاملة : وتعد التوراة أول كتاب نزل من السماء ، أما ما أنزل على إبرهيم وغيره من الأنبياء فما كان يسمى كتباً بل صحفا[1] .

والديانة الموسوية المنزلة بالتوراة تقوم على أساس التوحيد والايمان بالله (٢)

---

(١) الشهرستانى فى الملل والنحل . (٢) [illegible]

الواحد ، رب العالمين ، ولها شريعتها التى تضمنتها الألواح (وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلا لكل شىء) .

غير أن هذا الدين لم يلبث أن تغير ولم تعد التوراة المنزلة الصحيحة هى مصدره الوحيد ولكن أصبح هناك توراة مكتوبة : أشار إليها القرآن الكريم حتما أشار إليه من تحريف الكتاب وما نص عليه من أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من الله ، وجعله « قراطيس » يبدونها ويخفون كثيراً .

ثم نشأ لهم مصدر آخر هو التلمود الذى كتبه أحبار اليهود حوالى عام ١٥٠ بعد الميلاد ثم جاء كتابهم المشنا والجمارا ثم جاءت بروتوكولات صهيون فى العصر الحديث إضافة الى هذه المصادر .

وأبرز الانحرافات التى أصابت اليهودية : أنها أصبحت بالحذف والاضافة عن المصدر الأصيل .

(أولا) ديانة عنصرية مقفلة على أهلها تقوم على شعب خاص ترفض غير أهلها وتحتقرهم : فالديانة اليهودية ليست دينا تبشيريا ولا انسانياً عاماً .

(ثانيا) اعتبار اليهود أنفسهم « شعب الله المختار » ومن سواهم من البشر (جوييم) أى (أميون) يحل خداعهم وسرقتهم وقتلهم .

(ثالثاً) إنكار الآخرة والبعث : والقول بأنه ليس فيما وراء هذا العالم عوالم : وان الجزاء (ثواباً وعقاباً) يقع فى الدنيا والحياة الدنيا فى كتابهم هى عالم الإنسان وربما كان البعث عندهم هو عودة دولتهم .

(رابعاً) الإله عندهم : « يهوه » إله الحرب والإنتقام وهو إله خاص بهم وحدهم وليس إله الناس جميعاً ، وهو إله قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس

إله كل الشعوب بل إله بنى إسرائيل وحدهم وهو بهذا عدواً للآلهة الآخرين كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى[1] .

وهو ليس بمعصوم وكثيراً مايقع فى الخطأ . وقد وقف موسى منه موقف الناصح . وإلى هـــذا المفهوم تردكل صور الوحشية والقسوة فى معاملة غير اليهود فى السلم والحرب .

ولايقر مفهومهم الإله الواحد : إله الخلق أجمعين ، وإنما يعبدون مايسمى بإله إسرائيل :

(خامساً) إتجه الفكر اليهودى إلى التجسيم والتعدد وعبادة الأصنام والإعتقاد فى السحر والأرواح والشياطين وهم لم يتخلوا عن عبادة العجل الذهبى حتى بعد رسالة موسى .

(سادساً) لليهود مسيح ينتظرونه وهو غير المسيح عيسى على السلام ، وهو ملك وليس نبياً ، ملكا فاتحاً من نسل داود يسمونه ابن الله هو المنقذ الذى يعيد مجد إسرائيل ويجمع اشتات اليهود فى فلسطين .

أما التوراة فقد ثبت أن النصوص الموجودة الآن هى التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وهناك عشرات من النصوص تؤكد هذا المعنى وأهمها :

دائرة معارف لاروس التى تقول بالنص : [موسى ولد ١٥٧١ وتوفى ١٤٥١ أسس مدنية ودينا ، ولا نملك الكتاب الحقيقى لشريعته ، فقد نسبت إليه التوراة أو الكتب الخمسة الأولى من الكتاب المقدس ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لا نزاع فيها من الحواشى والتنقيحات ومن علاقات أخرى تدل على أنها ألفت بعد الزمان الذى مات فيه موسى بعهد طويل .] ا . هـ

---

(١) عن تعريف الدكتور أحمد شلبى : اليهودية

وفيما بين اليهودية والمسيحية مسافة ألف وخمسمائة عام ظهرت خلاله أديان بشرية ومذاهب ونحل وفلسفات متعددة :

كانت البرهمية موجودة في الهند قبل اليهودية أو موازية لها فقد ثبت أن كتابها (الفيدا) قد وضع قبل الميلاد بألف وخمسمائة سنة . ثم تجددت البرهمية في القرن الثامن قبل الميلاد .

وفي القرن السابع قبل الميلاد ظهر (زرادشت) في فارس مجدداً للمجوسية .

وفي القرن السادس قبل الميلاد ظهر في الهند (بوذا) (٥٦٠ ق.م) معارضاً للبرهمية .

وفي نفس القرن السادس قبل الميلاد ظهر كنفوشيوس في (٥٥٢ ق م) .

وقد حمل هذا القرن السادس مطالع الفلسفة اليونانية في أثينا ثم بلغت غايتها في القرن الرابع .

ثم ظهرت الأفلاطونية الحديثة في القرن السابق لميلاد السيد المسيح .

(٦)

والمسيحية أو النصرانية هي الدين الذي أنزله الحق تبارك وتعالى على سيدنا عيسى بن مريم وكتابه الإنجيل . وقد جاءت النصرانية مكملة لليهودية ومصححة لبعض ما انحرفت إليه من أخطاء ومخففة لبعض ما جاء بها من قيود وكما جاءت اليهودية إلى بني إسرائيل فقد جاءت المسيحية أيضاً إليهم بعد ألف وخمسمائة عام ومن خلال ركام ضخم من الإنحراف والزيف والتغيير والتبديل .

وإذا كانت اليهودية في عقائدها الأصلية تقوم على ما قامت عليه جميع الأديان المنزلة :

(١) توحيد الله الواحد إله الناس جميعاً .
(٢) والبعث والجزاء والحساب .
(٣) إقامة شريعة الله في الأرض .

فإن المسيحية وهي من عند الله لم تكن تختلف عن اليهودية ولا عن الأديان المنزلة من قبلها فهي دين توحيد مطلق يعترف بالله الواحد الأحد وإن عيسى نبي مرسل من عند الله .

كذلك أجمعت اليهودية والمسيحية ، وأجمعت التوراة والإنجيل على التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للأديان والرسل ، داعية معتنقيها إلى الإيمان به .

وهناك حقيقة أساسية فى الرسالة المسيحية إنها جاءت لتصحيح مسار الديانة اليهودية ولذلك فهي ليست ذات شريعة خاصة وإنما هي وصايا وأخلاق . وان هذه الوصايا إنما قصد بها تخفيف جشع اليهود وإنصرافهم إلى المادية الخالصة . فهي دعوة إلى التحرر من المادة والزهد فى الدنيا والتطلع إلى الجوانب الروحية القائمة على الرحمة والخير والسماحة والحب وهي فى مجموعها تنقض اليهودية فى واقعها بعد أن خرجت عن أصلها الأصيل .

وقد جاءت حياة عيسى فى مجموعها معجزة كبرى : وحفلت بالآيات ، فقد ولد من غير أب ، واختلف الناس فى أمر مولده وأمر موته .

وفى عديد من مواقف حياة عيسى وموته تنكشف الحقائق إلى زيف الفكر اليهودى الذى خرج عن رسالة السماء فخلق عيسى من غير أب هو دحض للنظرية الفلسفية التى تقول بالعلة والمعلول التى لا تستطيع أن تحيط بمفهوم قدرة الله القادر على أن يخلق بغير علة سابقة : وأنه هو الذى وضع النواميس التى تربط الأسباب بمسبباتها وهو القادر على أن يخرقها ويتجاوزها فتوجد المسبب دون أن يوجد السبب .

وكان الفكر اليهودي البشري الذي إنحرف عن أصوله قد أنكر الروح واعتقد أن الإنسان مادة خلقت من مادة فأراد الله أن يخلق إنسان دون أن تكون المادة أساساً له[1] .

ومن الحق أن يقال أن النصرانية كانت تصحيحا مباشراً لإنحراف اليهودية فقد حرف بنو إسرائيل شريعة موسى وجعلوا همهم جمع المال وامتد هذا التفكير المادي إلى العلماء والرهبان فأخذوا يحرضون العامة على تقديم القرابين والنذور للهيكل رجاء أن يحصلوا على الغفران وربطوا الغفران برضا الرهبان ودعائهم . وتعمقوا في المادية وبعدوا عن الروحية ، فأنكر فريق منهم القيامة والحشر ، ومن ثم أنكروا الحساب والعقاب ، فانغمس الكثيرون منهم في متاع الحياة الدنيا غير خائفين من عاقبة ، ولا متوقعين حسابا »[2] .

ولذلك قاومت المسيحية هذه المادية الغالية ووساطة الأحبار .

(٧)

غير أن النصرانية لم تلبث أن إنحرفت بعد أن عبرت إلى أوربا فاستقرت في الدولة الرومانية ذات الحضارة الوثنية والفكر الهليني والقانون الروماني ، وفي هذا الجو بكل قيوده وتحدياته سيطرت المسيحية على أوربا وسيطر عليها الفكر البشري القديم واحتوتها الفلسفتين اليونانية والغنوصية جميعاً فأخرجتاها عن الرسالة السماوية المنزلة : وكان أخطر ما أصابها من تحريف أفكار ثلاثة :

(أولا) فكرة التثليث وألوهية المسيح .

(ثانياً) فكرة الخطيئة والصلب باسم التكفير عن خطيئة البشر .

(ثالثاً) الرهبانية والإقامة في الصوامع .

---

(١) أبو زهرة وأحمد شلبي: محاضرات في النصرانية للأول وكتاب المسيحية للثاني
(٢) شلبي نفس المصدر

وإذ ذاك تغير موقفه، فلم يعد عبدا بذله قانون الحياة بل يساهم في تعديل قانون الحياة[1]، وأخذ يفكر في خلق السموات والأرض ومافيها من مشاهد وتغيرات وحوادث وأحداث فأثار هذا كله في نفسه الدهشة والاستغراب فأنعم النظر فيها مريدا بذلك أن يصل إلى معرفة أسبابها وعللها، فأخذ يفرض لذلك الفروض ويقيم الأدلة والبراهين رغبة في الوصول إلى حقائقها وأسباب وجودها[2]. ودفعته هذه الدهشة إلى أن يتساءل ماهذا الكون، وكيف نشأ؟ ومن أين أتى؟ ومامصيره؟ ومهما كان الإنسان بسيطا أو ساذجا، فإنه لابد من أن يتعجب، ويندهش ويتساءل. وليس بيننا من لم تؤرقه يوما بعض المشكلات حول مصيره، أو حريته، أو قصور معرفته أو شقاء حياته؟ أو قلق ضميره أو فناء وجوده، وقديما قال أرسطو — فيلسوف اليونان الأكبر — أن الدهشة هي الأم التي أنجبت لنا الفلسفة[3].

فأعيننا تشهد الشمس وتتملى بمنظر النجوم التي تلمع في جوف السماء. فيثور في أنفسنا شعور التعجب من ضخامتها وعظمتها فتندفع إلى دراسة العالم المحيط بنا بما أتيح لنا من وسائل طلبا للمعرفة وتخلصا من شعور الجهل الذي يجده الانسان في قرارة نفسه: هذه المعرفة التي ينشدها الانسان والذي يرمي من ورائها إلى معرفة حقائق الأشيـــاء وعللها ويحاول التوصل إلى مايرضي غريزة حب الاستطلاع، تلك الغريزة التي تدفعه دائما إلى تعرف

---

(١) ص ٢ — ٣ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين — زكي نجيب — طبعه خامسة.

(٢) ص ٧ تاريخ الفلسفة اليونانية د. عوض الله حجازي.

(٣) ص ٣ مبادىء الفلسفة. رابوبرت ترجمة أحمد أمين.

الأشياء والبحث عنها وعلاقتها بعضها ببعض ، أقول أن هذه المحاولة هى ما نسميها « بالفلسفة » .

أن الفلسفة بمعنى من المعانى هى تلك الروح التساؤلية التى تقترن دائما بأداة الاستفهام الكبرى لم ؟ أو لماذا ؟ – والفيلسوف هو ذلك الرجل المتسائل الذى لا يملك سوى أن يقف ذاهلا أمام أسرار الوجود ، وكأنما هو طفل صغير يشهد العالم للمرة الأولى فلا يكاد يكف عن أثاره السؤال ولا يكاد يفتح فمه إلا لكى ينطق بكلمه لماذا ؟ ولقد كان الدافع للانسان على حل أسرار هذا العالم أولا مايرجوه من المنفعة من وراء ذلك ، ولهذا قيل أن المصريين هم واضعوا أساس علم الهندسة لما ألجأتهم الحاجة إلى تحديد ما يمتلكه الأفراد أثر فيضان النيل السنوى ولكن الانسان اتجه بعد ذلك بطلب المعرفة للمعرفة ذاتها لا قصدا للفائدة العملية ، فالفلسفة شوق وجد وراء معرفة الأسباب الخفية للأشياء للتوفيق بين أرائنا وأعمالنا وهذا هو قصدنا فى الحياة فليس ثمت غرض إلا الفرار من الجهل والوقوف على الحق وكشف النقاب عن باطل تقنع بحجاب سخيف يوهم أنه الحق .

يقول أحد الفلاسفة المحدثين : –

ان الشخص الذى يتصف بالروح الفلسفية إنما هو ذلك الانسان الذى يملك القدرة على التعجب من الأحداث المألوفة وأمور الحياة العادية ، فيتخذ موضوع دراسته من أكثر الأشياء عمومية وابتذالا[1]

---

(١) مبادىء الفلسفة والأخلاق : د . زكريا إبراهيم .

تطور التفكير الفلسفي

يحلو لكثير من الباحثين الغربيين أن يرجعوا نشأة الفلسفة إلى طاليس الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد وفى رأيهم أن الفلسفة لم تكن معروفة قبل ذلك التاريخ ويكون من الغريب والأمر كذلك — أن تكون الإنسانية قد ظلت كل هذا الأمد الطويل بدون فلسفة إلى أن قام فى أسيا الصغرى على حين فجأه مفكرون يونانيون تمخضت أذهانهم عن بعض الأفكار الفلسفية ؟

حقا أن التفكير الفلسفى الصحيح — كما لاحظ هيجل — لم يظهر إلا بعد أن فرغت الإنسانية من مطالب الحياة المادية ومستلزمات الصراع فى الكون فمن الطبيعى أن لا يتيسر للانسان ذلك إلا عندما يحس ويشعر بأن ماشغل نفسه به من مقومات مادية لحياته قد استقر له الأمر فيه وأن المقادير فى أمور العيش وتأمين البقاء قد ألقت إليه بزمامها[1] .

ولكن من المؤكد أن الأسطورة قد مهدت للفلسفة ، فكان لكل شعب من الشعوب خرافاته الحيوية التى كانت تشبع حاجته إلى الفهم وميله إلى المعرفة . هـــذا إلى أن — كثيرا من فلاسفة الغرب يعترفون بأن فلسفتهم تأثرت بالتقاليد الشرقية سواء كان ذلك فى نشأتها أو خلال مراحل تطورها[2] وبناء على ذلك تقرر أنه ليس لتاريخ الفلسفة نقطة انطلاق معروفة لأن التفكير الفلسفى لم يكن فى يوم من الأيام وقفا على جماعة دون جماعة وأنه حق إنسانى لاعلاقة له بمسائل الجنس أو الدين أو اللون .

---

(١) الدكتور بيصار ص ١٨ الفلسفة اليونانية .

(٢) ص ٢ د . زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية مكتبة مصر .

وحسبنا أن نرجع إلى تاريخ الشعوب لكي نتحقق من أن الفلسفة ماثلة بالضرورة في كل زمان ومكان، سواء أكان ذلك في الأساطير الشعبية أم في الحكم والأمثال أم في التصورات السياسية التي يأخذ بها المجتمع فالتفكير الفلسفي قد نشأ بمجرد ما استطاع الانسان أن يمارس وظيفته بوصفه كائنا ناطقا يهمه أن يتعقل وجوده ويحدد علاقته بالعالم والآخرين .

ويبدو أن كلمة الفلسفة عند اليونان الأوائل كانت تعني كل معرفة محضه ولم تكن تشير إلى مفهوم خاص بل كانت تشير إلى حب الاستطلاع عامة وبالتالي فإنها كانت تعني كل جهد يقوم به العقل في سبيل تزويد صاحبه بالمعارف الجديدة — وهكذا كانت الفلسفة مرادفه للعلم .

وإذا كان الفلاسفة الطبيعيون لم يفهموا من الفلسفة إلا أنها بحث عن العناصر ولم تكن دراستها تتجاوز مسائل « نشأة الكون » فان السوفسطائين جعلوا الفلسفة ضربا من التلاعب اللفظي الذي يعين صاحبه على تأييد القول الواحد ونقيضه على السواء حتى جاء سقراط فوجه الفلسفة وجهه جديدة تدرس الأخلاق والسياسة بدلا من الاقتصار على البحث في الفلك والطبيعة فإذ وصلنا إلى أفلاطون وجدناه يجعل من الإنسان والطبيعة والمبدأ الأول موضوع الفلسفة أما أرسطو فإن الفلسفة عنده ذات إطلاقين عام وخاص فالفلسفة بالمعنى العام تنقسم إلى قسمين :

(ا) فلسفة نظرية وتشمل الطبيعيات والرياضيات والإلهيات .

(ب) فلسفة عملية وتشمل الأخلاق - السياسة - تدبير المنزل - الفن بجمع أنواعه ، ويجعل أرسطو المنطق مقدمة ضرورية لجميع هذه الفروع .

وأما الفلسفة بالمعنى الخاص فهي الإلهيات فقط فإذا وصلنا إلى الرواقيين والأبيقوريين وجدنا أن موضوع الفلسفة محصورا في الأخلاق عندهم فإذا

فإذا انتقلنا إلى فلاسفة العصور الوسطى (من مسيحيين ومسلمين على السواء) ألفينا أنهم قد صرفوا معظم جهودهم إلى التوفيق بين الفلسفة والعقيدة أو بين العقل والنقل، حتى لقد زعم بعض مؤرخى الفلسفة أن — الصبغة العامة التى اتسم بها التفكير الوسيط فى الشرق والغرب معا لم تكن سوى صبغة توقيفية أو تأليفية أو تلفيقية[1] ولاشك أن فى هذا كثيرا من المغالاة لاتقبله ولا تسلم به فإن فلاسفة القرون الوسطى قد وجهوا الفكر الإنسانى نحو كثير من المشكلات الميتافيزيقية التى لم يخض فيها فلاسفة اليونان أو التى لم يتطرق إليها قدماء المفكرين وجاء فلاسفة القرن الثامن عشر فحاولوا فصل الفلسفة عن سائر العلوم لتكون علما مستقلا قائما لذاته والواقع أن العصور الحديثة قد شهدت استقلال العلوم عن الفلسفة وأصبح كل فرع من فروع العلم له موضوعه الخاص، أما الفلسفة فقد اكتفت بموضوع واحد هو العلاقة بين ماهو مادى وماهو معنوى.

وهكذا تطور موضوع الفلسفة حسب تطور الحياة وما صاحب هذا التطور من آراء ومذاهب فأصبح لكل مذهب فلسفته الخاصة فى الكون وفى الحياة.

---

(1) ص ٣٥ زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية.

أصل كلمة فلسفة

من المعروف أن كلمة فلسفة ليست عربية وإنما هي معربة عن اليونانية فقد اتفق مؤرخو الفلسفة على أنها مشتقة من الكلمة اليونانية (فيلوسوفى) التى تؤدى معنى محبة الحكمة لأن (فيلو) معناها محبة و (سوفى) معناها الحكمة وعلى ذلك فالفيلسوف المشتق من (سوفوس) هو المحب للحكمة.

يقول ابن خلدون فى مقدمته عن الفيلسوف.

وهو باللسان اليونانى محب الحكمة وهو مايراه أيضا صاحب كتاب مبادىء الفلسفه[1] حيث يقول :

فمعنى فيلسوف محب الحكمة وقد كانت كلمة (سوفوس) الحكيم فى الأصل تطلق على كل من كمل فى شىء عقليا كان أو ماديا فأطلقوها على الموسيقى والطاهى والبحار والنجار ثم قصرت بعد على من منح عقلا راقيا، فلما جاء سقراط سمى نفسه فيلسوفا أى محبا للحكمة تواضعا وتمييزا له عن السوفسطائيين. المتجرين بالحكمة.

ويشير الفيلسوف المسلم الفارابي إلى هذا الاشتقاق فيقول :

اسم الفلسفة يونانى وهو دخيل فى العربية وهو على مذهب لسانهم (فيلوسوفا) ومعناه إيثار الحكمة وهو فى لسانهم من فيلو — ومن — سوفيا — (وفيلو) الايثار، وسوفيا الحكمة.

والفيلسوف مشتق من الفلسفة وهو على مذهب لسانهم فيلوسوفوس ومعناه المؤثر للحكمة، والمؤثر للحكمة عندهم هو الذى يجعل الوكد من حياته

(1) رابوبرت ص٩ ترجمة أحمد أمين.

وغرضه من عمره الحكمة [١].

ولكن ماهى هذه الحكمة؟

يقول ابن سينا فى بيانها :

الحكمة استكمال النفس الانسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية فالحكمة المتعلقة بالأمور التى لنا أن نعلمها وليس لنا أن نعمل بها تسمى حكمة نظرية .

والحكمة المتعلقة بالأمور العملية التى لنا أن نعلمها ونعمل بها تسمى حكمة عملية[٢] .

ويبين فيثاغورس أن الحكمة شىء يعلو عن منال الإنسان وأنها خاصة بالله وحده حيث يقول :

الحكمة لله وحده وإنما للانسان أن يحد ليعرف وفى استطاعته أن يكون محبا للحكمة توافا للمعرفة باحثا عن الحقيقة[٣] .

وهذا مايراه سقراط أيضا حيث يقول لا أسميهم — يقصد المشرعين والخطباء — حكماء لأن هذا الاسم عظيم لايتصف به إلا الله وحده وإنما أسميهم محبى الحكمة[١] ، ويقول الفارابى لاحكيم إلا الأول لأنه كامل

---

(١) د الأهوانى ص ٧ معانى الفلسفة و جـ ٢ ص ١٣٤ ابن أبى أصيبعه عيون الأنبياء .

(٢) من كتاب التفكير الفلسفى فى الإسلام د . عبد الحليم محمود ص ٨ .

(٣) مبادىء الفلسفة ص ٦

(٤) ص ١٧ التفكير الفلسفى الإسلامى د سليمان دينا .

المعرفة بذاته ، وإذا كان الفلاسفة قد قصروا الحكمة على الله تعالى فحسب الإنسان شرفا أن يهوى الحكمة ويجد فى طلبها .

ولاشك أن الأصل الاشتقاقى لكلمة الفلسفة يشهد على تواضع الفلاسفة ، فلم يزعموا أنهم حكماء قد وسع علمهم كل شىء بل هم قد اعترفوا منذ البداية بأنهم طالبوا معرفة وأهل اجتهاد أو على الأصح مجرد أصدقاء للحكمة أو محبين للمعرفة لقد ارتبط مفهوم الفلسفة منذ البداية بمعانى الحكمة والتوجيه والكمال الخلقى حتى لقد كتب أحد فلاسفة الإسلام يقول .

(إن الفلسفة تنقسم إلى قسمين : الجزء النظرى والجزء العملى : فإذا كمل الإنسان بالجزء النظرى والجزء العملى فقد سعد سعادة تامة والكمال الأول النظرى منزلته الصورة ، والكمال الثانى فى العملى منزلة المادة وليس يتم أحدهما إلا بالآخر ، لأن العلم مبدأ والعمل تمام والمبدأ بلا تمام يكون ضائعا والتمام بلا مبدأ يكون مستحيلا)[1] .

---

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه طبع صبيح القاهرة ٩٥٩ ص ٤٠ – ٤١ وانظر ص ٦٣ د . زكريا إبراهيم مشكلات فلسفية .

تعريف الفلسفة

لانستطيع أن نضع تعريفا دقيقا جامعا مانعا كما يقولون لكلمة فلسفة ذلك لأنها لم تستقر على مدلول واحد طوال العصور . إنما اختلف معناها اختلافا بعيدا ، كما اختلفت مباحثها اختلافا أبعد ، فقد كانت فى بدء حياتها أما رءوما تضم إليها أنواع المعرفة كلها ، فقد كانت علوم الطبيعة والفلك والنفس فصولا من الفلسفة ، ولما اكتمل نموها أصبحت علوما مستقلة كما نراها اليوم وإذن فتعريف الفلسفة اليونانية لايصـــدق على الفلسفة الحديثة بحال من الأحوال .

فإذا عرف البعض الفلسفة مثلا بأنها تعرف الموجود المطلق أنكر أصحاب المذهب المادى هذا التعريف لأن هذا الموجود المطلق المجرد عن المادة ليس له حقيقة فى نظرهم[1] .

أنه ليس فى الاستطاعة تحديد معنى كلمة الفلسفة تحديدا عاما شاملا لجميع مباحثها فى القديم والحديث ، بل إن ذلك من الصعوبة بمكان ، وذلك لأن التعريفات تؤخذ وتشتق — غالبا — من الموضوعات التى يتناولها العلم (أى علم كان بالبحث والدراسة) — والفلسفة بالذات من العلوم التى لم تقف عند موضوع واحد بعينه ، تبحثه طوال هذه العصور التى مرت بها من منتصف القرن السابع قبل الميلاد إلى هذا العصر الذى نعيش فيه .

والسبب الذى جعـــل موضوع البحث الفلسفى يختلف هو اختلاف العصور التى مرت بها الفلسفة فلكل عصر منها له طابعه الخاص وميزته التى يتميز بها عن غيره . ...

---

(١) ص ٦ ، ٧ قصة الفلسفة اليونية أحمد أمين .

فهى عند فلاسفة اليونان الأوائل .

البحث النظرى فى العالم وتعليل ظواهر الكون .

وهى عند سقراط :

البحث عن الحقائق بحثا نظريا وخاصة عن المبادىء الخلقية من خير وعدل و فضيلة .

وعند أفلاطون :

البحث عن حقائق الأشياء وعن الجمال والانسجام الذى يوجد فى الأشياء الذى ليس إلا الخير أو هى العـــلم بالحقائق المطلقة المستترة وراء ظواهر الأشياء[1]

وعند أرسطو :

العلم بالمبادىء الأولى التى تفسر بها طبيعة الأشياء حين يتدرج العقل عند مواجهته للأشياء من عله إلى علة حتى يصل إلى العلة الأولى التى هى علة العلل أو حقيقة الحقائق[2] وفى رأى آخر الفلسفة هى :

محبة الحكمة وهذا التعريف لايشير فقط إلى الأصل الإشتقاق لكلمة فلسفة فى اللغة اليونانية ، بل هو يلمح كذلك إلى تصور لتاريخ الفلسفة أصبح واضحا منذ عهـــد أفلاطون ، وهو أن الفلاسفة الطبيعيين طاليس — انكسماندريس — هيرافليط وغيرهم — وهم فى غمرة الثقة المطلقة

---

(١) تاريخ الفلسفة العربية جميل حليبا — بيروت ص ٢٠

(٢) ص ١٤ الفلسفة اليونانية : الدكتور محمد بيصار دار الكتاب اللبنانى بيروت و ص١٢ تاريخ الفلسفية اليو نانية دكتور عوض الله حجازى طبعة ثانية .

بأنفسهم سموا أنفسهم بالحكماء فلما جاء فيثاغورس كان أول من أدرك أن المعرفة الحقيقية بكل العالم أنما هى من نصيب الاله وحده ولهذا فإن الإله وحده هو الحكيم أما الإنسان فإن عليه أن يكتفى بمحبة الحكمة[1] .

أما الفلسفة عند الكندى فإنه يقول فيها :

والفلسفة حدها القدماء بعده حدود : أما من اشتقاق اسمها وهو حب الحكمة .

وحدوها أيضا من جهة فعلها فقالوا :

أن الفلسفة هى التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة وحدوها أيضا من جهة فعلها فقالوا : العناية بالموت ، والموت عندهم موتان . طبيعى وهو ترك النفس استعمال البدن والثانى أماته الشهوات فهذا هو الموت الذى قصدوا إليه لأن أماته الشهوات هو السبيل إلى الفضيلة .

وحددها أيضا فقالوا : الفلسفة معرفة الإنسان نفسه وهذا قول شريف النهاية بعيد الغور فإنه إذا عرف الانسان ذاته عرف الجسم بأعراضه والعرض الأول والجوهر الذى هو لاجسم وإذا علم ذلك جميعا فقد علم الكل ولهذه العلة سمى الحكماء الإنسان العالم الأصغر أما ما يحد به عين الفلسفة فهو أن الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلية أنياتها وماهياتها وعللها بقدر طاقة الإنسان[2] .

---

(١) ص ٢١ — ٢٢ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية أولف جيجن ترجمة د . عزت القرنى .

(٢) أنظر ص ٢٦ — ٢٧ التفكير الفلسفى . د . سليمان دينا .

أما ابن سينا فيقول :

الحكمة — الفلسفة — صناعة نظر يستفيد منها الإنسان تحصيل ماعليه الوجود كله فى نفسه وما عليه الواجب . . . لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالما معقولا مضاهيا للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية[1] .

أما إخوان الصفا فإن الفلسفة — عندهم — أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الإنسانية وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم[2] والعلوم الفلسفية أربعة أنواع : أولها الرياضيات ، والثانى المنطقيات والثالث العلوم الطبيعيات والرابع العلوم الإلهيات والفلسفة عند فرنسيس بيكون هى :

المعرفة الإنسانية المكتسبة بالعقل)

أما ديكارت فالفلسفة عنده هى : -

البحث عن الجواهر الأساسية الثابتة والمبادىء الأولى للكائنات . ويقول الشيرازى فى كتاب (الأسفار الأربعة) أعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ماهى عليـــه والحكم بوجودها تحقيقا بالبراهين لاأخذا بالظن والتقليد بقدر الوسع الإنسانى وإن شئت قلت نظم العالم نظما عقليا على حسب الطاقة البشرية ليحصل

---

(١) تسع رسائل فى الحكمة والطبيعيات ص ١٠٥

(٢) ص ٥ مصطفى عبد الرزاق تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية و جـ ١ ص ٢٣ من رسائل أخوان الصفا طبع المطبعة العربية بمصر سنة ١٩٢٨ .

التشبه بالإله[1].

ويقول صاحب كتاب معانى الفلسفة[2] عن الفلسفة : ــ

فهى أولا نظرة شاملة إلى الحياة فى مجموعها .

وهى من جهة أخرى حل المشكلات التى تتوسط بين العلم والدين .

وهى من جهة ثالثة الآراء التى تنتهى إلى العمل والسلوك ــ مادامت سنة الحياة الحركة والنمو والإبداع .

وهكذا ترون اختلاف الفلاسفة والمفكرين فى تحديد معنى دقيق للفلسفة وذلك لأنه لما كانت فلسفة كل إنسان وثيقة الصلة بتجاربه الروحية وخبراته النفسية فقد كان من الطبيعى أن تختلف نظرات الفلاسفة حول معنى الفلسفة وموضوعها وغايتها على الوجه التالى :

أولا ــ قد تقصد الفلسفة بمعنى عام كل العموم ، فيكون المقصود بها أى تعجب يثيره العقل البشرى ، أو أية مشكلة يطرحها الفكر الإنسانى . فنحن نتساءل مثلا من أين جيئنا ، ولماذا نحن هنا ؟ وإلى أين نمضى ؟ وماهى الحقيقة ؟ وماهو الخطأ ؟ وماهو اليقين ؟ وهل هنـــاك حياة بعد الموت ؟ وما هى مكانة الإنسان بالنسبة إلى غيره من الموجودات ؟ وهل للكون غاية ؟ إلى آخر هذه الأسئلة الكثيرة التى اعتدنا أن نثيرها .

ثانيا ــ قد تعنى الفلسفة نظاما خاصا أو نسقا معينا من الاعتقاد فيكون المراد بها الإيمان بحقيقة ماقام البرهان على صحتها فى نظرنا وسواء آمنا

---

(١) جـ ١ ص ٤

(٢) الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى .

بوجود الله ، أم بحرية الإنسان ، أم بقيام نظام فى الطبيعة ، أم بقدرة العقل على المعرفة ، أم بخلود النفس أم عقيدة فلسفية أخرى . فأننا فى كل هذه الحالات، نقرر صدق قضايا نتبناها ونقتنع بها ونعيش عليها ، وحينما نكون من مجموع تلك الحقائق الفلسفية التى ندين بها نسقا عقليا متكاملا . فهنالك نكون قد استطعنا أن نصوغ لأنفسنا « مذهبا » .

وليس تاريخ الفلسفة فى صميمه سوى تاريخ بناء المذاهب وصراعها وهدمها وإعادة بنائها .

ثالثا — قد يقصد بالفلسفة رؤية الأشكال ككل ، فليس المقصود بالفلسفة دراسة الظواهر الجزئية أو الوقائع الخاصة ، بل المقصود بها النظر إلى العالم ككل أو الحكم على الوجود فى جملته فيكون الهدف الرئيسى للفلسفة أن توحد بين الموجودات فى إطار عقلى واحد يفسر شتى مظاهر الحقيقة .

رابعا — قد تفهم الفلسفة بمعنى علم أخلاق ، فيكون معناها « حكمة الحياة » ، ويكون الفيلسوف هو الرجل الذى يوجه حياته فى ضوء مايقضى به العقل وهنا تظهر الصلة الوثيقة بين النظر والعمل .

فإن الفلسفة الحقيقية لاتقنع بالمعرفة ، بل هى تريد أيضا أو تنظم حياتنا ، ومعنى هذا أن الفلسفة لاتعلمنا كيف نفكر فحسب ، بل هى تعلمنا أيضا كيف نحيا ، فهى ليست مجرد معرفة نظرية بل هى « فن الحياة » أيضا الذين يفهمون الفلسفة بهذا المعنى حريصون على احترام « التراث الفلسفى » القديم : فقد كانت الفلسفة منذ البداية علما وعملا ، أو حكمة نظرية وعملية معا .

والواقع أن المعرفة فى نظر هؤلاء شرط أساس للحكمة فنحن لانتفلسف إلا حينما نبحث عن معنى الحيـــاة والعالم وحين نحدد لأنفسنا موضعا فى صميم الكون ، حتى نعرف على أى وجه ينبغى لنا أن نحيا – وأذن فان المعرفة العقلية هى سبيلنا إلى السعادة مادامت الحكمة هى نور العقل الذى تسير على هديه فى ظلمات الحياة الدنيا .

أثر الفلسفة فى حياتنا

هل للفلسفة أثر فى حياتنا ؟ أم أنه لامنفعة ترجى منها وأن دراستها تضر بالعقيدة الدينية وهل هى كما يعتقد البعض أنها مضيعة للوقت وأنها لاتحل أى مشكلة وأنها لاتعالج إلامشكلاتها الخاصة بل إنها عجزت عن هذه المشكلات ؟ وحتى نقف على إجابة هذا السؤال لابد أن نعود إلى أقوال الفلاسفة أنفسهم ونقف منهم على الجواب الذى يزيل الشكوك عند هؤلاء الذين لا يرون فى الفلسفة كبير فائدة أو عظيم منفعة أو كبير جدوى .

ومما لاشك فيه أن المغانم الكثيرة التى جنتها البشرية من وراء الفلسفة هى التى دفعتها إلى التقدم فى كل مجال من مجالات المعرفة وأن الحضارة التى نراها ونعيشها ماهى إلا ثمرة من ثمار الفلسفة يقول ديكارت تقاس حضارة الأمم وثقافتها بمقدار شيوع التفلسف الصحيح فيها.

ويقول «شيشيرون» :

« أن الفلسفة أم المعارف ومبدعتها » .

ذلكم أن الفلسفة ترتبط كل الارتباط بمختلف نواحى المعرفة الإنسانية ولذلك كان لها أثرها الفعال ومجراها العميق فى حياة المجتمعات بمستوياتها المختلفة وعلى أشكالها الحضارية المتغيرة .

وأنتم تعلمون أن غاية الفلسفة هى معرفة الحكمة وتحصيــــل الحق والخير والجمال أو على حد تعبير الدكتور يصار يهدف التفكير الفلسفى إلى التماس الحق (فى النظر) وتوفى الخير (فى الفكر والعمل) وتذوق الجمال لأضفائه على كل مايصدر عنه من تصرفات ، وفى كل مايهور بنفسه

من مشاعر ووجدانات[1] ولقد سئل كثير من الفلاسفة عن المغنم الذى جنوه من الفلسفة وكانت إجاباتهم تعبيرا صادقا وإحساسا معبرا عما جنوه من مناغم وغنموه من سعادة .

يقول « أرسبتس » وهو من اتباع سقراط موضحا المغنم من الفلسفة أنه (القـــدرة على العيش فى اطمئنان ومن غير خوف مع كل الناس ويقول (أفلاطون) .

(الاستناد إلى شاطىء الأمان ، ورؤية البشر الآخرين وهم يتعذبون على البحر الهائج) ويقول « أرسطو » أن تفعل من غير إلزام مايفعله الآخرون من البشر عن خوف من القانون والعقاب » ويقول (أقراطيس) أستاذ زيتون مؤسس المدرسة الرواقية « الرضا بوجبه من العشب وعدم الاهتمام بالبشر[2] ، ولاشك أن هذه الأقوال كلها تؤكد قبل كل شىء سيادة الفيلسوف على نفسه وقهر هواه فهو يعرف — على عكس العامة — ماهى القيم الحقيقية وهو ـ لذلك ـ يسلك السلوك القويم دون أن يكون مجبرا على ذلك كما لا يهتم بما يلقاه من ألم أو نكد .

أن دراسة الفلسفة ومعرفة تاريخها ونظرياتها يوضح لنا مبلغ تأثير هذه النظريات فى حياة الأمم والأفراد ويكشف لنا مبلغ تأثير هذه النظريات فى حياة الأمم والأفراد ويكشف لنا الحجب عن كثير من أسرار الكون وما فيه من إبداع فى الصنعة وتناسق فى التأليف وهذا ـ بلا شك ـ من المتع العقلية ومن الفوائد العلمية التى تهذب نفوسنا وتلهب فينا العواطف الطيبة ومحبة الخير للناس جميعا ، من حيث أن معرفة الخير والشر تدفع ـ غالبا ـ إلى فعل الخير النافع والابتعاد عن الشر الضار .

---

(١) ص ٢١ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) ص ٢٣ ـ ٢٤ المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية .

أن دراسة الفلسفة وتاريخها يربي الإنسان ملكة النقد الصحيح وتقدير قيم الأشياء تقديرا عليما صحيحا .

إذ باطلاع الباحث على المسائل الفلسفية وآراء الفلاسفة والمفكرين فيها وتعرض بعضهم لبعض بالنقد والتجريح أو بالتأييد والترجيح تنضج عقلية الفرد ويرجح تفكيره ويتسع إدراكه وتتكون عنده هذه الملكة[1] .

وهذا التكوين القوى لشخصية الفرد وتأهيل ذاته بهذه المقومات الإنسانية الكاملة يهيء للانسان أن يكون أقرب إلى الحقيقة فى أى بحث يتناوله أو أى رأى يبديه ، أو حكم يحكم به فإن كان الإنسان مؤرخا - مثلا - أمكنه أن ينتفع بالفلسفة فى معرفة التيارات التى يتأثر بها المجتمع وتدفعه إلى الثورات والحركات تقدمية كانت أو رجعية مما تسبب رقيه أو نهوضه أو تخلفه وانحطاطه ،

وإن كان سياسيا أتاحت له فرصة الوقوف على طبائع النظم السياسية المختلفة وما صاحبها من أشكال الحكومات ومدى صلاحيتها أو عدم صلاحيتها لمجتمع دون آخر .

وإن كان الإنسان أديبا كذلك استعان بالفلسفة للتعرف على نفسية مستمعيه عندما يحاضرهم أو يخطب فيهم ، وكذلك فى ترتيب وسائل الإقناع لمن يخاطب وخلق المؤثرات والدوافع التى يملك بها ناصية الجماهير وزمام توجيههم والتأثير فيهم[2] .

---

(١) ص ٣٤ تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى
(٢) ٢٣ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

وأخيرا فإن دراسة الفلسفه تجعل من الإنسان رجلا خيرا لنفسه ومجتمعه بل وللإنسانية جمعاء وذلك عندما يتغلب على شهواته ولا يهتم بنوازل الحياة حين يعترض طريقه ولعل هـذا ماعناه « رينيه ديكارت » الفيلسوف الفرنسى المعروف عندما قال فى كتابه « مقال عن المنهج » .

على الإنسان أن يجتهد فى مغالبة نفسه وحد رغباته وشهواته ، لا فى مغالبة الحظ أو مقاومة القدر لأن أفكارنا ملك لنـا ، نستطيع أن نتحكم فيها كما تشاء فبهذا نستطيع أن لاتأسف على حرماتنا من الأشياء التى لانقدر على نوالها ، وعلى هذا النحو نستطيع أن ننعم بالفن و الفقر والحرية وكل أنواع السعادة » .

ولهذا فإننا نجد الصلة وثيقة بين الفلسفة وبين غيرها من أنواع المعارف .

بين الأدب والفلسفة

لاشك أن هناك علاقة وثيقة بين الأدب والفلسفة فإذا قيل مثلا إن الأدب تذوق فالفلسفة بذار هذا التذوق، وإن كان الأدب عملية خلق وعطاء فإن الفلسفة مائية الخلق وسماد العطاء وإذا رأى بعض الناس أن الأدب جسد جميل كامل فإن الفلسفة هي التي تشكل خلايا هذا الجسد وهيكله فإن الفكر قديم قدم الإنسان الأول الذي أفرزه الكهف البدائي، ففي وقفه أمام المجهول، وعندها ارتسمت علامات التساؤل الأولى على وجهه، عندها وفي تلك المنبهة ولدت الفلسفة . . . ولو ولادة بالقوة ذلكم أن الفلسفة هي السؤال تلو السؤال .

وصلة الفكر بالتعبير كعلاقة الأدب بالفلسفة فالخلق عملية تستلزم التفكير الذي يليه التعبير من هنا ترى أن الفكر يعني الفلسفة والتعبير يرتبط بالأدب وكلما كان التفكير عميقا وناضجا لما كان الأدب أصيلا وشاملا ومع أن الأدب يرتبط بالخيال والفلسفة ترتبط بالواقع فإن هذا لا يعني أن ثمة تباينا بينهما في الجذر فالخيال قد يرتدي لبوس الواقع، كما قد يتسلل الواقع في غرابته إلى ألياف الخيال، تبقى العلاقة بينهما كعلاقة الأصل بالجذور، الأدب يمد الفكر بوسائل الإبداع، والفلسفة تغذي الأدب بملاغم الحضارة، لذلك فإن أصالة الحضارة تورث أدبا راقيا بعد أن يرسخ الفلسفة في تربة الإنجاز :

بقي سؤال أخير - ماعلاقة سؤال الفكر بتعبير الأدب ؟

ولعل الجواب كامن في الإنسان نفسه، فالأدب لا يحاول الإجابة عن سؤال الفلسفة، بل يشارك في الخلق والإبداع، بينما الفلسفة تسأل لتثبت إنسانيتها وتمارس وجودها[1] .

---

(١) الفلسفة العربية عبر التاريخ، رمزي نجار طبعة ثانية ١٩٧٩ بيروت ص ٩ — ١٠ .

الفرق بين العلم والفلسفة

لقد كانت الفلسفة مرادفة للعلم ، فقد كان يراد بها كل جهد يقوم به العقل فى سبيل تزويد صاحبه بالمعارف الجديدة ، وكان العلم — عند اليونانيين الأولين — هو المعرفة المنزهة عن كل غرض ، وحسبنا أن نلقى نظرة على الفلسفة التى خلقها الفيلسوف الكبير أرسطو لكى نتحقق من أن الفلسفة عنده كانت تعنى جماع المعارف العلمية فكانت مرادفة للعلم بمعناه العام .

وقد ظل هذا المعنى سائدا فى العصور الوسطى ، فكان الفلاسفة يكتبون فى الكيمياء — والفزياء ، والطب ، والرياضيات والموسيقى والشعر وغير ذلك من نواحى البشرية وخير مثال لهذا النوع من الفلاسفة المفكر العربى الكبير (ابن سينا) الذى جمع بين الفلسفة والطب وكان شاعرا وسياسيا وموسيقارا إلى جانب كونه منطقيا وصاحب فلسفة إلهية .

ولكن المفكرين لم يلبثوا أن فصلوا الفلسفة عن سائر العلوم آملين من وراء ذلك أن يقيموا بناءها ، باعتبارها علما مستقلا قائما بذاته ولذلك رأينا حركات انشقاق متوالية فى داخل العلوم الفلسفية ، فانفصل علم الطبيعة أو الفزياء عن الفلسفة على يد كل من جاليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٢) ونيوتن (١٦٤٢ — ١٧٢٦) وانفصل علم الكيمياء على يد لافوازييه (١٧٤٣ ١٧٩٤) — واستقل علم الأحياء على يد كلود برنار (١٨١٣ - ١٨٧٨) - ثم لم يلبث القرن العشرون أن شهد محاولات انفصال كل من علم النفس وعلم الاجتماع عن الدراسات الفلسفية إذ قد حاول أصحاب الدراسات الإنسانية أن يقيموا بحثهم للظواهر النفسية والإجتماعية على أسس المنهج العلمى التجريبى . فلم يتبق للفلسفة سوى مباحث المنطق والأخلاق والميتافيزيقا

أو ما بعد الطبيعة .[1]

ولكن على الرغم من وجود علاقة بين العلم والفلسفة إلا أن هناك فروقا بينهما لا بد من معرفتها .

فرق فى الموضوع :

ولعل أول مايخطر من تلك الفروق الأساسية التى تفصل بين الفلسفة والعلوم الأخرى .

أن كل علم يلتزم جانبا واحدا من الكون يختصه بالبحث والدراسة ، ولا يكاد يمس الجوانب الأخرى ، أما الفلسفة فتتخذ من الكون بأسره موضوعا لدراستها وهى تنشد توحيد المعرفة مااستطاعت إليه سبيلا . فهذا علم النبات لا يعدو دائرة النبات ، وهذا علم الفلك لا يتجاوز أجرام السماء وهكذا سائر العلوم ، أما الفلسفة فلا تكفيها أجرام السماء ولا ظواهر الأرض بل تتسع وتسعى لتركز الكون كله فى قضية واحدة تكون مدار بحثها ، فإذا كانت العلوم تجعل ألوف الجزئيات فى قانون واحد ، فإن الفلسفة تحاول أن تجعل هذه العلوم نفسها وتخضعها جميعها لقانون واحد .

ولما كانت العلوم – كما ترى لا تتعقب ظواهر الوجود لتردها جميعا إلى أصل واحد ، وقف منها العلم فى بحثه عند حد يرسمه لنفسه ويتخذه أساسا لدراسته ، مسلما بصحته .

أما الفلسفة فلا يجيز لنفسها أن تقف فى بحثها عند عنصر من العناصر ، أو ظاهرة من الظواهر دون أن تحاول تذليلها ثم تجاوزها إلى ما بعدها ، وهكذا إلى أن تصل إلى المبدأ الأول الذى يدور حوله الوجود بأسره ،

(١) ص ٧ مبادىء الفلسفة والأخلاق د زكريا إبراهيم .

وإذا فالفلسفة تبدأ مسيرتها حيث ينتهى شوط العلم[1] .

أن كل علم من العلوم إنما يبحث فى مجموعه خاصة من المعارف وفى معلومات جزئية وقوانين معينة تابعه على قسم معين من أقسام الكون وأجزائه ، بينما نجـــد أن الفلسفة يتسع نطاقها ويمتد أفقها فيتناول جميع الأهداف وتستوعب كل الظواهر مهما تكن ، ثم تحاول تفسيرها تفسيرا كليا لا يقتصر على جزئى من جزئيات هذا العالم ، أو قسم معين من أقسامه وإنما يكون بحثها فى الحقيقة المطلقة ، والحقيقة الكلية التى لا تتقيد ولا تتعين بحد ولهذا المعنى يقول هربرت سبنسر الفيلسوف المحدث فى الفرق بين العلم والفلسفة (أن العلم هو المعرفة الموحدة توحيدا جزئيا ، بيد أن الفلسفة هى المعرفة الموحدة توحيدا كليا)[2]

إن المثل الأعلى للفيلسوف هو شخص يتجنب التخصص فى اهتماماته وتكوينه بقدر ما يحرص عليه العالم ، ومن أهم الشروط الضرورية لكى يكون النظر الميتافيزيقى مثمرا أن يكون نطاق النشاط العقلى للذهن غير محدود ومجال المعرفة شاملا ، بالقدر الذى تسمح به حدود الحياة البشرية .

ومن جهة أخرى فإن مثل هذا الإتساع فى نطاق الاهتمام يعد أمرا ضارا من وجهة نظر العالم ، لأنه قد يصرف انتباه العالم عن التركيز فى مشكلات محددة[3] .

وباختصار فإن اهتمام الفيلسوف ينبغى أن ينصب على النتائج العامة

---

(١) ص ٨ — ٩ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين ، زكى نجيب

(٢) ٣١ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٣) ص ٤٨ الفلسفة أنواعها ومشكلاتها لمنترميد ترجمة فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ .

لاعلى المعلومات التفصيلية المؤدية إلى هذه النتائج وعلى المبادىء الشاملة لاعلى أساس الإختيارات المتخصصة .

فرق فى الغاية :

أما الفرق فى الغاية فهو أن وجهة النظر العلمية موضوعية خالصة وغير مصطبغة بالصبغة الشخصية أو الانسانية لأن غاية العلم هى وصف الأحداث الطبيعية والظواهر مما فيها الانسان يصرف النظر عما يكون بين هـــذه الأحداث والظواهر وبين الانسان من رابطة أو علاقة .

أما وجهة النظر الفلسفية فإنها ذاتية ومصطبغة بالصبغة الانسانية إذ أن محورها التى تدور حوله هو الانسان وإذا عرضت الفلسفة للكون الطبيعى بالبحث فما ذاك إلا أنه مركز الانسان يؤثر فيه بنشاطه ويعرفه بعقله فغاية الفلسفة التى ترمى إليها معرفة الانسان وأصله ومصيره وعلاقته بالكون الطبيعى الذى هو مركزه الرئيسى فغايتها إذا غاية إنسانية[1].

الفرق فى النتائج :

وأخير فإن النتائج العلمية تمتاز باليقين وإمكانية البرهنة عليها بصفة قاطعة ، ذلك أن العالم يقدم لنا النتيجة ويقدم لنا معها — وفى الوقت نفسه — البرهان عليها .

على حين أن الفيلسوف يقدم لنا نتائج ليست يقينية ولا قطعية ولا يستطيع كذلك أن يقدم لنا البرهان القاطع على صحة هذه النتائج أو خطئها .

(١) ص ٣٢ من المرجع السابق

ولهذا كان أخص ما تمتاز به النتائج الفلسفية روح التردد الذى يختلف كل الاختلاف عن روح الجزم واليقين .

يقول صاحب كتاب معالم الفلسفة الإسلامية :

فإذ بحث كل عالم فى جهة من جهات الكون ؛ فإن الفيلسوف يبحث فى أصل الكون ، هل وجد من شيء ؟ أو لا شيء ؟ ؟ وهو هو حادث أو قديم ؟ وهل هو مادة صرف والروح عارض من عوارضه ؟ أو هو روح صرف والمادة صورة من صوره ؟ أو هو مادة وروح معا ؟ أو لا مادة ولا روح ، وإنما هو وهم وخيال كما تزعم فئة من السوفسطائيين ؟

وهل وجـــد الكون صدفة ؟ أو بقدرة قادر ؟ ومن هذا القادر ؟ وما صفاته ؟ ومن أى نوع تكون علاقته بالكون ؟ وهل الأفكار الحاصلة من التجربة والاستنباط خطأ أو صواب ؟ وما هو مقياس الحسن والقبيح ، والخير والشر ؟ والحق والباطل [1] .

وليس معنى اختصاص الفلسفة بطائفة من المسائل واختصاص العلم بطائفة أخرى ، أن بينهما فجوة تمنعهما من اللقاء . لا — أنهما يلتقيان التقاء تعاون وتناصر ، يمد القادر منهما يد العون إلى العـــاجز ، ويعطى الوجد المحتاج .

والعلاقة بينهما — فى الغالب — علاقة التكامل فمن أهم الوظائف التى يؤديها الفيلسوف فى العالم العقلى هى تعويض الاتجاه التخصصى للعالم بنوع من المعرفة تبلغ من الإتساع قدر ما تبلغه معرفة العالم من الضيق ، إن كلا من الميدانين يقدم إلى العالم العقلى فى عمومه عين ما يفتقر إليه الميدان الآخر ،

---

(١) الأستاذ / محمد جواد مغنيه ص ١٣ معالم الفلسفة الإسلامية .

ولو شئنا المزيد من الدقة لقلنا إن الفيلسوف يشغل مركز جهاز الإستقبال العقلى لكل نتائج العلوم المتعددة فمن أهم وظائفه تجميع كل الوقائع والآراء التى يمكن أن يكتشفها العاملون فى مختلف الميادين العلمية دون أن يكون لديهم الوقت الكافى وربما دون أن يكون لديهم الاهتمام اللازم للجمع بينها فى نسق منظم ، بل إن الفيلسوف لايقتصر على تجميع هذه المعرفة فحسب وإنما نستطيع التعبير عن مهمته بمجاز آخر فتقول إنه أشبه بمن يعشق لعبة القطع الخشبية إلى حد الإدمان بحيث لايكتفى أبدا بجمع قطع متعددة فحسب وإنما يريد تركيبها جميعا ، وذلك من جهة لإرضاء نزعته إلى تحقيق شىء ما ، ومن جهة أخرى لكى يرى مانوع النموذج أو الصورة التى ستكونها القطع وهذا هو الأهم .

فالعلم يكتفى بأن يقتطع أجزاء الصورة الكاملة — أو فى حالات أكثر يضطره ضيق الوقت وقلة الطاقة إلى ذلك — وأقصى مايفعله هو أن يجمع البعض القليل منها لكى يكون جزءا فحسب من الصورة فى إحدى الأركان الصغيرة داخل الكل ، أما الفيلسوف فيهتم بالكل أكثر مما يهتم بالأجزاء وهو يتوق إلى تكوين الصورة الكاملة إلى حد أنه قد يعمل على سد الثغرات التى لم يتمكن العلم من ملئها بعد ، ولذلك يحاول عن طريق الافتراض والاستدلال أن يصوغ صورة أكمل لطبيعة الأشياء[1] وهكذا يكمل كل منهما الآخر والفلسفة تقوم بدور الملهم للعلم وذلك مثل تلك المفاهيم الرياضة الآلية التى وضعها الفلاسفة فى القرن السابع عشر والتى ساعدت على التمهيد لعمل رجال مثل جاليليو ونيوتن وفى مجال العلم البيولوجى وهكذا يعاون كل منهما الآخر ولذا فقد يقال أحيانا إن مهمة العلم هى الكشف ومهمة الفلسفة هى التفسير .

---

(١) ص٤٧ الفلسفة أنواعها ترجمة د . فؤاد زكريا .

مما لاشك فيه أننا إذا أنعمنا النظر فى تاريخ الفلسفة لوجدنا أنه لا يمكن فصله عن تاريخ غيره من أنشطة الحياة الروحية الأخرى ، فليس هناك حدود حاسمة تفصل بين العلم أو الفن أو الدين أو الأخلاق أو السياسة ، بل هناك تداخل مستمر بين كل تلك الجوانب المختلفة من النشاط الحضاوى فلقد كان بين رجال الفلاسفة رجال دين وأهل جدل ودعاه ثورة ورجال سياسة وماشابه ذلك .

والواقع أن الفلسفة قد نشأت — فى جانب منها — عن الدين ، فليس فى وسعنا أن نستبعد من عداد المذاهب الفلسفية كل تلك الفلسفات التى خرجت بين النظر العقلى والإيمان الدينى ومادام الفيلسوف إنسانا فلابد أن يدخل فى صميم مذهبه العقلى عناصر كثيرة يرتد بعضها إلى الدين وبعضها الآخر إلى العاطفة .

ومن المعروف أن الفلسفة لم تنشأ إلا يوم أمن الإنسان بقدره العقل على المعرفة ولكن سرعان ماظهرت مشكلة حدود المعرفة العقلية وإلى أى حد يحق لها أن تمضى فى معالجة المشكلات الإلهية الغامضة ومسائل مابعد الطبيعة المعقدة ومن هنا فإن الفلسفة قد سارت فى طريقة الاستقلال حتى أن كثيرا من المفكرين رأى أن الفلسفة تتميز بنزعتها العقلية والمادية بينما الدين يتميز بإلهامه ووحيه ولذلك فإنه من الطبيعى أن يقوم نزاع بينهما .

ومنذ وجد التفلسف فى تاريخ الفكر الإنسانى عارضا للنزعة الدينية القائمة على الوحى أو التصور العقلى بدأ الانسان يفكر ويسائل نفسه أى هذين المصدرين للمعرفة أوثق وأيهما أحق وأجدر بأن نتلقى عنه معارفنا

وأن نذعن لقضاياه[1] وظهرت مشكلة العلاقة بين العقل والنقل.

وقد حاول كثير من الفلاسفة التوفيق بين العقل والنقل أو بين الفلسفة والدين يقول القديس أوغسطين (العقل يسبق الايمان والإيمان يسبق العقل ، وأنا أومن لكي أتعقل ومعنى ذلك أن لابد للإنسان أن يمتحن الإيمان بعقله قبل أن يسلم به.

فإذا ضمن صحة العقيدة الدينية التي فحصها مبدئيا ، كان أن يسلم بالأسرار التي تتضمنها بمجرد تسليم ، ثم تجيء بعد ذلك مرحلة التعقل الفلسفي للدين ، فيرتفع الإنسان من مرحلة الإيمان الساذج إلى مرتبة فهم هذا الإيمان وتعقل معتقداته ولعل هذا هو ماعناه أوغسطين حينما قال :

(معاذ الله أن يكون خضوعنا لما يعلمه الإيمان ، حائلا دون التماس علة الايمان ، لأنه لولا العقل لما كان في وسعنا أن نؤمن)[2] .

وأما القديس توما الأكويني فإنه يرى كذلك أن العقل والنقل وسيلتان من وسائل المعرفة ، وهما قد صدرا عن أصل واحد مشترك ، فإن الله هو الذي أودع العقـــل في الانسان وهو الذي أعلن للناس حقائق الوحي ، ولما كانت الحقيقة لا يمكن أن تتعارض مع الحقيقة ، فإن الحقيقة لابد أن تكون واحدة ويكون كل من العقل والايمان يؤدي إلى تلك الحقيقة الواحدة ، ولكن الانسان لايستطيع أن يصل عن طريق العقل وحده إلى كافة الحقائق الدينية ، لأن بين هذه الحقائق ما يمتنع على العقل الوصول إليه فلابد والأمر كذلك من أن يضاف الوحي إلى العقل حتى

---

(١) ص ٢٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) ص ١٨٥ مشكلة الفلسفة د . زكريا إبراهيم .

يمنى للانسان إدراك تلك الأسرار الفائقة للعقل وإذن فان العقل والنقل ليسا نقيضين بل هما يمثلان خطوتين متتاليتين تكمل الواحدة منهما الأخرى فى مجال المعرفة[1] .

ولم يختلف موقف فلاسفة الاسلام من مشكلة العقل والنقل عن موقف فلاسفة المسيحية .

فقد ذهب فريق الأشاعرة إلى أن النظر العقلى المستقل عن الوحى لا يصل إلى معرفة الحقائق الدينية ، ولكن مدرسة المعتزلة ترى أن العقل نور طبيعى منحه الله الانسان ليسترشد به فى حياته والشريعه منزلة من الله تعالى الذى وهب العقل الإنسان فكلاهما - الشريعة والعقل - من مصدر واحد فلا يمكن لهما أن يتعارضا وهذا ماذهب إليه أيضا الفيلسوف العربى المسلم أبو الوليد ابن رشد حيث رفع التناقض بين الفلسفة والدين فألف كتاب أسماه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) والخلاصة التى انتهى إليها من بحثه أن الفلسفة . حق والدين حق والحق لا يضاد الحق وإنما يناصره ويآزره ويدعمه ويؤيده ويرى ابن رشد بأن (الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعه وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والعزيزة) .

أما الإمام الغزالى فإنه يرى أن المشكلة الدينية لا يمكن أن تحل عن طريق العقل بعجزه عن الاحاطة بأسرار العالم الروحانى ولذلك فانه يقول (أن حقيقة الخالق أمر بعيد عن مقدرة العقل ، لأنه كيف يستطيع الجزء أن يرى الكل ؟ - ويتفق ابن خلدون مع الغزالى فى هذا الرأى ، فهو يرى

---

(1) ص ١٨٦ المصدر السابق .

أن كل من حاول أن يحيط بالله تعالى وصفاته فقد عجز وأخطأ لأنه هو نفسه ذره من ذرات الوجود ، فكيف تحـاول الذرة أن تحيط بالكل ؟ .

لقد ذهب كثير من فلاسفة الاسلام إلى ضروره تحديد نطاق العقل ، وتقديم حقائق الوحى على ظنون الفلاسفة والاعتراف بأن الوحى قد كفى الانسان عناء البحث الطويل الشاق (١) .

ومنذ عصر النهضة - أخذ الصراع يشتد بين الدين والفلسفة أو بين المادة والروح حيث أخذت الفكرة المادية تنمو وتترعرع وتزدهر وتقوى بينما النزعة العقلية أو النظرية الروحية تخبو وتضعف وتضمحل وتتراجع كرد فعل ، وذلك عندما احتضنت الكنيسة فى العصور الوسطى - نظريات معينة تمسكت بها وقالت عنها بأنها مقدسة واهتمت بالأبحاث الميتافيزيقية محرمة فى كثير من الأحايين الأبحاث العملية التجريبية المتصلة بالكون الطبيعى وهنا بدأ الصراع بين الدين والفلسفة يأخذ شكلا عنيفا نتيجة لظهور الاختراعات العلمية الحديثة وما أحدثته من زلزلة العقائد فى نفوس الناس وإضعاف ثقتهن بالدين وزعزعه قضاياه فى قلوبهم وظهرت فلسفات المادة والحس تلك التى لاتؤمن إلا بما هو موجود مشاهد ملموس وهنا فقد اتفق رجال الدين والفلسفة على أن يكون لكل منهما دائرة نفوذه الخاصة .

فيختص الدين بعلم المغيبات والحقائق اللامادية وأن يسد هذا الركن من أركان المعرفة الانسانية كما تختص الفلسفة بعلم المحسوسات وأن تسد هـذا الفراغ فى الناحية المادية من محيط المعرفة الانسانية

---

(١) ص ١٨٨ - ١٨٩ مشكلة الفلسفة د . زكريا إبراهيم .

كذلك[1] .

ولقد اختلف الفلاسفة فى التقريب بين الفلسفة والدين أو فى استقلال كل منهما عن الآخر : بعضهم ينادى باستقلال والبعض الآخر يرى التقريب أكثر واقعية يقول بيكون وهو يحاول التقريب بين الدين والفلسفة (إن قليلا من الفلسفة قد يتجه بعقـــل المرء نحو الألحاد وأما العمق فى التفلسف فإن من شأنه بالضرورة أن يقتاد عقول الناس نحو الدين[2]) .

ومهما يكن اختلاف المفكرين أو اتفاقهم حول العلاقة بين الفلسفة والدين أو بين العقل والنقل ومهما كان اشتراك الفلسفة مع الدين فى وضع إجابات عن أصل الإنسان ومصيره وعلاقته بالكون الذى يعيش فيه ووجود الله وعلاقة الإنسان به وخلود النفس وحرية الإرادة وعلاقة السلوك الإنسانى بالسعادة الإنسانية أقول مع هذا كله فإننى أرى أن هناك عدة أمور تفصل بين الفلسفه والدين فصلا واضحا .

فالفلسفة أكثر اهتماما بالمشكلات العلمية كأصل الكون المادى وتاريخه وقوانينه وتركيبه العام وأصل الحياة وتطورها وطبيعة العلية وما إلى ذلك ، ويمكن أن نقول : إن مجال نشاط الفيلسوف أوسع من مجال نشاط رجل الدين ، ومن ثم فإن المشكلات التى يعالجها الفيلسوف تشتمل نطاقا أوسع بكثير ، كذلك فإن الفيلسوف قد يناضل لحل مشكلات لا تهم رجل الدين إلا بطريق غير مباشر .

كذلك يختلف الميدانان فى درجة التسليم التى يأخذ بها كل منهما قبل

---

(١) ص ٢٩ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) بيكون فى كتابه (مكانة العلوم وتقدمها نقلا عن **مشكلة الفلسفة** ص ١٩٢ د . زكريا إبراهيم .

به عملياته الفكرية ، وهذا يشمل المسلمات والمصادرات وشتى أنواع الأفكار المفترضة .

ففي الفلسفة مثلا يبذل جهد كبير لتجنب التسليم مُقدما بأى شيء مالم يكن ضروريا ضرورة مطلقة ، بل إن الفيلسوف يبذل جهدا كبيرا للاحتراس من المسلمات الخفية أو اللاواعية ويشعر الفيلسوف بأن وجود مسلمات غير معترف بها هو إحدى العقبات الكبرى في وجه التفكير الواضح ومن ثم فهو يسعى على الدوام إلى تطهير فكره من أى أثر لها .

إن الدين قد يخصص مجلدات لمناقشة علاقة الله بالكون وبالنفس البشرية ولكن مهما طالت مناقشاته فإنها ترتكز على أساس اعتقاد أن الله موجود .

وقضايا الأديان التي تبدأ بمجموعة معينة من الحقائق الواضحة بذاتها والتي لاتتعلق بوجود الله وحده وإنما تتعلق أيضا بقدرته الشاملة وعلمه المحيط وحضوره في كل شيء وخيره المطلق ورعايته للكون الخ هذه القضايا أو قل الحقائق هي في نظر المؤمن أوضح في حقيقتها من أن تحتاج إلى برهان فهي تبدو واضحة بذاتها ولكنها لاتبدو كذلك في نظر الفيلسوف وإنما لابد أن يخضعها لتفكير عقله وأسس منطقة ، ذلكم أن الواضح بذاته ليس بالصفة التي يمكن أن يدلقها الفيلسوف على الأشياء بسهولة .

كذلك فإن الفارق الرئيسي بين الفلسفة والدين يكمن في هدفهما أو غايتهما القصوى ، فهدف الدين هو إعطاء إحساس بالأمان والطمأنينة لايستطيع الفيلسوف أن يعطيه إيانا أو ينتزعه منا ومن هنا فإنه يتضح لنا أن للدين هدفا عمليا أكثر من الفلسفة ويتضح كذلك أن الدين يكون - دون شك - أهم في حياة عدد من الناس يزيد كثيرا وكثيرا جدا على أولئك الذين يمكن أن تمسهم الفلسفة ولو من بعيد .

إن الفلسفة تهتم بالنظر أكثر مما تهتم بالعمل وأن الفيلسوف يواصل دائما تأملاته بإصرار سواء أدت إلى نتائج عملية — إلى أية نتائج أو لم تؤد إلى نتائج على الإطلاق .

أما المفكر الديني فإن هدفه الأول يظل دائما في إيجاد الأساس العقلي لنشاط عملي إلى أبعد حد إلى بلوغ سلام الروح وطمأنينة القلب وسعادة النفس[1] .

---

(١) ص ٣٩ — ٤٠ من الفلسفة أنواعها ومشكلاتها تأليف هنترميد ترجمة دكتور فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ نهضة مصر .

نشأة الفلسفة اليونانية

هل التراب اليوناني هو الذي أنتج الفلسفة ؟ أم أن الفلسفة نشأت في غير هذا التراب ؟ وتأثر بها الفكر اليوناني ؟

الإتجاه الأول :

يرى فريق من الناس أن التفكير الشرقي السابق على التفكير اليوناني تفكير بدائي لم يصل إلى مستوى معين من الدقة ولم يصعد إلى الدرجة التي يستحق بها أن يسمى فلسفة ، ذلكم أنه قبل أن تظهر فلسفة الأغريق في الوجود وترسل أشعتها على الكون . شاهدت آسيا تكوين كثير من المبادىء الفلسفية ونموها واتخذت مرتعا لها في أرض الفرات وبلاد فارس والهند والصين ومع ذلك فان هذا الفريق يبعد فلسفة اليونان عن كل أثر لما وجد عند الأمم الشرقية من الصين والفرس ومصر حيث أن تفكير هذه الأمم لم يصل في نظرهم إلى نظم فلسفية وإنما كان لهم بعض تعاليم توارثوها وعادات تواضعوا عليها ومعتقدات مستمدة من الكتب الدينية المختلفة مثل كتاب الموتى عند قدماء المصريين وكتاب الفيدا عند الهنود ، وكتاب الأفستا عند الفرس فكل ما أنتجته العقلية الشرقية في نظرهم هو بعض الحكم التي تحبب الناس في الزهد في الدنيا والفرار من السيادة عليها [1] .

يقول أرسطو :

أن الفلسفة لاتبدأ إلا من القرن السادس قبـــل الميلاد على يد طاليس الملطي .

ويقول أصحاب (دروس في الفلسفة التوجيهية) .

---

(١) ص ٣٩ في تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

الفصل السادس

صورة الفيلسوف

بعد تناول ميدان الفلسفة وتأثيرها بالحديث، يجب علينا الآن أن نتحدث عن الفيلسوف وهو الذى يمثل الفلسفة بشخصه : فهناك علاقات معينة تحدد إرتباطه بالفلسفة التى يمثلها . وهناك فى هذا الصدد أمور أربعة : ماهو مصدر شرعية نشاط الفيلسوف ؟ ما هو جزاء الفيلسوف ؟ كيف دخل كبار الفلاسفة ميدان الفلسفة ؟ وكيف كان يظهر، أخيراً، عمل الفيلسوف «من الخارج» ؟

حينما قام طاليس [٢٢٣] وأنكسماندريس بتأليف كتب حول طبيعة تركيب العالم، فإنهما قاما بذلك لإقتناعهما بأنهما يقدمان شيئاً أكثر جدة وأكثر صحة مما كان الناس يعتقدون فيه حتى وقتهم . وما فعلاه هذا يبدو، لأول وهلة، حدثاً عادياً، حيث أن هدف كل كلام هو الإعلام . ومع ذلك فإن هذه الواقعة يمكن أن تصطبغ إلى حد ما بصبغة التحول الجــذرى . ذلك أن العلم يرتفع بهذا إلى مقام السلطة العلمية التى تريد أن تقضى على الجهل الإنسانى المتفشى . وهنا يثار هذا السؤال : بأى حق يدعى العالم لنفسه هذا العلم ؟ لقد كان شعراء أنساب الآلهة القدماء [٢٢٤] على وعى بأنهم بحاجة إلى مصدر يحمل

(٢٢٣) نعرف أنه أول الفلاسفة اليونان، وبعض المؤرخين يرون أنه لم يؤلف كتاباً

(٢٢٤) ونذكر هوميروس وهزيود على الأخص

يستطيع أخيراً أن يسير فى الوجهة المعاكسة وأن يقول بعدم إمكان أية معرفة يقينية ، بحيث أن مشروعية كلامه تعتمد فى هذه الحالة على كونه محترما لحدود الإنسان أكثر من هؤلاء الذين يعلنون ما لا حصر له من الإدعاءات .

أما الفيلسوف الذى يدعى أنه تلقى علمه من الآلهة ، فإنه الفيلسوف الذى بقى على خط تصورات أنساب الآلهة القديمة . وهكذا كان حال بارمنيدس الذى يحكى كيف امتطى عربة الشمس وكيف قادته إلى الإلهة التى علمته العلم . وما قصيدته عن الوجود ، إذا أخذت حرفيا ، إلا كلمات الإلهة ، تماما كما كانت قصيدة هزيود حول أصل الآلهة أغنية أملتها عليه إلهات الفنون وقد ذهب هيراقليطس وأنبادوقليس [٢٢٧] إلى ما هو أبعد من هذا ، فكلاهما يفتخر بأنه كان له اتصال صميم وثيق مع الألوهية وذلك منذ البدء . ولا نفهم هذا إلا حينما نرى هيراقليطس يؤكد أعظم تأكيد على أنه ، على خلاف كافة الناس ، العالم الوحيد ، وأن عباراته قد صيغت على طريقة نبوءات الكهنة [٢٢٨] . أما أنبادوقليس فقد قال عن نفسه ، متابعا فى هذا العقائد الفيثاغورية ، إنه إله جاء إلى الأرض منفياً ويتفضل الآن بنقل بعض من معارفه إلى البشر الفانين .

---

(٢٢٧) شخصية فريدة إذ كان فيلسوفا وشاعراً وأدعى النبوة . كتب كتاباً « فى الطبيعة » وآخر « فى التطهير » . ألقى بنفسه من فوهة بركان إتنا فى صقلية مسقط رأسه كما تقول إحدى الروايات ، حتى يعتقد الناس أنه إله ، وكان ذلك حوالى ٤٣٠ ق.م. بعد عمر ناف على الستين

(٢٢٨) من أقواله مثلا : « الطريق إلى أعلى وإلى أسفل واحد ونفس الطريق » ، وكانت نبوءات الكهنة تتميز بغموضها ، ومن ذلك مثلا نبوءة كاهنة دلفى الشهيرة بشأن سقراط

حديثهم مشروعا . فالإنسان غير قادر بمفرده على معرفة من أين أتت الآلهة ولا على معرفة صورة حياتهم فى جبل الأولمبوس أو فى هاديس ، ومن أجل هذا فلا بديل أمامه إلا أن يتلقى بشأن ذلك علماً يفوق مستوى الإنسان .
وعلى هذا النحو فإن هزيود يدعى صراحة ، مع مافى هذا من غرابة كبيرة ، أنه قد نودى إليه ليهجر حياة الرعى وأن إلهات الفنون[225] قد طلبن منه أن يصف ظهور الآلهة واحداً بعد الآخر ، وهكذا فإن ما يقوله لايأتى من لدنه إذا أردنا التعبير الدقيق ، وإنما هى إلهات الفنون ، وهى التى تمى ذاكرتها كل شىء ، هى التى تتكلم من خلاله . وقد ذهب شعراء آخرون إلى ماهو أبعد من ذلك للتدليل على شرعية ما يقولون : فقد جعلوا من أنفسهم بكل جسارة أبناء لآلهة ، ومن هؤلاء أورفيوس وموسايوس[226] . ونفس الأمر كذلك نجده فى حالة النظريات الفلسفية الأولى حول أصل الكون . ذلك أن الإنسان، حسب قاعدة الاحتمال فى المعرفة التى احتلت عند اليونان منذ زمن هوميروس مكانا هاما ، الإنسان لايستطيع فى إطار خبرته الخاصة أن يعرف طبيعة الحدود الزمانية والمكانية للكون . فما الذى يسمح للفيلسوف إذن بأن يدلى بآرائه حول هذا الموضوع ؟ هناك ثلاث إجابات أساسية ممكنة عن هذا السؤال ، وقد ذكرت كلها بالفعل منذ عصر ما قبل سقراط . فالفيلسوف يستطيع أن يستمد معرفته من مصدر فوقى كالوحى ، وهو يستطيع أيضاً أن يجعل من عقله ذاته المستقل عن كل شىء منبعا لأحكامه ، رغم خروج هذا عما هو محتمل ، وهو

---

(٢٢٥) وهى إلهات الإلهام الفنى

(٢٢٦) أورفيوس شاعر أسطورى ، كان ساحر الغناء يهتز لصوته الصخر والحيوان ، ويقال إنه نزل إلى العالم السفلى بحثا عن زوجته . أما موسايوس فهو مغن أسطورى هو الآخر وكاهن أيضاً ، وأمه القمر

أما بعد بعد القرن الخامس ق . م . فإن موقفاً كهذا لم يعد ممكناً .

وفيما يخص إثبات الشرعية بوسيلة سلطان عقل الفيلسوف ذاته فإن أظهر من يمثله فى الحضارة اليونانية هو إبيقور ، وذلك هو ما يمكن أن نستنتجه من الأشعار الرائعة التى وصف فيها لوكريتشيوس[229] كيف تجول إبيقور بعقله فى الكل اللا محدود وكيف تعلم هكذا قوانين التغير والفناء .

ويمكن المرء أن يتصور أن إبيقور كان له فى هذا الاتجاه سلف بين فلاسفة ما قبل سقراط ، وذلك لأنه من الصعب أن نعتقد أن فلاسفة مثل أنكسيماندريس أو أنكساجوراس أوالفلاسفة الذريين[230] قيدوا تصوراتهم البارعة حول تركيب الكون بدون أن يشيروا أيما إشارة إلى ما سمح لهم بقول ما قالوا[231] ولما لم يكونوا قد اعتمدوا على وحى إلهى ، فيبقى إذن ثقتهم فى كفاية عقولهم هم أنفسهم .

أما عن الموقف الثالث فقد ظهر لأول مرة كرد فعل على الفلسفة الملطية[232] . إن إكسينوفان لا يعرض واعياً شيئاً إلا مايكون رأى البشر

---

(٢٢٩) شاعر لاتينى (حوالى ٩٨-٥٥ ق.م.) كتب قصيدته الشهيرة «فى طبيعة الأشياء» ونشر بها المذهب الأبيقورى .

(٢٣٠) المقصود بالفلاسفة الذريين (أصحاب مذهب الذرة) ليوقيبوس (٥٠٠ - ٤٢٠ ق.م) وديمقريطس على الأخص

(٢٣١) أى المبرر أو المصدر، والإشارة هنا إلى من تبقى منهم ليس إلا شذرات لا تسمح لنا بمعرفة كل جوانب مذاهبهم

(٢٣٢) أى فلسفة طاليس وأنكسيماندريس وانكسيمينيس الذين كانوا ينتمون إلى مدينة ملطية على الشاطئ الأيونى

قادراً على الوصول إليه ، وهو لا يفوق الناس إلا بشيء واحد : أنه لا يرى في الرأي إلا أنه رأي . نفس هذه الفكرة تظهر عند ديمقريطس وعند أتباعه أحيانا ، وتظهر بشكل قوي بعد ذلك عند أفلاطون ، ويكفي أن نتذكر هنا كلمات سقراط الشهيرة في « الدفاع » : « إني لا أعرف إلا شيئا واحدا : أني لا أعرف شيئاً » . ومنذ ذلك الوقت أصبح واحدا من أهم واجبات الفلسفة أن تحول دون الخلط بين العلم والظن [٢٣٣]. لهذا السبب فإننا لا نجد عند أفلاطون إلا صديق الحكمة ، ولا نجد الحكيم ، كذلك فإن المدرسة الرواقية إذا كانت قد وصفت « الحكيم » أبلغ وصف وأقواه ، إلا أنها تحدثت عنه باعتباره شخصية نموذجية لم يرها بعد واقع التاريخ .

وهناك موقف رابع ، دقيق الصياغة ، اتخذه أرسطو وحده . فهو من جهة لا يرى أن هناك تعارضا جذرياً بين علم الفيلسوف وظن العامة ، فما استمرت الشعوب على الإعتقاد فيه منذ أقدم العصور لا يمكن أن يكون أخطاء في أخطاء ، ولكن الذي يعيبه هو التجزء والغموض ، وعلى الفيلسوف أن يضفي عليه صبغة الشمول والوضوح . وأرسطو يبرر مشروعية نظرياته بأنها لا تقول بصدد المسائل الحاسمة إلا ما كانت الإنسانية منذ القدم قد خمنته تخميناً . ومن جهة أخرى فإن مذهب أرسطو يبقى عنده أمراً إنسانيا ، فلا إمكان للوصول إلى اليقين بصدد كل الأمور ، وفي كثير من الحالات لا يكون امامنا إلا أن نقنع بافتراضات مؤقتة وذلك على أمل أن نمضي خطوات أبعد على طريق اليقين بعد فحص جديد أكثر تعمقاً للمشكلة موضع البحث . وهكذا نجد أنفسنا هنا أمام موقف أرسطو المميز له بصفة عامة، الموقف الكمي : فالفيلسوف لا يعرف

---

(٢٣٣) انظر الكتاب الخامس والسادس والسابع من « الجمهورية » لأفلاطون

كل شيء ولا هو يجهل كل شيء ، ولكنه يعرف بعض الأشياء .

وإذا كانت الملاحظات السابقة تخص فى جوهرها كفاءة الفيلسوف لتناول أمور الفلسفة الطبيعية ، فإن الأمر يصبح مختلفا بطبيعة الحال مع فلسفة الأخلاق: فما يمكن لأحد أن ينازع جادا فى حق الفيلسوف أن تكون له مواقف وآراء بصدد الأخلاق . والمشكلة هنا فى هذه الحالة مختلفة : فإلى أى حد تتحقق فى السلوك نظريات الفلسفة الأخلاقية ؟ وفوق هذا : إلى أى حد يطبقها الفيلسوف فى حياته هو نفسه ؟

فيما يخص المسألة العامة (٢٣٤) : نحن لا ندرى إلى أى حد إعتقد أفلاطون فى إمكان تحقيق نظريته السياسية فى الدولة ، أما أرسطو وإبيقور فما لا شك فيه أنهما كانا يريان أن نظرياتهما الأخلاقية ممكنة التحقيق عمليا وأنها يمكن، بل يجب ، أن تكون دليل السلوك العملى فى الحياة . أما الفلسفة الرواقية فإنها على العكس من ذلك ، تصف سلوك الحكيم ، ولكنها تعى تماماً أنه لا يوجد هناك فى العالم الفعلى هذا الحكيم . ومن الواضح تبعاً لذلك أن تأثير الحياة على تطور الفلسفة الرواقية كان قوياً مع مرور الزمن ، حتى أنها أخذت فى إقامة نظرياتها على مستويين : فإلى جانب نظرية أخلاق الحكيم باعتباره الرجل الكامل ، أدخلت نظرية أخرى للبشر الفانيين ، وفى عدادهم نحن جميعاً . هذا الإزدواج فى النظرية يظهر قبل الرواقية عند أرسطو ، بمعنى ما ، وهو الذى فرق ، كما رأينا ، بين فلسفة (وأخلاق كذلك) الفلاسفة وفلسفة المثقفين عامة .

---

(٢٣٤) أى السؤال الأول من السؤالين المذكورين؟

وفيما يخص المسألة الخاصة[235] : لقد كان لوم الفلاسفة بأنهم يبتدعون أروع التعاليم ولكنهم لا يطبقونها فى حياتهم هم أنفسهم ، كان هذا اللوم بالطبع قديماً قدم الفلسفة الأخلاقية نفسها . كذلك فإنه من الواضح أن هذا اللوم قد وجه على الأخص إلى أصحاب المذاهب المتطرفة ، ومنهم مثلا الرواقيون الذين قارن الساخرون بهم بين طريقة حياتهم وبين مثلهم الأعلى ، وهو نموذج الحكيم . وبصفة عامة كان أسهل الطرق وأرخصها دائماً من أجل مهاجمة مشروعية أقوال الفيلسوف هو الضغط على أوجه الضعف فى حياته الشخصية (وهكذا الاتجاه نحو ميوعة عنده مثلا أو إعتقاده فى الخرافات إن كان أو فجور فى سلوكه أو تحذلق فى كلامه أو إدعاء العصمة عنده) . وكان لابد للفلاسفة إما أن يحاولوا دحض هذه الاتهامات وإما أن يتراجعوا متخذين موقفا اتخذه لنفسه الفيلسوف الشكى بيرون والذى تصوره أجل تصوير القصة التالية : كان بيرون يعلم أن الرجل الفيلسوف لا يمكن أن يجعل شيئاً يصيبه بالاضطراب . ولكن حدث يوما أن كلبا هجم عليه ، فكاد فيلسوفنا يموت فزعا . وقد لاحظ بعد ذلك ، كوسيلة للإعتذار ، أنه من الصعب بالفعل أن ينتزع الفيلسوف الجانب الإنسانى فيه .

وهناك مشكلة خاصة لن نتناولها هنا إلا فى إيجاز . ذلك أن كل قارىء لمحاورات أفلاطون يعلم أن سقراط كما يصوره لا يبدى قدراً أكبر من العنف فى إظهاره لإختلافه عن السفسطائيين مثلما يفعل حين تأكيده على أن كلا منهم يتلقى أجراً عن دروسه أما هو فلا يتلقى شيئاً[236] . ولتبرير هذا يقول

---

(235) أى السؤال الثانى المذكور آنفاً

(236) أنظر « الدفاع » ، 33 ا - ب ، 19 د ومابعدها

سقراط إن الفلسفة لا يمكن أن تهبط إلى درك البضائع التجارية ، وأن ذلك الذى يتلقى الأجر يفقد حريته ، لأنه سيكون عليه أن يراعى أهواء ذلك الذى يدفع . ولكن المشكلة بذاتها أقدم من سقراط ، وهى تظهر بالفعل عند الشعراء الأوائل ، وهى تعود فى النهاية إلى مشكلة انتماء طبقى اجتماعى : فالذى يليق بالأرستقراطية هو أن تشتغل بالشعر وبالفلسفة لذاتهما ودون مقابل ، أما من يفعل ذلك لكسب عيشه ، فإنه يدخل فى طائفة العمال اليدويين [٢٣٧] . هذا وقد استمرت السخرية الماكرة التى كان سقراط الأفلاطونى [٢٣٨] يتحدث بها عن طلب بروتاجوراس وجورجياس [٢٣٩] وغيرهما لأجور مرتفعة جداً ، استمرت تفعل أثرها على القراء فى العصور المتأخرة من الحضارة اليونانية .

ولكن هذا كله لا يعنى أننا تخلصنا من المشكلة . وقد قال أرسطو صراحة وبلا لف ولا دوران ، وهو فى معرض حديثه عن طريقة حياة الفيلسوف [٢٤٠] ، قال إنه لاشك أن الفيلسوف لا يقدر أى تقدير خيرات الجسد والمجتمع ، ولكنه مع ذلك لا يمكن أن يستغنى عن حد أدنى من أجل أن يعيش عيشة آمنة .

---

(٢٣٧) أكنت الحضارة اليونانية فى صورها العليا إحتقاراً قويا للعمل اليدوى، وراجع مثلا محاورة «جورجياس» لأفلاطون (٤٦٤ب ومابعدها). وعلى القارىء أن ينتبه إلى أن سقراط لم يكن أرستقراطى العائلة ، وإن كان أرستقراطى الفكر

(٢٣٨) أى سقراط كما صوره أفلاطون .

(٢٣٩) هما أعظم السفسطائيين ، وراجع حول مايلى نص ١٩ د وما بعده من «الدفاع» لأفلاطون

(٢٤٠) أرسطو ، «الاخلاق إلى نيقوماخوس» ، ١١٧٧ أ ٢٨ وما بعده

ويذكر أرسطو على نحو أكثر صراحة كلة للفيلسوف أرستيبس ، وهو من أتباع سقراط ، هو أنها تعارض معارضة لا سبيل إلى إنكارها ، مع أشياء أخرى ، الصورة التى رسمها أفلاطون لسقراط : فعندما لام البعض أرستبس لأنه يتلقى أجراً رغم كونه من تلاميذ سقراط ، قال : « ولم لا أفعل ذلك ؟ لقد كان أصدقاء سقراط يرسلون إليه الدقيق والنبيذ ، فكان يمكنه أن يحتفظ بالبعض وأن يعيد إليهم الباقى . ولقد كان أصدقاؤه الذين يعنون بأمره صفوة أهل أثينا ، أما أنا فلا يكترث أحد بأمر بيتى ، اللهم إلا خادمى أوتيخيديس » . وهذا الكلام يجمل واضحا أنه إذا كان احتقار الأجر موقفا نبيلا لا مراء ، فانه لم يكن دائما مناسبا بالنظر إلى الظروف الفعلية . لهذا استمرت الحضارة اليونانية فى مناقشة مسألة أجر الفيلسوف . ويمكن أن نظن أن هناك مايسمح بالقول بأن الرواقيين قد قاوموا تأثير سقراط الأفلاطونى وأنهم بحثوا فى تحديد الشروط التى يسمح للفيلسوف معها أن يجنى بنفسه المال .

وعلى أية حال فقد تغيرت الظروف بطبيعة الحال منذ اللحظة التى أخذت تظهر فيها المدارس الفلسفية المنظمة ، وفى إطارها لم يعد الفيلسوف يتلقى الأجر كفرد ، بل كان التلاميذ ، وأحيانا من يأتى لزيارتها من الضيوف ، يدفعون إلى المدرسة مساهماتهم المالية .

وهكذا أصبح فى طبيعة الأمور أن يكون هناك حدان فاصلان تبين فيهما شخصية الفيلسوف فى نظر معاصريه والسلف : موته ودخوله الفلسفة . وقد نقل إلينا عن الكثيرين من الفلاسفة كيف ماتوا ، ولكن هذه الأخبار غالبا ما تكون ، للأسف ، قصيرة مختصرة ، حتى أن تأثيرها علينا لا يزيد من تأثير قصص العجائب . ونادرون هم أولئك الفلاسفة الذين تقبلوا الموت

شهداء الحقيقة مثل سقراط ، وتؤكد الأخبار كثيراً على أنهم تلقوا المحتوم في هدوء ووقار .

ولكننا نملك الكثير من حكايات التحول إلى الفلسفة ، وهي حكايات نادراً ما يعوزها العنصر الدرامي ، بمعنى أنها تدور حول قفزة غير متوقعة من من حياة غفل أو فجة أو منغمسة في إنشغالات المجتمع إلى حياة التفلسف ولن أذكر هنا إلا أمثلة قليلة .

حسب قصة أفلاطون الشهيرة[241] فان سقراط يكون قد جاء إلى الفلسفة، بعد أن كان مواطنا عادياً جاهلا ، على إثر دعوة النبوءة الدلفية له ليكون ، مع ما في هذا من تناقض ، أحكم البشر[242] . وهناك حكاية منافسة يذكرها أرسطو حول هذا وهي تقول إن سقراط إنما تحول على الفور إلى الفلسفة بعد أن وجد نفسه ، أثناء زيارة له إلى معبد دلفي ، وجها لوجه أمام الحكمة التي تتصدر معبد الإله أبوللون : إعرف نفسك بنفسك . وهكذا فإن هناك في كلتا القصتين علامة إلهية وهي التي تعطي الدفعة .

وهناك قصة مشابهة تحكى عن ديوجينيز . فيقال إنه سأل كاهنة معبد دلفي عما يفعل بحياته ، فأجابته الكاهنة بأن عليه أن يعيد سك العملات . وقد فهم ديوجنيز هذا اللغز ، الذي يبدو وكأنه يأمره بأن يكون مزيف عملات مالية ، فهمه الفهم الصحيح وكرس نفسه منذ ذلك الوقت لهذه المهمة : أن يغير بنشاطه الفلسفي من قيم العادات السارية . ونسمع كذلك شيئاً مماثلا عن زينون،

(٢٤١) « الدفاع » ، ٢٠ هـ وما بعدها

(٢٤٢) لأنه جاهل يعي أنه جاهل بينما الاخرون جاهلون ويدعون الحكمة والعلم مع ذلك

مؤسس المذهب الرواقى . فكذلك هو سأل النبوءة عما ينبغى عليه فعله حتى يحيا أفضل حياة ، فكانت الإجابة أن عليه أن « يلحق بالموتى » . وفهم هو أيضاً هذه النبوءة الفهم الصحيح وتوفر على دراسة كتب قدامى الفلاسفة وأصبح هو نفسه فيلسوفا . ولكن يبدو أن زينون نفسه حكى عن الأمر بطريقة مختلفة : فقد كان فى الأصل تاجــراً ، وحدث واشترى من فينيقيا نسيج الأرجوان ، ولكن سفينته غرقت بأحماله قرب ميناء بيريه . فذهب إلى أثينا وجلس إلى جوار بائع كتب كان يقرأ حينذاك فى القسم الثانى من « مذكرات » إكسينوفون ، فقرأ معه زينون فاشتعل حماسا ، وتساءل فى النهاية أين العثور على رجال مثل هؤلاء الذين يصفهم إكسينوفون . وقد شاءت المصادفة السعيدة أن يمر حينذاك أقراطيس الفيلسوف الكلبى ، فأشار بائع الكتب إليه وقال لزينون : « إلحق بهذا الرجل » . ومنذ ذلك الوقت أصبح زينون فيلسوفاً . وتقول قصة عجيبة جداً إن أرسطو نفسه اتجه بدوره إلى الفلسفة على إثر نبوءة للإله أبولون .

أما إبيقور فإنه ، على العكس ، قد أكد على أنه لم يأت إلى الفلسفة لا بأمر الإله ولا بالمصادفة ، بل بفضل مواهبه ، وكان ذلك وعمره حوالى أربعة عشر عاماً (٢٤٢)

وبصفة عامة فإن قصص التحول كثيرة فى الحلقة السقراطية ، ومن أقواها وقعا قصة أرستبس مواطن مدينة قوريناء الغنية (٢٤٣) . فقد حدث أن قابل فى

---

(٢٤٢) [illegible]

(٢٤٣) وموقعها فى منطقة طرابلس بليبيا حاليا ، وكانت من المراكز الهامة للحضارة اليونانية على الشاطىء الإفريقى

أولمبيا (٢٤٤). صديقاً من أصدقاء سقراط فسأله عن الوسيلة التي بها استطاع سقراط أن يؤثر على الشباب هذا التأثير العميق ، فحكى له الآخر بعضاً من محادثات الأستاذ ، وكان لها وقع كبير على الشاب الغنى حتى أنه كاد يقع مغتما وذلك لشدة رغبته فى اللحاق بسقراط ، وقد سارع بالسفر إلى أثينا وذهب إلى سقراط الذى هداه إلى سبيل الفلسفة .

ونشير بعد هذا إلى قصة إكسينوفون . فقد قابله سقراط يوما فى طريق ضيق وسد عليه الطريق بعصاه حتى أنه لم يستطع المرور. عندئذ سأله سقراط أين يمكن للمرء أن يبتاع ألوان غذائه المختلفة ، فأجابه إكسينوفون عن سؤاله ، فسأله سقراط من جديد : وأين يصير المرء نبيلا نابها ؟ فحار إكسينوفون جوابا ، وعندها قال له سقراط : « إذن فاتبعنى وتعلم هذا » ، ومنذ ذلك الوقت أصبح إكسينوفون تلميذاً لسقراط . أما قصة فيدون (٢٤٥) فهى مختلفة هى الأخرى ، وهى تهدف إلى بيان كيف أن الشخص يمكن أن يرتفع من أحط الأوضاع الاجتماعية إلى مقام الفلسفة . كان فيدون من مواطنى مدينة إيليس ، وقد أسره الأثينيون فى إحدى الحروب وبيع عبداً وأصبح عليه أن يشتغل بأكثر الأعمال مجلبة للعار . ولكن سقراط اكتشف قدراته ودفع إلى عتقه وجعله من تلامذته .

ومعروفة هى قصة افلاطون ، الذى كان ، فيما يقال ، وهو شاب ، يكتب مسرحيات تراجيدية وكان يستعد بالفعل لتقديم ثلاثية

---

(٢٤٤) مركز المباريات الرياضية الشهيرة ومركز دينى أيضاً .

(٢٤٥) من أتباع سقراط أيضاً ، وباسمه تسمت محاورة أفلاطون الشهيرة ، حيث أن فيدون يقوم بحكاية ما حدث لسقراط فى يومه الأخير .

كاملة (٢٤٦) إلى المسرح ، حين كان لقاءه وسقراط . وفي الحال أحرق أشعاره وتبع سقراط .

ونختم بقصة الفيلسوف الأكاديمي بولميون (عاش حوالي ٣٠٠ ق . م .) وكان في شبابه فاسقا إلى أبعد ما يمكن للإنسان أن يتصور ، وفي مرة قام بالاندفاع نحو الأكاديمية هو وعصبة معه متفقين وعلى جبينه تاج (٢٤٧) والخمر تلعب برأسه . في تلك اللحظة كان رئيس المدرسة ، إكسينو قراطيس (٢٤٨) يلقي درسه ، ولكنه لم يأبه بل استمر في حديثه هادئا حتى النهاية . وقد كان موضوع الدرس التحكم في النفس ، فبهت بولميون وأخذ يستمع في اهتمام ، وانحاز إلى طريق الفلسفة ، وقد كرس جهوده لها في إخلاص كبير حتى أنه صار هو نفسه رئيسا للأكاديمية .

وهناك قصص أكثر من هذا بكثير من ذلك النوع . وهي لا تحتوي إلا على قدر ضئيل من الحقائق التاريخية ، ومع ذلك فهي قصص ذات مغزى لأنها تظهر تصور اليونان لطبيعة الصدام بين الفلسفة والحياة المادية الدواجن أو العياش المقبل على متع الحياة أو العبد .

---

(٢٤٦) كان المتبارون في المسابقات المسرحية في أثينا يتقدمون بمسرحيات ثلاثة . وهناك روايات حول بدء أفلاطون بكتابة المسرحيات قبل أن يقع تحت تأثير سقراط ، وعلى أية حال فإن صيغة الحوار صيغة مسرحية من جانب ما ، كذلك فإن فن المحاورات الأفلاطونية يشير إلى طول باع وعميق دربة ، وكذلك أسلوبها الذي يرتفع أحيانا إلى قمة النثر اليوناني وخاصة مع «فيدون» و «المأدبة» و «الدفاع» .

(٢٤٧) قارن مثلا محاورة «المأدبة» لأفلاطون ، ٢١٢ د — ه .

(٢٤٨) هو ثالث رؤساء المدرسة وزميل أرسطو

ويبقى أمامنا أخيراً على نفس النحو أن نلقى نظرة على هذا الموضوع :
ما هى النماذج التى كان الناس يتصورون عن طريقها رجل الفيلسوف ؟ فالبحث الفلسفى عن الحقيقة الحقة هو أمر فى ذاته تجريدى كل التجريد حتى أن الحاجة تلح إلى رسم صورة متجسمة له .

ماذا كان تصور العصور الأولى للفلاسفة ؟ إن هناك كثيراً مما نجهله حول هذا الموضوع ، ولكن من المؤكد أن هناك تصورين يحتلان أهمية كبرى .
فالفيلسوف هو أولا الرجل القادر على التنبوء بالأحداث القادمة ، وهو بعد ذلك الرحالة الذى يطوف العالم والذى يزور البلاد الأجنبية لا لشىء إلا ليعرف كيف هى . ولن يكون من الصعب أن نعود بهاتين الخاصتين لنتتبعهما حتى فى ميدان الحكايات الشعبية . فعندما يتنبأ طاليس بكسوف للشمس ، وآخر بزلزال أرضى أو بعاصفة أو غير ذلك ، فإن ذلك ليس فقط على صلة قرابة مع فن تشخيص المرض عند الطبيب ، بل إنه أيضاً يشارك فى الأمجاد التى كانت للساحر صانع المعجزات فى أقدم العصور . ومن ناحية أخرى فقد وُصف بعض من أبرز الفلاسفة بأنهم كانوا رحالة : ومن هؤلاء طاليس أيضاً ، وكذلك فيثاغورس ، وديمقريطس وأفلاطون ، وتقول سيرة حياة هذا الأخير إنه قام برحلاته الأولى إلى صقلية حتى يدرس ظواهر بركان إتنا . أما أن أفلاطون لا يذكر شيئاً فى مؤلفاته عن هذا أياً كان ، فإن كتاب سيرة حياته بهذا لا يحفلون .

ومع ذلك فقد ظهرت حتى منذ عصر ما قبل سقراط صورة معارضة للفيلسوف . وهى ليست معارضة للسابقة فقط لأنها احتقرت الفائدة التى كانت تعلق على التنبوء وأنها رفضت الرحلات حول العالم على أنها نتيجة حب

استطلاع سطحى ، بل إن الفيلسوف أصبح الآن خارجاً بالكلية عن دائرة السياسيين وأصحاب الأعمال المهنية ، إنه يمثل شيئا لا صلة له على الأطلاق بعمل المحارب أو مالك الأرض أو التاجر أو غير هؤلاء ، شيئاً قد لا يبدو فى الظاهر واضحاً للعيان ، ولكنه أثمن من كل عمل آخر فى الحقيقة . وعلى نحو قد يبدو متناقضاً فإن الفيلسوف يعود هكذا ليقترب من الشاعر رغم أنه يسعى فى العادة لكى يتميز عنه تميزاً جذرياً . وحينما ميز أرسطو (ولم يكن هو أول من يفعل ذلك) بين ثلاثة أو أربعة أشكال لإهتمامات الأحياء ، الطموح والمتعة وجنى المال وتأمل الحقيقة ، وحينما رفع هذا الشكل الأخير فوق الباقين باعتباره الوحيد الموافق للعقل ، فإنه إنما كان يعتمد على قائمة قديمة جداً كانت حكمة الشعراء فيها تقف على نحو مشابه معارضة لكل ألوان المهن الأخرى . كذلك فإن الشاعر هوراس ، فى قصيدته المشهورة التى يقدم فيها نفسه لصديقه مايكناس باعتباره شاعراً ، يستوحى قائمة يونانية قديمة مماثلة [149]. وهناك شيئان يشترك فيهما الشاعر والفيلسوف : خيالهما أولا تدور بعيداً عن عامة الناس وعن رغباتهم الفجة ، كذلك فإن بعدهم هذا نفسه عن عامة البشر يجعلهم جد قريبين من الألوهية . وهذا ما يجعلنا نخطوا خطوة أبعد : ذلك أن نشاط الفيلسوف كان يقترب دائماً من دائرة النشاط الدينى بمعناه المحدد . ولم يكن غصباً عليهم أن قام الفلاسفة بالإعلاء من شأن نشاطهم فى نبرة مشبوبة بالحرارة ومستخدمين تعبيرات أخذوها من ميدان التصورات الدينية .

وأنا لا أقصد هنا تأسيس مشروعية الفلسفة بالاعتماد على وحى إلهى ، فهذا موضوع سبق أن تناولناه ، ومسألة المشروعية تنتمى إلى إطار مختلف

من الأفكار . وإنما الذى نقصده هو بالأحرى تلك المقارنة المليئة كل الإمتلاء بالنتائج بين طرق المعرفة عند الفيلسوف وبين عملية الدخول فى الأسرار[٢٥٠] . فإدراك الحقيقة يصير رؤية للأمور الإلهية المختومة بخاتم السر ، ولا يسمح بالنفاذ إليها إلا لذلك الذى هيأ نفسه للأمور كما ينبغى والذى كان قد تطهر قبل الدخول فى الأسرار . والفيلسوف الذى يقود تلميذه على هذا الطريق يصبح كالكاهن الذى يرأس حفل الدخول إلى الأسرار فى إيلوسيس ، أما الإدراك ذاته فانه يوصف على أنه ضوء باهر مفاجىء بعد طول ظلام[٢٥١] . وإذا كانت أمثال هذه التعبيرات فى العصر الكلاسيكى للفلسفة اليونانية[٢٥٢] قليلة نادرة وليست لها إلا دلالة التشبيه ، فإنها انتشرت أوسع ما يكون الانتشار فى العصور المتأخرة ، وعم الكلام وتكرر عن الأسرار وعن رجال الأسرار وعن التطهير وما شابه ، ثم انتقل كل هذا إلى المسيحيين . وهذا هو إذن أحد جذور التصوف المسيحى فى العصر الوسيط ، وهو الذى أخذ أكثر من مرة تعبيرات معينة بحرفيتها ، بينما كانت تستخدم فى الأصل كمجرد طريقة للتشبيه .

وتظهر القرابة مع طرق التعبير عن الأفكار الدينية فى ميادين أخرى . فمن المتفق عليه أن الفيلسوف يبحث عن حقيقة تعلو على الآراء والظنون الجارية ، ولكنه لا يستطيع أن يدركها إدراكاً كاملا ، لأنه هو نفسه على الدوام سجين الظن . وبلغة الديانة توصف هذه الحالة بأن النفس فى العالم الدينوى كأنها تقيم منفية فى كل مكان حكم عليها أن تقيم فيه وأن تنال عقابها . وهدف النفس

(٢٥٠) وهى مراحل إدخال المريد الجديد فى أسرار الديانة .
(٢٥١) راجع تشبيه « الكهف » فى « الجمهورية » لأفلاطون .
(٢٥٢) وهو عصر أفلاطون وأرسطو

بعد أن تهجر هذا المكان وأن تعود إلى عالم آخر سعيد ، وهو الذى ربما كان وطنها الأصلى . ويمكننا إذن أن نقارن حالتى الجهل والعلم بمقام النفس على الأرض وبرجوعها الى العالم الآخر ، وهو الذى يوصف من بعد حينا بأنه « جزيرة السعداء » القائمة فى بحر غربى أسطورى ، وحينا بأنه عالم النجوم والسموات ، والذى منه تستطيع النفس أن تنظر إلى الأرض [٢٥٣] .

نحن لا يمكننا أبداً أن نقول فى يقين إلى أى حد أخذت هذه التغيرات حرفيا عند أنبادوقليس وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ، وإلى أى حد كانت مجرد تشبيهات . ولكن مما لا شك فيه أن جانب التشبيه فيها عندهم سيكون أكبر بكثير مما أصبح مقصوداً عند الأفلاطونيين المحدثين [٢٥٤] ومن تبعهم . ولكن ربما سيكون من المغالاة أيضاً ألا نرى فيما تركه أفلاطون وأرسطو من أوصاف رائعة للعالم الآخر ، سيكون من المغالاة ألا نرى فيها إلا مجرد تشبيهات .

وحينما يصبح مدار الحديث هو الهرب من هذا العالم ، فإنه من الطبيعى على الفور أن تدخل الفلسفة الطبيعية فى الاعتبار ، وموضوعها يؤدى أول

---

(٢٥٣) راجع عند أفلاطون محاورات « جورجياس » (٥٢٣ ا وما بعدها) و « فيدون » (١٠٧ وما بعدها) و « فايدروس » (٢٤٦ ا وما بعدها)

(٢٥٤) وهو اتجاه متأخر سيعود إلى أفلاطون وتعاليمه وأعظم ممثليه هو الفيلسوف أفلوطين (٢٠٥ — ٢٧٠ بعد الميلاد) الذى يهمله مؤلف هذا الكتاب إهمالا يؤخذ عليه

يؤدى الى الانفلات من دائرة الآراء المتوارثة . أما حال فلسفة الأخلاق فهو مختلف ، لأن جهودها يلزمها نوع مختلف تماما من التشبيهات والصور .

ه وهى تحتاج فى الحل الأول إلى أن تقدم وصفاً للفيلسوف ذاته ، وهو الذى تميز عن السلطات غير الفلسفية باعتباره الرجل الكامل . وهنا تظهر قبل كل شىء آخر مقارنة الفيلسوف مع شخصين من شخصيات الأساطير . الأولى هى شخصية هرقل (٢٥٥) ، وهو إنسان العصور الأولى الذى استحق الدخول إلى عالم الآلهة بفضل معاركه التى أدارها طوال حياته ضد الوحوش والأشرار . وقد رفع بعض السفسطائيين (٢٥٦) ، وعلى الأخص بعد ذلك تابع سقراط انتستينيز وتلامذته ، أى الكلبيون ، رفعوا هرقل إلى مقام المثل الأعلى للفيلسوف . فما الفيلسوف إلا المكافح الذى يسعى الى قهر الآراء السفيهة والتقاليد الفارغة وكذلك أيضا بعد هذا آلامه هو نفسه . وقد أصبحت الكلمة المعبرة عن حياة هرقل ، كلمة ponos أى العمل المنهك ، أصبحت تعبر عن أعلى قيمة فى الحياة . أما عند سنكا (٢٥٧)

---

(٢٥٥) من أحب الشخصيات الأسطورية إلى قلوب اليونان وله مغامرات متعددة أثبت خلالها شجاعته

(٢٥٦) يقصد السفسطائى بروديقوس وكان معاصراً لسقراط ، وقد ألف أسطورة بعنوان « اختيار هرقل » بين الفضيلة والرذيلة

(٢٥٧) فيلسوف رواقى (٥ ق . م . - ٦٥ بعد الميلاد) وكاتب كبير

الفيلسوف الرومانى المتأخر فإن هذه الصور تظهر على نحو أقل زهاء ، أو على نحو رومانى [٢٥٨] وذلك تحت اسم « المحارب باسم الفلسفة » ، فالمقاتل الفلسفى هو الجندى الذى يبقى بازاء العدو الداخلى والخارجى ، يبقى فى موقعه لا يبـالى .

أما الشخصية الاسطورية الأخرى القـــابلة ، فهى شخصية أوديسيوس [٢٥٩] ، المـاهر الشاطر الذى يعرف كيف ينجو بسلام فى كل المواقف التى يقع فيها ويتفوق ، وهو يبقى دائماً أميناً على مبادئه سواء أجملت منه الأحداث ملكا أم مقسولا . وقد كان أرسبقس ، المنافس الكبير لأنهتسثينيز بين السقراطيين ، هو الذى فهم التفلسف بهذا المعنى وعنده أيضاً يظهر جهد من أجل التحقيق الفعلى للمثل الأعلى الذى يمثله أوديسيوس على نحو يكتمل شيئاً فشيئا ، وبهذا يكون الفيلسوف هو الممثل الكامل على خشبة مسرح الحياة ، والذى يؤدى ، حتى النهاية ، كل دور يوكل إليه على أكمل وجه ، واعياً أن هذا ما هو الا مجرد دور بين أدوار . وهنا أيضاً يثبت هوارس معجباً تحية عظيمة يقال ، وفى هذا ما يبعث على الدهشة ، أن الذى وجهها الى أرسبقس هو أفلاطون [٢٦٠] : « لقد قدر لك أنت وحدك أن

---

(٢٥٨) أى على نحو حرفى

(٢٥٩) بطل « الأوديسه » لهوميروس

(٢٦٠) مصدر الدهشة هو أن الإثنين كانا خصمين بحسب ما يبدو

تكون مكرماً محترماً سواء أكنت فى المهلهل أم كنت فى المعطف الارجوانى »[٢٦١] .

ونأتى أخيراً الى وصف النشاط التربوى والتعليمى للفيلسوف بإزاء تلامذته . وقد سبق أن ذكرنا من قبل التشبيه السائد على هذا المستوى (وهو فى الحق أكثر كثيراً من أن يكون مجرد تشبيه) : فالفيلسوف هو كالطبيب الذى يأخذ فى معالجة أمراض النفس بأدويته، وهى التعاليم الفلسفية . وهناك الى جانب هذا تشبيهات أخرى تقوم على مهنة الزراعة ومهنة الرعى . فنفس الشاب كأنها الحقل الذى يجب أن نخلص من الحشائش الضارة ويهىء بعد ذلك من أساسه لتلقى البذور ، ثم يجب أخيراً تولى البذرة النامية بالعناية حتى تثمر ثمراً . ولهذا التشبيه أهمية كبيرة جداً من الناحية التاريخية ، لأنه خرج منه المفهوم اللاتينى cultura animi ، أى العناية بالنفس ومنه مفهوم Kultur أى الثقافة . أخيراً شبهت التربية الفلسفية بمهنة الرعى ، وفى هذا عدة أوجه : فاذا كان قد أمكن استئناس الحيوان الوحشى ، فلا بد أن يكون ممكنا أيضاً أكثر وأكثر أن يزرع النظام فى قلوب أصعب الرجال . وتماما كما أنه تجبر الجياد الهائجة على النظام بوسيلة التدريبات القاسية ، أيضاً يجب أن يكون السلوك بازاء ذوى العناد من البشر . والعكس بالعكس : فيجب استخدام المهماز لاستثارة الخامل من الخيل أو الإنسان . ولنذكر بصدد أمر

---

(٢٦١) علينا أن نتذكر أن ما يسمى « المعطف » كان رداء يونانياً عاديا . من جهة أخرى يمكن لمن قرأ « الاوديسه » أن يتذكر المناظر الأخيرة فيما أثناء تنكر أوديسيوس فى مدينته !

مختلف أن أتباع سقراط والكلبيين منهم خاصة (وهم الذين يتسمون باسم الكلب) اجتهدوا أحياناً في اثبات أن الكلب حيوان جد موهوب للفلسفة وأوصوا بتقليده .

وملاحظة على الهامش حول دور « الحب » عند أفلاطون ومدرسته . ولن يكون من السهل علينا هنا أن نبين في وضوح تداخل أمرين مما : علاقة المحبة بين المعلم الفيلسوف وتلميذه (وهي في الأصل ظاهرة اجتماعية) ووصف مناهج المعرفة باستخدام تعبيرات الحب[٢٦٢] . وهنا تصير الحقيقة هي موضوع العاطفة الغرامية المتأججة ، ويصبح الفيلسوف على أثرها لينالها كما لو كان يجرى وراء محبوبة . وبالطبع فإن الحضارة اليونانية قد استهجنت في سائر عصورها الاتجاه الأفلاطوني في الحب .

---

(٢٦٢) راجع محاورة « المأدبة » .

فى العصر القديم لانجد فلسفة بمعنى الكلمة إلا لدى اليونان فعندهم نبتت ونمت وتم تكوينها فيما بين القرن السادس والقرن الرابع قبل المسيح واستمرت بينهم إلى أن تقلدها منهم الغرب المسيحى والشرق الإسلامى واليهودى ثم تطورت طوال العصر المتوسط حتى بلغت إلى العصر المتوسط حتى بلغت إلى العصر الحديث فاصطنعها هو أيضا وذهب فيها مذاهب شتى دون أن يفقدها وجهها الأصلى .

ونحب هنا أن يفهم مرادنا على حقيقته ، فنحن لانقصد إلى أن الشعوب الشرقية القديمة لم تعرف المسائل الفلسفية الكبرى كلا فانها عرفتها وأعملت فيها عقولها ، قبل أن يتفلسف اليونان ولكنها لم تعالجها بالحد والبرهان ، كما فعل هؤلاء ، بل أرسلت القول فيها على مايرسل الشعراء واستخدمت الشيء الكثير من الخيال فصاغت آراءها فى قصص وأساطير وجاءت هذه الآراء أقل نضوجا وأحكاما من أراء فلاسفة اليونان[1] .

ويقول صاحبا قصة الفلسفة اليونانية :

لم تستمد الفلسفة اليونانية أصولها من تلك الأمم القديمة ، ولكن خلقها اليونان خلقا ، وأنشأوها إنشاء ، فهى وليدتهم وربيتهم ليس فى ذلك ريب ولاشك ، ويستطيع الباحث أن يرجع بالفلسفة خطوة بعد خطوة حتى يصل إلى مهدها فى بلاد اليونان دون أن يشعر فى خلال البحث بحلقة مفقودة أو غامضة[2] .

ويقول صاحبا قصه الفلسفة اليونانيه :

---

(١) ص ٢٩٠ — ٢٩١ التفكير الفلسفى الإسلامى د . سليمان دنيا نقلا عنه .

(٢) أحمد أمين ، زكى نجيب محفوظ ص ١٦

ليس منا من لا يعلم ما أداه اليونان في الفن والأدب، لكن ما أوردوه في النطاق العقلي الخالص أشد غرابة مما أدوه في الفن والأدب على عظمته، فهم الذين اخترعوا الرياضة والعلم والفلسفة اختراعا وهم أول من كتب التاريخ متميزا عن مجرد سرد أخبار، وهم الذين أرسلوا الفكر حرا في طبيعة العالم ونهاية الحياة. دون أن يغلوا أنفسهم بقيود العقائد الموروثة، وكان ما صنعوه في ذلك من الروعة بحيث ظل الناس حتى عصور حديثة جدا يكتفون أزاء العبقرية اليونانية بفتح أفواههم دهشة وبالحديث عن تلك العبقرية كما يتحدثون عن ألغاز السحر[1].

الإتجاه الثاني:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الفلسفة اليونانية قد أخذت وتأثرت بأفكار أمم الشرق وأنها وصلت إلى اليونان ممذوجة على يد فيثاغورث في القرن الخامس قبل الميلاد وإن كان من الصعب معرفة مقدار ما وصل اليونان من فكر تلك الأمم ومعنى ذلك أن الفلسفة قد نشأت في الشرق وتأثر بها اليونان بدرجة أو بأخرى يقول ذيوجانس أدلاترس: -

أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين[2].

ويقول: جاستون مليو في كتابه (دراسات جديدة في تاريخ الفكر العلمي):-

أن البحث في تاريخ الرياضة بوجه عام يظهرها على أن الرياضيات كانت عند المصريين والشرقيين قد وصلت إلى درجة عليا من التطور.

---

(١) ص ٨ ربيع الفكر اليوناني. عبد الرحمن بدوي طبعة رابعة سنة ١٩٦٩.

(٢) تاريخ الفلسفة الغربية جـ١ ترجمة د. زكي نجيب محفوظ ص ٢٣.

ويقول صاحب تاريخ الفلسفة الاوربية : -

لقد وجد العقل مع الإنسان وبقى هو فى جوهرة واستخدمته الأمم الشرقية فى الماضى السحيق فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ولقلتها لليونان فأغنتهم عن بذل الجهد والوقت فى استكشافها بأنفسهم ، وفضلا عن العلم والفنون نجد عند الأمم الشرقية القديمة قصصا دينية وأفكارا فى العالم والحياة ، إذا اعتبرنا موضوعها ومغزاها رأيناها حقيقة بأن تسمى فلسفة .

فقد نظروا فى أسمى المسائل مثل الوجود والتغير والخير والشر والأصل والمصير ، ولم تخرج الفلسفة فيما بعد عن هذه النظريات الكبرى بل قد نستطيع أن نجد لكل فكرة يونانية مثيله شرقية تقدمتها أو أصلا قد تكون منه [1] .

ويقول ديوجين لا ايرس :

إن الفلسفة الأغريقية ليست إلا تراثا شرقيا متغلغلا فى القدم .

ويقول الأستاذ روبرتسون .

أن الاعجاب الشديد باليونانيين قد حمل كثيرا من أصحاب الرأى إلى أن ينكروا حقيقة تاثر المدنية اليونانية بمدنيات الشرق القديمة حتى أنهم لم يكتفوا بإنكار ذلك الأثر بل تطرقوا إلى القول بأن الفكر اليونانى وليد بلاد اليونان تأصل فيها ونشأ غير متأثر بشىء بما سبقه من منتوجات الفكر الإنسانى وجهوده [2] أن هذا الاتجاه الأخير الذى يقرر بأن الفلسفة اليونانية قد تأثرت بفلسفات شرقية سابقة عليها فى النشأة هو ماتميل إليه

(1) أنظر التفكير الفلسفى الإسلامى د . سليمان دينا ص ٢٩٧ .

(2) ص ٢٩٩ المرجع السابق .

لأن الفكر الإنسانى ماهو إلا سلسلة متصلة الحلقات يؤثر بعضها فى بعض منذ عصوره الأولى حتى هذه العصور الحديثة التى نعيش فيها وأن مجرد أن يقال أن الفكر الأغريقى أو الفلسفة الأغريقية قائمة بذاتها ، مستقلة عن غيرها ، غير متأثرة بشىء سواها تعسف وجهل بطبائع الأشياء [1] .

فلقد كشفت البحوث التى قام بها المستشرقون فى السنوات الأخيرة عن وجود حضارة شرقية بابلية زاهرة وفى إحدى القصائد التى أنتجتها هذه الحضارة ، قصيدة تسمى قصيدة الخلق وفيها نجد كلاما عن بدء العالم يشبه فى ظاهرة كلام طاليس إذ يقول صاحب هذه القصيدة أنه قبل أن يكون للسماء اسم وقبل أن يكون للأرض اسم ، كانت الأشياء كلها مختلطة فى الماء ، فإذا الكلام يشبه كثيرا ماقاله طاليس ، مما دعا هؤلاء المؤرخين إلى القول بأن الفلسفة قد نشأت فى بلاد العراق بين النهرين [2] .

ولقد قرر العلماء المشتغلين بالبحث فى الإنسان وخواصه أن بعض النظريات الاغريقية لايمكن أن تكون من أصل أغريق لأنها توفرت فيها جميع شرائط العقلية الشرقية وخواصها [3] .

ويقول جوستاف لوبون :

أنه إلى زمن ليس بالبعيد كان الناس يعتقدون أن اليونان غير مدينين فى فنونهم وعلومهم وآدابهم لغيرهم من الأمم التى سبقتهم ولكن هذا الرأى لم يعد التسليم به ممكنا ، فإنه وإن كانت الحضارات القديمة قد بلغت الأوج فى بلاد الأغريق إلا أنها ولدت وتمت فى الشرق ، ونحن نعلم اليوم

---

(١) ص ٤٢ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

(٢) ص ٨ — ٩ ربيع الفكر اليونانى د . عبد الرحمن بدوى

(٣) ص ١٦ تاريخ الفلسفة الشرقية د . محمد غلاب

أنه فى العصر الذى لم يكن فيـــه اليونان إلا جهلة وبرابرة ، وكانت هناك حضارات لامعة زاهرة على ضفاف النيل وفى سهول كلديا .

مراحل الفلسفة اليونانية

لقد مرت الفلسفة عند اليونان فى عدة مراحل : -

المرحلة الأولى : ماقبل سقراط وتبتدىء من طاليس المالطى فى الجيل السابع إلى سنة ٤٨٠ قبل الميـــلاد .

وفى هذه المرحلة الباكرة لم يكن الفكر اليونانى قد استحق بعد أن يصنف تحت خانة الفلسفة الناضجة ، ذلك لأن اهتماماته كفكر كانت متوزعة ضعيفة التركيز يمازجها الشعر والدين ، وضاع منها الكثير ، ولكن رغم ذلك نستطيع فى هذا الطور أن نبين خطوطا مستقلة للفكر اليونانى وقد نفرز هـــذه الخطوط فى أربعة مذاهب فكرية هى سبل الفكر اليونانى القديم .

هذه المذاهب هى :

(ا) المذهب الطبيعى أو الأيونى .

(ب) المذهب الرياضى أو الفيثاغورى .

(ج) المذهب الماورائى أو الإيلى

(د) المذهب السفسطائى .

المرحلة الثانية : العصر السقراطى من سنة ٤٨٠ إلى ٣٩٩ ق . م وفى هذا العصر اتجهت الأبحاث الفلسفية من عالم الطبيعة إلى الإنسان يقول

شيشرون عن سقراط أنه أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض وأدخلها إلى صميم المدن والبيوت .

المرحلة الثالثة : بعد أرسطو وتبتدىء من تاريخ وفاة هذا الفيلسوف سنة ٣٢٢ ق م وتنتهى بالمدرسة الأفلاطونية الحديثة فى القرن الثالث الميلادى ومباحث الفلسفة فى هذا العصر اتجهت إلى علم الأخلاق والخير الأعظم وتناولت الفلسفة كل فرع من فروع العلم وقد وصلت إلى درجه رفيعة من التقدم وخاصة على يد الفيلسوف الكبير أرسطو .

المرحلة الرابعة : الأفلاطونية الحديثة من القرن الثالث الميلادى إلى سنة ٥٢٩ ميلادية حيث أغلقت المدارس الفلسفية بأمر الامبراطور (جوستنيان) حيث لم يجد للفلسفة فائدة بعد أن هجر المدارس طلابها .

المدرسة الأيونية

الطبيعيون الأوائل

كانت المدرسة الأولى التى ظهر فيها التفكير الفلسفى المنظم هى مدرسة الطبيعيين الأوائل ، وكان أول فيلسوف ظهر فى هذه المدرسة هو (طاليس) مؤسس المدرسة الأيونية الذى ولد حوالى سنة ٦٢٤ ق م فى مدينة ملطية بمقاطعة (أيونيا) على ساحل آسيا الصغرى وتوفى فى سنة ٥٤٦ ق م فعاش نحو قرن من الزمن ويقال أنه فنيقى الأصل .

ولقد كانت حياة هذا المفكر مليئة بالرحلات الهادفة فقد جال أنحاء الشرق وأقام درحا فى مصر على عهد أمازيس وتبحر فى العلوم وعمل كمهندس حربى فى خدمة آخر ملوك ليديا فى آسيا الصغرى وبرهن على أن الزوايا المرسومة فى النصف من الدائرة تكون قائمة وكان يقوم بحساباته من فوق برج أبعاد السفن فى البحر من الشاطىء ، وأنبأ بكسوف الشمس الكلى الذى حدث فى نهاية مايو عام ٥٨٥ قدم ووضع تقويما للملاحين من أهل وطنه ضمنه إرشادات فلكية وجويه ، منها أن الدب الأصغر أدق الكواكب دلالة على الشمال وفى الفترة التى قضاها فى مصر أخذ علم المساحة وشغل بمسألة فيضان النيل ودل أساتذته المصريين على طريقة لقياس ارتفاع الأهرام ، وكانوا قد تعبوا فى البحث عنها ، فأرشدهم إلى أن ظل الشيء يساوى ارتفاعه فى وقت من النهار فطول ظل الأهرام فى ذلك الوقت هو مقدار ارتفاعها وأن النسبة محفوظة بين طول الظل وارتفاع الشيء فى أى وقت .

فلسفة طاليس

كان طاليس — على حد تعبير الشهرستانى — هو أول من تفلسف فى ملطية[1] وكان يقول : أن للعالم مبدعا لاتدرك صفته العقول من جهة هويته ، وإنما يدرك من جهة آثاره . وهو الذى لايعرف اسمه فضلا عن هويته ، إلا من نحو أفاعيله ، وإبداعه وتكوينه الأشياء ويتابع نيتشة رأى الشهرستانى الذى ذهب إليه حيث يرى نيتشة بأن طاليس قد قال بحقائق ثلاث : -

فهو أولا قد تحدث عن أصل الأشياء أو عن الأصل الذى تصدر عنه الأشياء .

وثانيا كان كلام طاليس عن هذا الأصل خاليا من الأساطير .

وثالثا قال : إن كل شيء واحد .

وهذا الواحد الذى أرجع إليه طاليس كل الأشياء هو الماء ولقد حاول أرسطو أن يفسر الأسباب التى دعت طاليس إلى أن يجعل من الماء أصلا لكل الكائنات فقال :

لعل السبب الذى دفع طاليس إلى هذا القول هو أنه رأى أن الكائنات الحية تتغذى من الأشياء الرطبة فالماء إذن أصل الحياة[2] وهو علة كل مبدع وعلة كل مركب من العنصر الجسمانى فمن جمود الماء تكونت الأرض ، ومن

---

(١) ص ٦٦ الشهرستانى تخريج بدران القسم الثانى طبعة ثانية الملل والنحل .

(٢) ص ٩٥ ربيع الفكر اليونانى : عبد الرحمن بدوى .

انحلاله تكون الهواء ومن صفوة الهواء تكونت النار ، ومن الدخان والأبخرة تكونت السماء ومن الاشتعال الحاصل من الأثير تكونت الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب على سببه بالشوق الحاصل فيها إليه[1] .

يقول صاحب قصة الفلسفة اليونانية :

فليس عجبا إذن أن ينهض طاليس أول فيلسوف عرفته الدنيا وأجمع على فلسفته المؤرخون . ويجهر بأن الماء هو قوام الموجودات بأسرها فلا فرق بين هذا الإنسان وتلك الشجرة وذلك الحجر إلا الإختلاف فى كمية الماء الذى يتركب منها هذا الشىء أو ذاك .

أليس الماء يستحيل إلى صور متنوعة فيصعد فى الفضاء بخارا ، ثم يعود فيهبط فوق الأرض مطرا ، ثم يصيبه برد الشتاء فيكون ثلجا ؟ .

إذن فهو غاز حينا ، وسائل حينا ، وصلبا حينا وكل مايقع فى الوجود لايخرج عن إحدى هذه الصور الثلاث[2] .

لقد كان الماء عند طاليس هو المادة الأولى التى صدرت عنها الكائنات وإليها تعود ويستدل طاليس على رأيه هذا بأمور منها .

١ — أننا نجد أن النبات والحيوان مثلا يتغذى بالرطوبة ولا يستطيع الحياة بدونها والرطوبة إنما تنشأ عن الماء. وكما أن قوام الشىء إنما يتكون عما يكون منه ذلك الشىء كان من الطبيعى أن يتكون الإنسان والنبات من الماء .

---

(١) ص ٦٧ الملل والنحل للشهرستانى فى القسم الثانى بدران .

(٢) ص ٢١ أحمد أمين وذكى نجيب فى قصة الفلسفة اليونانية .

٢ — أن التراب يتكون من الماء ويطفى عليه شيئا فشيئا كما يشاهد فى الدلتا المصرية وفى أنهر أيونية حيث يتراكم الطمى عاما بعد عام وما يشاهد فى هذه الأحوال الجزئية ينطبق على الأرض بالأجمال[1] فإنها خرجت من الماء وصارت قرصا طافيا على وجهه، وهى تستمد من هذا المحيط اللامتناهى العناصر الغاذية التى تفتقر إليها.

هذه هى فكرة طاليس الساذجة فى الكون وذلك تفسيره لها باختصار وهذه أول محاوله فكرية لتفسير الكون وفى نقل التفكير اليونانى من الأساطير والخرافات المحضة كما ظهر فى فعل هوميروس إلى نوع من التفلسف أو التأمل فى الكون معتد به كمبدأ للطريق لا كمثال يحتذى فى التفكير الإنسانى[2].

وطاليس هذا أحد الحكماء السبعة فى اليونان، كل واحد منهم اشتهر بحكمة قالها وتجرى الرواية بأن حكمته التى قالها هى أفضل الأشياء هو الماء[3].

---

(١) ص ١٣ تاريخ الفلسفة اليونية يوسف كرم طبعه سادسة.

(٢) ص ٥٦ الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب د. محمد بيصار

(٣) ص ٥٥ تاريخ الفلسفة الغربية رمل ترجمة ذكى نجيب.

أنكسندر

هذا هو الفيلسوف الثانى من فلاسفة المدرسة اليونية التى عاش مابين عام ٦١٢ — ٥٤٧ قبل الميلاد والذى تتلمذ على يد طاليس وكان صديقا له وأصغر منه سنا .

وكان انكسندر مليئا بحب الاستطلاع العلمى ويقال أنه أول إنسان رسم مصورا جغرافيا وأول من ألف الكتب ، استحضر من بابل إلى اليونان (الغنومون) أى المزاولة أو الساعة الشمسية ولقد حاول مقياس النجوم فكان القمر على زعمه أكبر من الأرض تسعة عشر مرة والشمس أكبر منه سبعة وعشرين مرة والأرض اسطوانية الشكل كالعامود وهو واضح المبدأ الشهير « لا يمكن خلق شيء من لاشيء » ولذلك فإن الفيلسوف برتد أندرسل يرى أن انكسندر أحق من طاليس بالعناية .

فلسفته :

رفض هذا الفيلسوف ماذهب إليه أستاذه طاليس فى جعل الماء بالأصل بالوجود معللا ذلك بما يأتى :

١ — أن الماء استحاله اليابس بالحرارة إلى المائع وإذا فالجامد سابق على الماء فليس الماء — تبعا لذلك — مبدأ أولا للكون .

٢ — أن الماء معين ومحدود ولا يمكن أن يكون المبدأ الأول معينا أو محدودا وإلا لما تولدت منه الأشياء المتميزة ولذلك ذهب إلى أن الأشياء كلها مستمدة من عنصر أول واحد لكن هذا العنصر ليس هو الماء كما ظن طاليس ولاهو عنصر آخر من عنصر آخر تلكم العناصر التى نعرفها ، بل أنه لانهائى وخالد ولا حدود لزمانه وهو يحتوى على العوالم كلها .

وهذا العنصر الأول يتحول إلى العناصر المختلفة التي تألفها ثم تتحول هذه العناصر المألوفة أحدها إلى الآخر وله في ذلك عبارة هامة تستلفت النظر أنه يقول :

أن الأشياء تعود فترتد إلى العنصر الذى منه نشأت كما جرى بذلك القضاء لأنها تعوض بعضها بعضا ، ويرضى بعضها لما وقع منها إجحاف ، كما يقضى بذلك أمر الزمان .

وكان لانكسندر حجة يدلل بها على أن العنصر الأول لا يمكن أن يكون ماء ولا عنصرا آخر غير الماء مما نعرف ، لأنه لو كان بين هذه العناصر عنصر أولى لا كتسح العناصر الأخرى ويروى أرسطو عنه قال .

أن هذه العناصر المعروفة لنا يعارض بعضها بعضا فالهواء بارد والماء رطب والنار حارة وعلى ذلك فلو كان أحد هذه العناصر لانهائيا لزالت العناصر الباقية قبل اليوم وإذن فلابد أن يكون العنصر الأولى محايدا في هذا الصراع الكوني .

وكان ثمة حركة منذ الأزل ، تمت في غضونها نشأة العوالم ذلك أن هذه العوالم لم تخلق كما تقول اليهود ؟ والمسيحية بل تطورت ، وكذلك حدث تطور في مملكة الحيوان . فنشأت الكائنات الحية من العنصر الرطب حين أخذت الشمس تبخره ، والإنسان — كأى حيوان آخر — هو سليل الأسماك

اتجه انكسندر إلى المادة اللانهائية يعلل بها نشأة الكون فزعم أن المادة التي تكونت منها الموجودات هي شيء غامض غير محدود ولا معين تختلط فيه جميع الأشياء فلا هو هذا ولا ذاك : عنه تصدر وإليه تعود بمقتضى حركة أبدية تدفعها يد القدرة فالسموات والعالم نشأت من هذا الشيء اللامحدود تبعا لبعض قوانين ثابتة .

ولما كانت الكواكب آلهة سماوية (على زعمه) فانه يخضعها أيضا لتلك القوانين .

والذى يدهشنا كثيرا أن هذا الفيلسوف قال بنظرية التطور (مذهب النشوء والارتقاء) الذى جاء به دارون فى القرن التاسع عشر .

حيث ذهب إلى أن الحيوانات كانت كلها مائية فلما تركت فيما بعد فى الجفاف تطبقت بحالتها الجديدة ، ثم أخذت فى التطور حتى تشكلت نهائيا بأشكالها الحالية .

والإنسان على رأيه تسلسل من سمكة .

والمادة عند انكسندر لامتناهية من ناحية الكيف لأنها غير متعينة وغير قابلة للاتصاف وكذلك لامتناهية من ناحية الكم لأنها غير محدودة بحدود تميزها عن غيرها وعن طريق الحركة التى تعمل على تجميع العناصر بعضها إلى بعض توجد الأشياء أو تفرق بينها فتنعدم كلية أو يوجد منها شىء أو أشياء أخرى[1] .

---

(١) أنظر ص ٦٧ — ٥٨ تاريخ الفلسفة الغربية ج ١ رسل ترجمة ذكى نجيب و ص ٥٨ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار و ص ١٤ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم و ص ٩٧ ربيع الفكر اليونانى عبد الرحمن بدوى و ص ٢٣ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين وذكى نجيب و ص ٥١ تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

هذا هو الفيلسوف الثالث من فلاسفة ملطية الذى تتلمذ على يد لانكسندر فدرس علم الفلك على مثال من تقدمه وهو أول من رأى أن حرارة الشمس ناشئة عن سرعة الحركة مما يدل على أنه كان ملما بعلم الميكانيكية ، ومن رأيه أن الأرض تشبه المنضدة المستديرة (١) .

وقد كان لانكسيمانس أثر هام فى فيثاغورس — كما كان قوى التأثير فى جانب كبير من التفكير الفلسفى الذى ظهر بعد ذلك — فعلى الرغم من أن الفيثاغوريين قد اهتدوا إلى أن الأرض كروية الشكل ، فقد اعتنق الذريون مذهب انكسيمانس فى أن الأرض شكل القرص المستدير .

فلسفته :

أن الأساس الذى قد تكونت منه الأشياء — عنده ليس هو اللامتناهى كما زعم انكسيمندر بل هو الهواء لأنه ضرورى للحياة وأنه يحيط بكل شىء فيغلف الأرض ويملأ فى نظره جوانب السماء بل ويتغلغل فى الأشياء والأحياء مهما دقت .

لقد رأى انكسيمانس أن مصدر الحياة فى الإنسان هو الهواء لأنه بمجرد انتهاء التنفس تنتهى الحياة فصدر الحياة فى الإنسان إذن هو التنفس أو بعبارة أخرى هو الهواء فنقل انكسيمانس هذا المصدر من الإنسان إلى الطبيعة الخارجية كلها . وفى هذا تظهر صحة رأى نيتشة وهو أن الفلاسفة اليونانيين قد انتقلوا من التشبيه الإنسانى إلى الطبيعة الخارجية مباشرة .

---

(١) ص ٥٩ تاريخ الفلسفة الغربية ج ١ رتسل ترجمة ذكى نجيب .

وكان انكسيمانس يعد النفس روحا هي الهواء أي أن النفس كانت عنده هواء .

كيف نشأ الكون ؟

يحاول انكسيمانس — في تفسيره لنشأة الكون — أن يوضح الفكرة الغامضة التي قال بها انكسندر وهي فكرة الانفصال فيقول أن ذلك يتم عن طريق التخلخل والتكاثف . فالطريقة التي تصدر بها الأشياء عن المبدأ الأول — الهواء — هي بأن يتخلخل أو يتكاشف ويستمر التخلخل حتى تنشأ جميع الأشياء[1] .

فالهواء يتكاثف حينا فيكون شيئا ويتخلخل . حينا فيكون شيئا آخر ، والهواء إذا أمعن في تخلخله انقلب نارا ، فإذا ارتفعت كونت الشموس والأقمار ، وإذا هو أمعن في التكاثف انقلب سحابا ثم أنزل السحاب ماء ثم تجمد الماء فإذا هو تربة وصخور هذا وليست الأرض إلا قرصا مسطوحا يسبح في هواء[2] .

يقول صاحب كتاب الملل والنحل وهو يبين رأى انكيمانس ما كون من صفو الهواء المحض لطيف روحاني لايدثر ولا يدخل عليه الفساد ولا يقبل الدنس والخبث ، وما كون من كدر الهواء كثيف جسماني يدثر ويدخله الفساد ويقبل الدنس والخبث ، فما فوق الهواء من العوالم فهو من صفوه وذلك عالم الروحانيات ، وما دون الهواء من العوالم فهو من كدره وذلك عالم الجسميات[3] .

---

(١) ص ١٠٢ ربيع الفكر اليوناني عبد الرحمن بدوى .
(٢) ص ٢٦ قصة الفلسفة اليونانيه أحمد أمين وآخر .
(٣) الشهرستاني ص ٧٢ ج ٢ بدران .

ويعلق الفيلسوف برتراند رسل على أقوال هؤلاء الفلاسفة فيقول :

ولنا أن تعتبر تأملات طاليس وانكسندر وانكسيمانس فروضا علمية وهى تأملات قد برأت نفسها — إلا فى مواضع نادرة — من إقحام الرغبات البشرية والأفكار الخلقية عند تفسير الكون فالأسئلة التى أثارها هؤلاء فى تأملاتهم كانت أسئلة جديرة بالبحث وجاءت حيويتهم مصدر وحى الباحثين بعدهم[1] .

(١) ص ٥٩ تاريخ الفلسفة الغربية ج ١ .

هرقليطس ٥٤٠ — ٤٧٥ ق م

ولد فى أفسوس من أسرة عريقة فى الحسب وكان متشائما يسىء الظن بالحوادث فلم يكن يرى إلا باكيا وكانت فلسفته غامضة حتى أن سقراط قال أنه لم يفهم منها إلا نصفها وكان يزدرى العلم الجزئى « الذى لا يثقف العقل » وينعى على من يشتغل به وكان يعتبر العلم الجدير به هو التفكير العميق فى المعانى الكلية وكان أسلوبه فخما مبهما وهو على حد تعبيره (أنه لا يفصح عن الفكر ولا يخفيه ولكنه يشير إليه » .

فلسفته :

يرى أن أصل العالم النار فهى المبدأ الأول للوجود ، ولكن لا ينبغى أن نفهم أنها النار المحسوسة التى تراها ونستخدمها فى حياتنا وإنما هى نار إلهية لطيفة جدا ، نسمة حارة حية عاقلة أزلية أبدية تملأ العالم وهى حياته وقانونه هذه النار تتخلخل فتصير نارا محسوسة ثم تتكاثف النار فتصير هواء ثم يتكاثف الهواء فيصير الهواء ماء ثم يتكاثف الماء فيصير أرضا ثم يرتفع من الماء والأرض أبخره تتراكم سحبا فتلتهب وتتقدح وتعود نارا ، يتخلخل اليابس إلى ماء والماء إلى هواء والهواء إلى نار وهكذا باستمرار . فالتغير يجرى فى طريقين طريق إلى أسفل وطريق إلى أعلى ومن تقابل هذين التيارين تتكون الموجودات من الحيوان والنبات وهكذا يستطرد هيرقليطس فى بيان رأيه مما لا داعى إلى الإطالة بذكره .

ولكن نلفت النظر إلى قوله :

أن الأشياء فى تغير متصل « والتغير هو انتقال الأشياء وبالتدقيق الكيفيات من ضد إلى آخر فالساخن يصير باردا والبارد ساخنا ، والجاف

يصير رطبا والرطب جافا ، والنزاع الدائم بين الأضداد هو سنة الوجود أما التحالف بينها فهو يؤدى إلى اختلاط الأشياء بعضها ببعض ، هـــذا الصراع هو علة الحركة الدائمة فى الوجود ولا يسعنا إلا أن نذكر هنا عبارته المشهورة — وكل شىء يسيل ولا شىء يبقى والإنسان لاينزل الماء مرتين لأن — المياه تتجدد باستمرار .

إن الشىء ـ عنده ـ فى تغير مستمر لاينقطع فنحن موجودون وغير موجودين نحن ننزل النهر ولا ننزل من حيث .

أن التغير مستمر ودائم وقد أكد هيرقليطس أن كل مظاهر التغير والصيرورة إنما تحـــدث فى العالم طبقا لنظام دقيق يحقق الإنسجام بين الأضداد ، والذى يحكم هذا النظام هو القانون الإلهى الكامن فى الوجود أنه كما يقول (اللوغوس) أو العقل الإلهى الذى يسرى فى الوجود منذ الأزل وإلى الأبد .

ولد فيثاغور مؤسس هذه المدرسة فيما بين عام ٥٧٠ - ٥٧٤ ق م وهو أول من قال (لست حكيما فإن الحكمة لا تضاف لغير الآلهة وما أنا إلا فيلسوف) فوضع لفظ فلسفة وهى كما تعلمون محبة الحكمة لأول مرة فى تاريخ الفكر البشرى ولم تكن هذه المدرسة التى رأسها هذا الفيلسوف مدرسة فلسفية فحسب بل كانت إلى جانب هذا أو قبل هذا مدرسة دينية أخلاقية ، على نظام الطرق الصوفية .

فإلى جانب المبادىء الفلسفية التى قالت بها هذه المدرسة توجد مبادىء صوفية ومذاهب متصلة بالزهد والعبادة .

ولقد اصطدمت تعاليم هذه المدرسة التى أرادوا أن ينشروها على أهل (كرتونا) بآراء الحكومة فنتج عن ذلك حرق مكان اجتماعهم وقتل وتشريد الكثير منهم .

فلسفتهم :

كان الفيثاغوريون علماء فى الرياضة وفى فن الموسيقى وكانوا يوفقون بين العلم والفن فقالوا : أن العدد مبدأ الموجودات ومادتها ، والأعداد أما فردية وأما زوجية ، فالزوجى غير محدود والفردى محدود أما لأنه يضع حد القسمة على اثنين ، وأما لأنه إذا أضيف على الواحد مجموع الأعداد الفردية تحصل على مربع تام ، وجميع الأعداد التى تزيد على العشرة ماهى إلا تكرار للعشرة الأولى التى هى مصدر الكل فالواحد هو الجوهر الأول الذى يتضمن فى ذاته العددين الزوجى والفردى ، والاثنين أول الأعداد الزوجية كما أن

الثلاثة أول الأعداد الفردية، والأربعة أول المربعات كما أن العشرة مؤلفة من الأربعة أعداد الأول .

وبما أن العدد يؤلف كل شيء كذلك كل شيء يتضمن في ذاته أركان العدد أي الفردي والزوجي أو المحدود والغير المحدود فالفردي والمحدود أحسن الأشياء، وأ كلها والزوجي والغير محدود على ضد ذلك .

ولذلك تتجزأ الأشياء إلى مجموعتين متعارضتين :

الأولى ـ تتضمن الخير والمحدود .

الثانية ـ تتضمن الشر والغير محدود وهذا بيان العشرتين المتقابلين .

١ ـ محدود وغير محدود	٢ ـ فرد وزوج .
٣ ـ وحده وكثرة .	٤ ـ يمين ويسار .
٥ ـ ذكر وأنثى .	٦ ـ سكون وحركة .
٧ ـ معتدب ومنحنى .	٨ ـ مربع ومسيل .
٩ ـ نور وظلام .	١٠ ـ حسن وردى.

وعندهم أنه في البدء كانت توجد نار في وسط الكون وبقوة الجذب تجمعت أجزاء الغير محدود القريبة من مركز تلك النار وتكون منها المحدود أي العالم .

والسبب الذي دفعهم إلى هذا الاتجاه هو كما يقول أرسطو مارأوه من إنسجام بين الأشياء وعلى الأخص بين حركات الكواكب ، فنقلوا هذا الانسجام الموجود في الكواكب إلى الأشياء وحسبوا أن الأشياء أيضا خاضعة لهذا الانسجام ، كذلك لاحظوا ـ من كثرة عنايتهم بالموسيقى ـ أن النغمات أو الانسجام يقوم على الأعداد فالنغمات الموسيقية تختلف

الواحدة منها على الأخرى تبعا للعدد[1] .

وهكذا ذهبت المدرسة الفيثاغورية إلى أن جوهر الكون أعداد رياضية تتركز كلها فى الواحد وهم بذلك قد خطوا بالفلسفة خطوة جديدة نحو التفكير المجرد ، فبدأت الفلسفة منذذلك الحين تتحلل بعض الشىء من تلك النزعة الطبيعية (الفيزيقية) التى سادت عند فلاسفة يونيا ، لتستقبل صيغة جديدة .

ـ هى صبغة الفلسفة فى أصح معانيها ـ أعنى التفكير المحض فما وراء الطبيعة وظواهرها .

ولئن كان جهود المدرسة الفيثاغورية فى ذلك الانتقال ضئيلا مملوءا بالأوهام فإن الفلسفة مدينة لهم بالمحاولة الأولى فى ذلك على كل حال[2] .

---

(١) ص ١٠٨ ربيع الفكر اليونانى د . عبد الرحمن بدوى .
(٢) ص ٣٨ قصة الفلسفة اليونانية .

المدرسة الايلية

أسس هذه المدرسة بارمنيدس وكان قد سبقه فيها أكسانوفان الذى أعلن أصل المذهب الذى وصفه بارمنيدس فى صورته الكاملة وجاء بعده زيتون فنصب نفسه للدفاع عنه . ثم مليسوس الذى أدخل عليه بعض التعديل دون أن يمس جوهره .

ويدور مذهب بارمنيدس باختصار شديد على أن أصل الوجود هو هو الوجود نفسه فليس فى الكون كله إلا هذه الحقيقة وهى حقيقة الوجود .

وإذا كان لا بد لهذا الوجود من أن يتصف بشىء فلا يمكن أن يتصف إلا بأنه موجود :

أن العالم فى رأى هذه المدرسة موجود واحد وطبيعة واحدة لا كثرة فيها ولا تغير ولا حركة ورأيهم بهذا يخالف رأى الطبيعيين الأوائل الذين فرضوا موجودا واحدا (ماء أو هواء أو نارا) واستخرجوا منه كثرة الأشياء بالحركة والتغير العرض[1] .

---

(١) ص ٢٧ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم و ص ٦١ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

مدرسة الذرات

لقد وضع أساس المذهب الذرى لوقيبوس وديمقريطس وسوف يقتصر حديثنا عن الثانى منهما لأننا نجهل تاريخ حياة الأول ولقد ولد هذا الفيلسوف (ديمقريطس) حوالى عام ٤٧٠ ق . م . فى أبديرا بتراقيا وكان كثير السفر طلبا للمعرفة يقول عن نفسه زرت أكثر البلاد وطفت الآفاق البعيدة وشاهدت أغلب الشعوب وتخاطبت مع معظم حكماء عصرى ولم يتفوق على أحد فى بيان الخطوط (الهندسة) حتى ولا المصريون .

ويقول عنه (زلر) :

أنه يفوق كل من سبقه ومن عاصره من الفلاسفة فى اتساع علمه وهو يفضل معظم هؤلاء وأولئك فى حده تفكيره وسلامته المنطقية[1] .

ومن المحقق أن هذا الفيلسوف كانت له علاقة بالفلاسفة برمنيدس وزينون وانكسفوارس وغيرهم وقد أثر هذا فى تكوين أفكاره وآرائه .

مذهبه :

كان ديمقريطس يعتقد أن كل شىء مكون من ذرات ، وأن الذرات لاتقبل الانقسام من الوجهة المادية وإن تكن قابلة لهـــذا الانقسام من الوجهة الهندسية ويذهب إلى أن هناك فراغا يفصل بين بعض الذرات والبعض الآخر ، وأن هذه الذرات يستحيل فناؤها ، وأنها كانت منذ الأزل ، وستظل إلى الأبد فى حركة دائمة ، وأن هناك من هـــذه الذرات عددا لانهاية له . بل لانهاية لعدد أنواع الذرات التى يختلف بعضها عن بعض شكلا وحجما .

---

(١) ١١٢ تاريخ الفلسفة الغربية

ويقول أرسطو : أن الذريين يذكرون أيضا أن الذرات تختلف في درجة الحرارة فأشدها حرارة هي الذرات الكرية التي يتألف منها النار[1].

ومع ذلك فإن هذه الذرات متحدة في الحقيقة .

العالم مكون من ذرات :

هذه الذرات تتحرك من نفسها حركة ذاتية في خلاء واسع لانهاية له فتتلاقى بنتوآتها ويتكون من هذا التلاقي الأجسام المحسوسة أو تتفرق وتتحلل فيحدث من ذلك فساد هذه الأشياء المحسوسة وتكوين غيرها من نفس هذه الذرات .

ويرجع ديمقريطس الاختلاف الحادث بين الأشياء إلى اختلاف الذرات في الشكل والمقدار .

والنفوس عنده مكونة من ذرات أيضا سريعة الحركة كالتي تشاهد في شعاع الشمس المنبثق من كوه إلى داخل غرفة مظلمة أما المعرفة فمصدرها الحواس لأن الأجسام يصدرعنها أثير يتغلغل في أعضائنا فيسبب إحساساتنا ويتسلط على المخ فيكون صور الاشياء وهذه الصور لاتدل على جواهر تلك الاشياء الظاهرة بل على التأثيرات المختلفة الناشئة عنها .

والآلهة كالناس تتركب من تلك الذرات إلا أنها منظمة بأحسن ترتيب ولهذا السبب تعمر طويلا أكثر مما يعيش الإنسان .

---

(١) ١١٣ من المصدر السابق .

ويهيمن فوق الكل ضرورة تحكم السماء والأرض والسعادة فى طاعتها طاعة عمياء وليست السعادة عنده مرهونة بالقصور المشيدة والضياع الفسيحة ، ولكنها متوقفة على الحالة النفسية وحدها فكلما إزدادت هدوءا وصفاء إزد المرء سعادة ونعيما والسبيل المؤدية إلى ذلك هى إعتدال الحاجات وبساطة العيش[1] .

---

(١) ص ٨١ قصة الفلسفة اليونانية .

النزعة السوفسطائية

لعل تيارا من التيارات الفلسفية لم يصادف من الاختلاف فى تقديره مثلما صادف تيار النزعة السوفسطائية خصوصا فى تفكيرهم الفلسفى العلمى .

فنجد أفلاطون قديما يحمل على السوفسطائية حملة عنيفة شعواء وعلى آرائهم فى السياسة والأخلاق خاصة .

وسار أرسطو على نهج أفلاطون ومحا كل ما للسوفسطائية عن مكانه فى تاريخ الفلسفة .

أما هيجل فى العصر الحديث فنراه قد ارتفع بالنزعة السوفسطائية ارتفاعا كبيرا فى كتابة (تاريخ الفلسفة) وجعلها لحظة أساسية من لحظات تطور الفلسفة عند اليونان .

وسار على هـذا النهج جوزيه ستنا الذى وضع كتابا بعنوان (نزعة السوفسطائيين اليونانيين) عام ١٩٣٨ وقد عد هذا الرجل من أكبر المدافعين عنها .

وفى رأينا أن النزعة السوفسطائية — مهما قيل فيها أو قيل عنها - قد ساعدت بصوره أو بأخرى على تطور التفكير البشرى ويكفى أنهم مؤسسو علم البلاغة كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين .

النشأة :

لقد انقلبت الحياة السياسية اليونانية فى القرن الخامس قبل الميلاد رأسا على عقب وانتصرت الديمقراطية على الأرستقراطية وبدأت فى هذه الحياة الجديدة تنمو الروح الفردية وعلى هذا فالحياة السياسية كانت تقتضى

أن توجد طبقة من الناس تعلم كل مواطن يريد أن يصل إلى قيادة لدولة كي مايحقق له هذا الغرض فكانت النزعة السوفسطائية استجابة لهذه الحاجة الملحة التي شعر بها اليونانيون وكانت كذلك ثمرة للتنازع الكبير والصراع الخطير بين أفراد الشعب اليوناني حول الروح الفردية والنزعات العامة التي كانت موجودة عند كل المفكرين والفلاسفة اليونانيين الذين سبقوا السوفسطائيين (١) وقد طغت آنذاك موجة من الشك وعمد الناس إلى القديم يهدمونه بكل ماوسعهم من معاول فانهارت عقائد الدين وانحلت الأخـــلاق وتحطمت القوانين ونشبت الصراعات فكانت السوفسطائية هي المرآة التي انعكست على صفحتها صورة هذا التيار الجارف فمثلوا بفلسفتهم وتعاليمهم ما بدا من القوم في حياتهم العملية من ميول ونزعات (٢)

التسمية :

أن اسم السوفسطائيين مشتق في الأصل من كلمة يونانية هي (سوفيست) ومعناها الحكيم أو معلم أو أستاذ ولم يكن لهذه الكلمه معنى مرذول في أول أمرها فقد كان السوفسطائي يكسب عيشة بتعليم الشباب بعض الأشياء التي كان يظن أنها قد تنفعهم في حياتهم العملية ، ولما كانت الدولة لاتخصص من مالها شيئا لمثل هذا النوع من التعليم فقد كان السوفسطائي يأخذ أجره من مال المتعلم نفسه .

ولكن سرعان ما لحق هذا الإسم التحقير والإهانة عندها أخذ السوفسطائيون يجادلون ويغالطون لا للوصول إلى الحقيقة بل بقصد التمويه والتضليل على الناس وأخذ الأجر منهم تحقيقا للثراء العريض .

---

(١) ص ١٦٨ ربيع الفكر اليوناني .

(٢) ص ٩٧ قصه الفلسفة اليونانية أحمد أمين وآخر .

وجعلوا بذلك التعليم تجارة وحرفة يتكسب بها فصار اسم السوفسطائى تبعا لذلك معناه المضلل أو المبطل وعرفت كلمة سفسطه بالتنويه والتغليل .

ولقد كان هدف السوفسطائى تخريج طائفة من الشباب يحذقون الجدل وفن الخطابة ويقدرون على إثبات الشيء ونقيضه فى وقت واحد ويأتون بالحجج الخلابة والكلمات البراقة التى تستولى على مسامع الناس ومشاعرهم فى مختلف المسائل والمواقف[1] ومن أشهر مذاهبهم ، مذهب بروتاجوراس وجورجياس .

---

(١) ص ٤٥ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم .

بروتاجوراس

ولد بروتاجوراس حوالى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد فى أبديرا وهى التى ولد منها ديمقريطس وبعد أن تعلم الخطابة وتمرن على فنونها فى وطنه قصد أثينا حيث أخذ فى نشر كتاب أسماء الحقيقة أو فى الآلهة جاء فيه .

أما عن الآلهة فلست أرانى عن يقين من جودهم أو عدم وجودهم ، ولا من شكلهم كيف يكون ؟ ذلك لأن ثمة أشياء كثيره تعوق المعرفة اليقينية وهى غموض الموضوع وقصر الحياة البشرية[1] ومن هنا فقد اتهم بالالحاد وحكم عليه بالأعدام وأحرقت كتبه علنا ففر هاربا ومات غرقا فى أثناء فراره .

فلسفته :

أن المحور الذى دارت حوله فلسفة هذا الرجل بل فلسفة السوفسطائيين جميعا ماحكاه أرسطو فى مؤلفه .

(ما بعد الطبيعة) هو الإنسان مقياس كل شىء) أنه مقياس الأشياء جميعا ، مقياس مايوجـــد منها ومالا يوجد ولقد شرح أفلاطون هذه العبارة بقوله .

يتبين معناها بالجمع بين رأى هرقليطس فى التغير المتصل وقول ديمقريطس أن الإحساس هو المصدر الوحيد للمعرفة ويترتب على ذلك أن الأشياء هى

---

(١) ص ١٢٩ تاريخ الفلسفة الغربية وص ٤٦ تاريخ الفلسفة اليونانية وص ١٠٠ من قصة الفلسفة اليونانية .

بالنسبة على ما تظهر لى وهى بالنسبة إليك على ما تظهر لك وأنت إنسان وكل إنسان يحكم بما يعرفه وحكمه حق

ولما كانت أحكام الناس تختلف فى الشىء الواحد . فما يراه هذا صوابا يراه الآخر خطأ ويشك آخر فى صحته وفى خطئه ، فكل واحد مخطىء ومصيب فى آن واحد لأن الحقيقة تابعة للشعور الخفى الذى نحس به ، وماصدق الشىء وكذبه إلا حسبما يستحضره الإنسان صدقا أو كذبا . وعلى ذلك فقد أنكر بروتاجوراس حقائق الأشياء فليس هناك حقيقة يتفق عليها الناس لأنه الحقيقة عنده أمر اعتبارى ، فكل شىء حق بالنسبة إلى الشخص واعتقاده الشخصى وأن رآه غيره من الناس باطلا .

ذلكم أن الإحساس عنده هو المصدر الوحيد للمعرفة ولما كان الأفراد يختلفون سنا وشعورا وتكوينا فهم تبعا لذلك يختلفون فى الإحساس أيضا .

أليس يحدث أن هواء بعينه يرتعش منه الواحد ولا يرتعش الآخر ويكون عنيفا على الواحد خفيفا على الآخر ، فماذا تقول فى هذا الهواء ؟ .

هل تقول أنه بارد أو تقول بالعكس من ذلك تماما بل أن إحساسى الشخص الواحد يختلف ويتعدد باعتبار وقتين ، وإذن فلا يمكن أن نصل — بالاحساس — إلى حقيقة عامة يتفق عليها الناس ، وتبعا لذلك لا يوجد شىء واحد فى ذاته ولا يوجد شىء يمكن أن يوصف بالضبط فكل شىء فى [illegible]ول مستمر .

ويخلص بروتاجوراس من هذا كله إلى أن الحقيقة نسبية واعتبارية باعتبار كل شخص وليس هناك خطأ أو صواب أصلا .

ولقد طبق الرجل رأيه فى الأخلاق أيضا فأنكر أن يكون هناك قانون خارجى أخلاقى عام يخضع له الناس جميعا وإنما المسألة ترجع إلى إحساس الشخص نفسه ، فما تراه حقا فحق لك وما رأيت عمله فاعمله ويكون مشروعا ولا يوجد ركن خاص لتعريف العدل والظلم أو القداسة وما إلى ذلك .

جورجياس ٤٨٠ – ٤٧٥

ولد هذا السوفسطائى فى ليونتيوم من أعمال صقلية وأخذ العلم عن أنبادوقليس واشتغل بالطبيعيات مثله وعنى باللغة والبيان فكان أفصح أهل زمانه وأبلغهم قدم أثينا فاستولى على ألباب أهلها ببلاغته ، ويصوره أفلاطون فى الحوار المعنون بأسمه مفاخر بمقدرته على الإجابة عن أى سؤال يلقى عليه وقد عظم صيته وكثرت ثروته وجاءه الأجل المحتوم وهو فى سن المائة أو يزيد .

فلسفته :

لقد وضع هذا الرجل فلسفته فى كتاب كتبه عن الطبيعة أو اللاموجود قال فيه بقضايا ثلاث .

الأولى : أنه لاشىء .

الثانية : أنه حتى لو وجد شىء فإن هذا الشىء لا يمكن أن يدرك .

الثالثة : حتى لو أمكن إدراكه فإنه لا يمكن أن يعبر عنه ويوصل إلى الغير .

ويسوق جورجياس لتأييد هذه القضايا حججا كثيرة وهو فى هذا متأثر بالأيليين وخصوصا بطريقة زينون فى المحاجة .

فالنسبة للقضية الأولى التى تقرر : أنه لاشىء موجود فقد تابع فيها

الفلاسفة الإيليين الذين أنكروا وجود الاشياء التي تقع تحت الحواس والذين أثبتوا أن صفة الوجود وحدها هي الموجودة ، أما كل هذه الاشياء التي تملأ جوانب الكون والتي تطرأ عليها الحركة والتغير فباطله خدعتنا بها الحواس .

وفي أبطاله المحسات كان يقول :

إذا كان هناك في الوجود شيء فلابد أن تكون له بدايه ، وهو إما أن يكون قد نشأ من العـــدم ، أو من وجود سابق له فأما النشأة من العدم فمستحيلة لأن شيئا لايخرج من لاشيء ، — وأما تسلسله من وجود قبله فهذا ينبغي أن تكن له بداية وإذن — فلاشيء موجود .

وأما القضية الثانية : متى تقرر أنه حتى لو فرضنا وجود شيء فلا يمكن معرفته ، فهي نتيجة لازمة لعقيدة السوفسطائيين في اعتماد تحصيل المعرفة على الحواس وحدها دون العقل ومادامت إدراكات الحواس تختلف عند الأشخاص ، بل تختلف ، عند الشخص الواحد في الظروف المختلفة فلا يمكن الجزم بحقيقه الشيء كما هو .

وأما القضية الثالثة : التي تقول : إذ أمكن معرفة شيء فلا يمكن إيصاله إلى الغير .

فإن ترتيب المعرفة على الحواس في رأي — السوفسطائيين يؤيد هذه القضية ، ذلك أن مايصل عن طريق الحس لايمكن نقله إلى شخص آخر [1].

هذا هو مذهب السوفسطائيين في إيجاز شديد في الحقيقة وفي المعرفة ،

---

(١) ص ١٠٣ قصة الفلسفة اليونانية .

إنكار للوجود ذاته وجحود للعقل فى جوهر رسالته ، وتنكر لكل ماتعارفت عليه الإنسانية من قيم وماورثت من مبادىء .

ولقد طبقوا فلسفتهم هذه على الأخلاق والقانون وعلى السياسة فلم يبقوا ولم يذروا فكانوا معاول هدم لنظام الدولة والدين والأخلاق مما جر عليهم سخط الناس جميعاً وجعلهم موضع سخرية من الفلاسفة الذين جاءوا من بعدهم .

ومع كل هذا فإنهم ملأوا الجو اليونانى بلون من الضجيج والصخب أحدث نوعا من الانتعاش والحركة إيجابا وسلبا بناء أو هدما وولدوا شعورا بالتنافس ورغبة ، فى السبق وطموحا أى طموح مما اعتبر ممهدا إلى حد بعيد لما جاء بعدهم من تقدم فكرى ونضوج — فلسفى ظهر على يد فلاسفة اليونان العظام سقراط وأفلاطون وأرسطو فمن الأمانة العلمية — إذن أن نقرر أن السوفسطائية . أسدت إلى الفكر الإنسانى وإلى الفلسفة النظرية جميلا لايلسى فى تطور ذلك الفكر أثرا بالغا كان بدء لضوء جديد مهما كان خافتا وضيلا فقد أنار الطريق لمن جاء بعدهم فى ذلك الاتجاه الجديد .

ذلك أنه بينما ظل التفكير الفلسفى على يد فلاسفة اليونان السابقين على السوفسطائيين محصورا فى دائرة الكون والعالم الطبيعى بل وفى أضيق دائرة من هذا العالم الطبيعى وهى دائرة نشأته وأصله الذى انحدر منه فإننا نجد السوفسطائيين يوجهون التفكير الفلسفى إلى الإنسان فقط وإلى ملكاته وما به من قوى وماله من مركز فى الوجود وما يسعى إليه من أهداف وغايات ، لحصر

السوفسطائيون موضوع الفلسفة فى الإنسان وحولوا تفكير الفلاسفة إليه وإن لم يذهبوا فى هذا الاتجاه إلى أبعد من ذلك ولم يحاولوا التعمق فيه إلا بقدر ضئيل . وما كان لبعضهم فى هذا من مجهودات قد أضاعه عليهم إنكارهم الصارم القاطع لحقائق الاشياء وعدم اعتدادهم فى المعرفة بغير المحسوس[1] .

---

(١) ص ٧٣-٧٤ الفلسفة اليونانية ، مقدمات ومذاهب د. محمد بيصار

تقويم آراء السوفسطائيين

لقد كان لآرائهم أثر كبير في تبديل كثير من مواقف الناس ؛ فحل التسامح في قبول الرأي ونقيضه محل الحقيقة الموضوعية المطلقة وحملوا راية التغيير فهبت رياح الأفكار في تنافس شديد بل وفي تصادم وتصارع بين القديم بقيمه ومثله وتقاليده وعاداته وبين الجديد بآماله وأفكاره وتطلعاته .

وكانت لهم آراء وضعت البذور لتغيير شامل في الأنظمة الاجتماعية فقد ذهب هيبياس إلى أن هذه الأنظمة تخالف قوانين الطبيعة إذ تفرض أوضاعا مضادة لسنن الطبيعة ؛ فالناس متساوون في الطبيعة التي لم تخلق أحداً عبداً ، وإنما ذلك من تحكمات الناس وإلى مثل ذلك ذهب انتيفون فالناس سواسية لا فرق بين إغريقي وبربري ولا بين نبيل وعبد .

وإذا كان أمثال هؤلاء قد انتقدوا الواقع ، فإن سوفسطائيين آخرين قد كشفوا النقاب عن هذا الواقع في السياسة فذهب جورجياس وتلميذه كاليكلس إلى أن الحق هو القوة أو أن القوة هي الحق ، وأن القوانين تشريعات وضعتها أغلبية من الضعفاء للحيلولة دون تفوق الأقوياء ، وهذه القوانين وضعية وليست طبيعية لأن الطبيعة تقتضي سيادة القوى .

لقد نشأت صلة قوية - بفضل السوفسطائيين - بين الفلسفة وبين المجتمع إذ سخر هؤلاء الفلسفة للخدمة العامة ولم يروا فيها رأى الأولين من نظر مجرد في الوجود ، فقد كان الفكر الفلسفي قبل ظهور السوفسطائيين متجهاً نحو العالم الخارجي مستغرقا فيه ، ولكن الظروف السياسية والاجتماعية قد حولت مسار الفكر إلى الاهتمام بالإنسان وكان السوفسطائيون هم رواد هذه الحركة ، ولقد اختلفوا عن الفلاسفة السابقين

فى الموضوع والمنهج والغاية ، فهم قد اتخذوا الإنسان وحضارته موضوعا لهم بينما شغل الفلاسفة السابقون بالوجود الخارجى واتهجوا منهجا تأمليا جدلياً من أجل وضع مبادىء عامة لتفسير الوجود ، أما السوفسطائيون فقد شغلوا بجزئيات الحياة ومن ثم كان منهجهم واقعيا تجريبيا إن صح هذا التعبـــير .

وكان هدف الفلسفة نظرى إذ يتحرون البحث فى الحقيقـــة أما غاية السوفسطائيين فعملية إذ يلقنون تلاميذهم ما يعينهم على الحياة .

وإذا كان شيشرون قد وصف سقراط بأنه أنزل الفلسفة من السماء وأودعها المدن وأدخلها البيوت وجعلها ضرورية لكل بحث فى الحياة والأخلاق فإن هذا الوصف يصدق تماما على السوفسطائيين لأن سقراط يختلف معهم مذهبا ولكنه لا يختلف معهم فى موضوع الفلسفة : الإنسان والأخلاق والحياة[1].

إننا لا ننكر أنه كان لآراء السوفسطائيين أثار سلبية حيث ألبسوا الحق ثوب الباطل وخلعوا على الباطل رداء الحق وانتشرت موجات من الشك عندما ترددت فى ربوع المجتمع عبارة بروتاغوارس : الإنسان مقياس الأشياء جميعا ، وأن الآلهة موجودون بالنسبة لمن يعتقد بذلك وغير موجودون بالنسبة لمن لا يعتقد ذلك ، وأنه لا يعرف عن حقيقة الآلهة شيئا لغموض الموضوع وقصر الحياة وعندما دوت عبارة جورجياس ما من دليل إلا وينهض مقابله دليل ومع هذا كله فلا يستطيع أحـــد أن ينكر أنه كان لآراء السوفسطائيين أثار إيجابية كذلك فقد عبروا عن روح حضارتهم فى عصرهم

---

(١) أنظر ص ٨٦ وما بعدها بتصرف من الحضارة الإغريقية جـ١ دكتور أحمد صبحى .

تماما كفلاسفة عصر التنوير فى القرن الثامن عشر . وأفكارهم ليست فلسفة حضارة فحسب بل إنها تعد حركة رائدة فى مجالات متعـــددة ، فهم - وبروتاغوارس على وجه الخصوص - أول من نبه إلى قيمة التربية وأهميتها فى إرشاد النشء ، فلقد كان الأثينيون يعتقدون أن الأخلاق ميل طبيعى ولكن بروتاغوارس أكد إمكان ترويض النفس البشرية ونزع نزعات الشر كما يمكن للطبيب علاج أمراض الجسم وأن العقاب يقصد به الردع لا الانتقام .

كذلك يعد السوفسطائيون الرواد الأوائل فى علوم اللغة إذ لفتوا النظر إلى أهمية اللغة فى الجدل وضرورة تحرى دقة الألفاظ .

وإذا كان جورجياس قد جعل من الخطابة علما فإن بروديكوس قد جعل من المترادفات مبحثا له أهميته حتى أصبح مرجع المتحاورين فى دلالات الألفاظ وصحة استعمالاتها .

وقد حـــدد السوفسطائيون كذلك بعض موضوعات علوم السياسة والاجتماع والتاريخ وهل الدولة أو المجتمع نظام طبيعى تلقائى أم وضع تحكمى؟ بذلك حددوا المشاكل بصرف النظر عن تقييم ما قدموه من حلول[1] .

يكفى أن نقول إن هذه الحلول - مهما قيل عن سلبيتها - كانت الحافز وراء ظهور أكبر المدارس الفلسفية فى بلاد اليونان وأعنى بها المدرسة السقراطية الكبرى سقراط وتلامذته فإن كثيراً من نظرياتهم لاسيما فى الأخلاق والسياسة إنما جاءت ردوداً على آراء السوفسطائيين .

---

(١) ص ٩٠ من الحضارة الإغريقية د. أحمد صبحى مؤسسة الثقافة الجامعية

سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق.م)

كانت فلسفة سقراط الإنسانية — بحق — هى أول خطوة من خطوات التفكير الفلسفى المنهجى الصحيح عند اليونان كما كانت كذلك حجر أساس لما جاء بعدها من فلسفتى أفلاطون، وأرسطو ، ولقد أجمع المؤرخون أو كادوا على أن سقراط فى تاريخ الفكر اليونانى بل والإنسانى كان من القوة بحيث أتيح لإسمه أن يشطر الفلسفة اليونانية ، شطرين . ماقبله وما بعده .

ولقد كان سقراط صوره رجل من طراز خاص ، رجل شديد الثقة بنفسه ، يسمو بتفكيره عن السفاسف ولا يأبه للنجاح فى الدنيا ، ويعتقد بأنه مهتد بصوت مقدس ، ومؤمن بأن التفكير الواضح أهم ماتتطلبه الحياة الصحيحة وكانت تنتابه فى كثير من الأحيان موجات من الحماس والجذب الصوفى الحقيقى يحمل نفسه على الصعود به إلى مرتبه من السمو محرمة على غيره من عامة الناس قال الذين يعرفونه إن من عادته أن يقف فى أى مكان ويذهل عن نفسه بغير ماسبب وكان مما يثير الدهشة عند الناس جميعا عدم احتفاله بحرارة أو بروده بجوع أو ظمأ وكانت له سيطره عجيبة على شهوات جسده يقسو عليه ليروضه على طاعة العقل ولقد وجه عنايته للفلسفة موقف حياته عليها لإيمانه بأن الفلسفة هى رسالته فى الحياه وكان يؤثر الحديث إلى الشباب ويهدف من ذلك إلى إصلاح ما أفسده السوفسطائيون من أمرهم ولكى يبصرهم بالحق والخير ليهىء لبلاده مستقبلا طيبا على أيديهم ومع هذا كله فقد كان فيلسوفنا متواضعا وكان يقول : لست حكيما وإنما أنا محب للحكمه بينما كان السوفسطائيون يدعون أنهم كانوا يغرسون المبادىء الهدامة فى نفوس الشباب ، وكثيرا ما كان يردد هذا الرجل أنا أعرف شيئا واحدا وهو أنى لا أعرف شيئا) ولقد كان سقراط يؤمن بأنه يؤدى

رسالة فرضتها عليه الآلهة ، ولقد ذهب أحد مريديه (شريفون) حاجا إلى معبد راغني فسأل الكاهنة : هل بين الرجال من هو أكثر حكمة من سقراط فأجابت لا . وعلم سقراط بهذا وأمن بأن الآلهة لاتكذب فأخذ يمتحن كل مايلقاه وكل من يدعى العلم والحكمة ليرى مدى صحة هذا الحكم الذى حكمت به الكاهنة عليه ووصفته به ولكنه تبين له جهلهم وأنهم لايعلمون من الحكمة شيئا وإنما الظن يملأ عقولهم ولذلك فقد خلص إلى أن مراد الآلهة أنه أحكم الناس وذلك لأنه يعترف بجهله وأما غيره فجاهل يدعى العلم ولقد لقيت فلسفة سقراط ماهى جديرة به من الإقبال والإجلال فالتف حولها شباب أثينا ومريدو الحكمة من أهلها وغيرهم ينهلون من مواردها العذبة الشهيه وأصبح سقراط علما مرموقا جذيرا بالأحترام حينما نازل السوفسطائيين وأفحمهم وهدم نظريتهم القائلة لاحقيقة لشىء من الأشياء تجمع عليها العقول فأثبت سقراط على رغم السوفسطائيين أن حقائق الأشياء ثابتة وأن المعارف الإنسانية مبنية على أساس محكم موثوق به .

ولقد أحنق سلوك سقراط بعض الأثينيين نوشوا به إلى الحاكين يتهمه أنه ينكر الآلهة ويقول بإله واحد وأنه يفسد بتعاليمه شباب أثينا ولقد حكم عليه بالموت ولما أودع السجن أراد بعض تلاميذه أن ينقذوه من براثن الموت فحسنوا له الهرب وبذلوا مساعيهم فى ذلك ولكنه أجابهم فى كبرياء الحكماء بأن ليس من الأخلاق أن يفر من قوانين أثينا التى طالما حماها من أعدائه وأعداء وطنه .

منهج سقراط فى البحث :

كان بحث هذا الفيلسوف يقوم على التهكم والتوليد فالتهكم أو السؤال مع تصنع الجهل هو أن يقول سقراط لمن يدعى العلم . أنا لا أعلم عن هذا الموضوع شيئا وأريد أن أعرفه منك ثم يبدأ فى أسئلة وهى مرتبة ترتيبا

منطقيا حتى يظهر له تناقضه فى قوله وجهله بالموضوع وغرضه من هذا تخليص النفوس من العلم السوفسطائى الزائف وتهيئتها لقبول الحق وذلك على منوال ماعرف بأن (التخلية قبل التحلية) .

أما التوليد : فيبنى على استنباط الحقيقة عن طريق توجيه الأسئلة فى نسق منطقى وترتيب فكرى فيستخرجونها من نفوسهم وماطبعت عليه من معان فطرية وتصل إلى الحقيقة بذلك يعتقد أن النفوس قديمة وأنها نسيت ماعلمته عند اختلاطها بالمادة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن سقراط هو أول من استخدم الطريقة الحوارية أو طريقة التهكم والتوليد ، فبواسطة التهكم يتمكن سقراط من أن يزعزع مافى نفس صاحبه من اليقين الذى يعتقده والذى لاأساس له ، وفى هذه الطريقة كان سقراط يدور حول المباحث الفلسفية فى هوادة وتأن إلى أن يجد مسلكا ينفذ منه إلى نتيجة يريدها ، فكان هذا الفيلسوف يجول فى أنحاء أثينا وفى طرقاتها مدعيا الجهل وأن شعوره بجهله يدفعه إلى أن يلتمس المعرفة من أهلها فلم يضع سقراط فى فلسفته هذه مسألة معينة يتناولها بالبحث والتحليل وإنما كانت المشكلة التى يريد بحثها تأتى عرضا ثم ينتهز الفرصة ويتحدث فى المشكلة مع صاحبه فيحاور ويناقش ويسأل حتى يتبين لصاحبه خطؤه وما يزال سقراط فى حواره هذا حتى ينتهى إلى حقيقة ثابتة لاتحتمل الشك ولا النقد ولا الجدال ومن ثم يصل مع صاحبه إلى مرحلة توليد الأفكار وبعد أن يبين لصاحبه مقدار عجزه عن كشف الحقيقة يأخذ فى إلقاء أسئلة أخرى حتى تنكشف بواسطتها الحقيقة النهائية ومن هذه الطريقة نرى أن سقراط كان يولد الأفكار وهذا ما دفعه إلى القول « بأنه كان يولد الأفكار من محاوريه كما كانت أمه تولد الجنين من الحوامل » .

والمتأمل فى الطريقة السقراطية يجد أن المحاور يمر بثلاث مراحل متتابعة :

أولا : مرحلة اليقين الذى لاأساس له من الصحة ، وهى مرحلة يراد بها إظهار جهل الخصم وغروره وإدعائه العلم وقبوله لما يلقى عليه من غير أن يحتكم إلى المنطق السليم أو الفكر المستقيم

ثانيا : مرحلة الشك وفيها تتوالى أسئلة سقراط والإجابة عنها حتى يتردى المتكلم ويقع فى حيرة لا مخلص منها ويبدو التناقض فى عباراته فيأخذه الغضب ويعتبر سقراط ثقيل الظل أشأم الطلعة ، ولكن شيخ الفلاسفة كان يقابل كل كلام من هذا النوع بالصبر الجميل والإبتسامة الهادئة ، ويقود صاحبه إلى صميم الموضوع الذى يدور حوله الجدل ولا يزال آخذا بزمامه حتى يتملكه الخجل ويشعر أنه تعرض لشىء لاعلم له به ولا مجال له فيه ، ويوقن بأنه جاهل مغرور وتشتد رغبته فى طلب العلم ومعرفة الحقيقة وحينئذ تبدأ المرحلة الأخيرة

ثالثا : مرحلة اليقين بعد الشك ، وفى هذه المرحلة يقصد فيها البحث من جديد فى الموضوع ومعرفة الأمثلة التى توضح الحقيقه وتميزها عن غيرها وملاحظة مابينها من أوجه الشبه وأوجه الخلاف والوصول إلى تعريف منطقى جامع لايجد الشك إليه سبيلا ، إنها مرحلة تقوم على أساس الإدراك العقلى لاعلى أساس التصديق الساذج .

هذا وقد علق « سيرجون أدمز » الإنجليزى على الطريقة السقراطية بمثال تطبيقى يشير إليه على سبيل الإيضاح إذ قال :

هب أن سقراط استطاع الرجوع إلى الحياة واستطاع التكلم باللغة

الإنجليزية ثم أخذ كعادته يغشى الأماكن العامة ، فصادفه طالب من طلاب العلم يتربض فى إحدى المتنزهات العامة وعليه دلائل الزهو والغرور بمعلوماته ومعارفه .

لا يتردد سقراط — عندئذ — فى أن يتقدم إلى هذا الطالب فيتلطف له فى الحديث ويوجه نظره إلى جمال المنظر وما يرى بين أشجاره وأزهاره من طيور وحشرات حتى إذا أنس صاحبه به فاجأه بسؤال لا تظهر فيه أمارات التعمد فقال : ما الذى يراد بالحشرة ياصاحبى ؟ فطالما سمعت الناس يذكرون الحشرات ويتكلمون عنها وطالما تاقت نفسى إلى معرفتها معرفة صحيحة ، فيرد عليه هذا الطالب بأن الحشرة حيوان صغير له أجنحة .

فيقول سقراط : لابد أن الدجاجة حشرة . . . وما يزال بالطالب حتى تظهر له معايبة فيتدارك خطأه ، ويحاول أن يجيب إجابة أخرى يظن أنها خالية من النقص ، ولكن سرعان ما يظهر له سقراط خطأه فيرى الطالب قصوره ولا يجد بدا من الاعتراف بجهله ، وأنه لا يعرف الموضوع معرفة صحيحة كما كان يخيل إليه بادىء الأمر .

وحينئذ يلقى عليه سقراط أسئلة سديدة تستميله إلى البحث من جديد ويبين له طرق التفكير حتى يصل بنفسه إلى الحقيقة[1] .

---

(١) ص ٢٥٠ — ٢٥١ من كتاب التربية للدكتور عبد العزيز عبد المجيد وآخر ج ١ دار المعارف الطبعة الثانية عشرة .

فلسفة سقراط :

أن فلسفة هذا الرجل تكاد تدور حول نظريتين هما : ـ

نظرية المعرفة   نظرية الفضيلة

نظرية المعرفة :

لعلكم تذكرون أن السوفسطائيين جعلوا الإحساس هو المصـــدر الوحيد للمعرفة وقالوا تبعا لذلك أن الشخص هو مقياس الحقيقة لأن المعارف نسبية ولكن سقراط رفض ماذهب إليه السوفسطائيون ورأى أن لكل شيء طبيعة وماهيه هي حقيقته يكشفها العقل وراء المحسات الجزئية ويعبر عن هذه الماهية بالحد ورأى أن غاية العلم هو إدراك هذه المعانى الكلية المشتركة .

وقد استعان سقراط على كشف هذه المهايا الكلية بالاستقراء وتتبع الأفراد للوصول إلى المعنى الكلى العام وكان بذلك أول من طلب الحد الكلى والماهية الكلية وتوصل إلى ذلك بالاستقراء .

وكان جل همه تحديد الألفاظ التى يدور حولها الحديث بخلاف السوفسطائيين الذين كانوا يعولون على الألفاظ المشتركة إذ أنها تعينهم على التمويه والتضليل .

والاستقراء السقراطى هو عبارة عن تتبع الجزئيات إلى الماهية الكلية والحقيقة العامة وذلك يكون بتجـ ـد الصفات الذاتية المشتركة بين الأفراد من الصفات العرضية الزائلة . وفصل الأمور الذاتية عن العرضية ، وذلك لايكون إلا بطريق العقل المشترك بين الأفراد فطريق المعرفة عند سقراط

هو طريق العقل بين الأفراد لا الحسى ولذلك فإن أحكام العقل صحيحة يتفق يرون الحقائق بمنظار واحد وهو العقل الذى لا يختلف فى حقيقته عند جميع عليها الناس جميعا لأنهم الأفراد[1] ومع ذلك فإن سقراط لم يهمل الحواس نهائيا بل جعلها وسيلة تساعد العقل فى إتمام مهمته والعقل كفيل بمعرفة خطأ هذه الحواس لو أخطأت .

وجدير بالذكر أن سقراط كان يهدف من وراء نظريته فى المعرفة أن تكون وسيلة لمقصده الأسمى وهو الأخلاق العملية ذلكم أن سقراط كان يرى أن العلم الحقيقى هو معرفة النفس الإنسانية ولذلك كان شعاره (اعرف نفسك بنفسك) وهذا هو سر بحثه فى الإنسان واهتمامه به بينما لم يبحث طويلا فى الطبيعيات والرياضيات لما شاهده من اختلاف المفكرين قبله وعدم وصولهم إلى غاية معينة من أبحاثهم .

الأخلاق عند سقراط :

لقد قدس سقراط المعرفة حتى قال أن الخير هو الفضيلة والفضيلة هى المعرفة وكأنه جعل المعرفة مقياس الخير (فمن عرف كان خيرا ومن جهل كان شريرا ولقد نقد هذا الرأى بعض الفلاسفة حتى لقد جرحه أرسطو فقال مامعناه لقد نسى سقراط أو جهل أن الإنسان ليس عقلا خالصا بل هو مركب من العقل العاطفة والشهوات فربما أتى بالشر خضوعا لتلك الغرائز والشهوات وهو عالم بأنه شر وربما ترك الخير كذلك وهو عالم بأنه خير

(1) ص ١٠٠ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د . عوض الله حجازى .

ولكن مما لاشك فيه أن نظرية سقراط فيها من الحقيقة شيء كثير وأن أرسطو قد نسي أو تجهل أن سقراط إنما يريد المعرفة الكاملة التي متى وصل الإنسان إلى درجتها علا على حكم الغرائز والشهوات ولم تنخدع بصيرته بما في الشر من جاذبية خداعه[1] .

ولقد آمن سقراط إذن بأنه يكفي لعمل الفضيلة معرفتها فالفضيلة عنده هي العلم والرزيلة هي الجهل ولا يمكن لإنسان أن يعرف الخير ثم يتركه أو يعرف الشر ثم يفعله وهذا باختصار رأيه في نظرية الفضيلة .

مذهب سقراط فيما بعد الطبيعة :

كان سقراط يعتقد بوجود إله واحد أزلي مالىء الكون وهو في العالم كوجود النفس البشرية في الجسم .

ووجود الله ثابت بدليل أن لكل معلول علة فلكل فعل فاعل ولكل فاعل غاية .

والسبب الذي خلق الإنسان هو سبب عاقل وكل شيء في العالم خلق على أحسن تقويم فهو من عمل قوة مدركة تمام الإدراك .

وتوجد عناية تنظم الكون طبقا لشرع العقل أن باخضاع وكاملة العقل .

---

(١) ص ١٤ فلسفة الأخلاق الأستاذ / أبو بكر ذكرى .

وتوجد عناية تنظم الكون طبقا لشرع العقل وذلك بإخضاع الخاص للعام ويتعاون الأجزاء فى العمل الصالح المجموع والنفس هى جزء من ذلك العقل الكامل كما أن الجسم جزء من المادة وتلك النفس خالدة :

وبعد فإن فضل سقراط على الفكر البشرى عظيم لأنه وضع حدا لشذوذ الفلاسفة الطبيعيين والمغالطين وجعل للفلسفة غرضا ساميا وغاية عظمى وهى إصلاح السلوك للأفراد والجماعة .

أفلاطون

٤٢٧ — ٣٤٧ ق م

ان أفلاطون هو أنبغ نوابغ الفكر وأول الفلاسفة وأشهر الحكماء وهو أول من أنشأ المدارس الفلسفية العظيمة فكانت الأكاديمية إحدى مدارس أربعة أثرت أعظم الأثر فى الحضارة القديمة . وهذه المدارس الأربعة هى الأكاديمية والمشائية والرواقية والأبيقورية وقد ظلت مدرسته قائمه فى أثينا حيث أنشأها تسعة قرون حتى أغلق الأمبراطور جستنيان أبوابها وطرد فلاسفتها ، ثم استمرت الأفلاطونية مؤثرة فى الفكر حتى الوقت الحاضر .

وقد قيل أن الفلسفة نبتت على يديه واكتملت فى حياته . وما سائر الكتب بعد ذلك إلا شروح على مؤلفاته وهوامش فى أسفل صفحاته[1] .

وقد ولد هذا الفيلسوف الكبير فى شهر مايو سنة ٤٢٧ قبل الميلاد وعاش حتى بلغ الثمانين وكان مولده فى جزيره تسمى إيجينا لاتبعد كثيرا عن أثينا وهو من عائلة وجيهة فأبوه أرسطون ينحدر من صلب قودرس آخر ملوك أثينا القدماء وأمه من نسل صولون الحكيم .

تتلمذ على يد سقراط وكان مخلصا له أثيرا عنده ودام على مودته أعواما طويله ، وكان من النجابه على شيء كبير حتى قال فيه سقراط (كم من أشياء حملنى هذا الفتى على الخوض فيها ولم تكن قد خطرت لى من قبل ببال) .

ولقد تلقى أفلاطون تعاليم سقراط زهاء عشرة أعوام وصحبه حتى الموت

---

(١) ص ٧ أفلاطون دكتور أحمد فؤاد الأهوانى دار المعارف بمصر طبعة ثالثة .

ونقل تعاليمه إلى الأجيال بما لم يتيسر لغيره من مقدرة وكفاية وإخلاص . ولم يشهد التاريخ فيلسوف قبل أفلاطون أنشأ فلسفة جامعة لنواحى الفكر المنظم الدقيق .

وقد أسس أفلاطون الأكاديمية بجانب بستان البطل أكاديموس بالقرب من أثينا وكان يلقى على الطلبة تعاليمه ثم فى محاورات واستمر فى ذلك عشرين عاما إلى أن ذهب إلى صقليا ولكن سرعان ماعاد إلى طلبته وأكاديميته يواصل فيها الدرس والبحث والفكر يقول عنه شيشرون الخطيب الرومانى: أن يمينه لم تترك القلم وفكره لم ينفك عن التأليف حتى آخر نسمة من حياته) ومما لاشك فيه أن نبوغ أفلاطون يعود إلى الأثر العظيم الذى خلفه فيه أستاذه سقراط ودليل ذلك قول أفلاطون نفسه [شكر الله لأنه خلقنى يونانيا لا بربريا ، حرا لاعبدا ، رجلا لا امرأة ، وشكرا له لأنه خلقنى فى عهد سقراط][1].

مؤلفاته :

كتب هذا الفيلسوف مؤلفاته على شبه محاورات على لسان شخص معلوم وبعض تلك المحاورات يتضمن تعاليم سقراط والبعض يتضمن مذهبه الخاص .

وقد كتب فى شتى المعارف ومختلف العلوم ، كتب فى الأخلاق السياسية وفى خلود النفس وفى المنطق وكتب فى أصل العالم وفى أصل الإنسان وفى الحب واللغة وفى الشجاعة والصداقة وما إلى ذلك وله كتب كثيرة ومن أهمها الجمهورية والقوانين وهو آخر كتبه تأليفا .

---

(١) ص ٢٤ الفلسفة العربية عبر التاريخ

الصفة العامة لفلسفته :

تمتاز فلسفة أفلاطون بأنها مجهود شديد للتوفيق بين آراء الفلاسفة المتقدمين وعلى الخصوص الأيونيين والأليائيين والفيثاغورسيين وقد جعل منها مذهبا مؤسسا على طريقة سقراط المنطقية ومذهبه الخلقي .

منهجه في البحث والتأليف :

لقد سلك أفلاطون مسلكا خاصا فى التأليف ونهج منهجا جديدا فيه فمؤلفاته عبارة عن محاورات تشبه إلى حد كبير القصص التمثيلية ذلك أن أفلاطون كان يعين فيها المكان والزمان والأشخاص الذين يدور الحوار حولهم ، أنه يسأل ويجيب ثم يناقش على ألسنة هؤلاء الأشخاص مناقشة علمية ، الغرض منها الوصول إلى الحق ، فهو فى حواره وجدله يطلب الحقيقة العلمية فيما يتعرض له من موضوعات ومسائل ولم يكن يخطر بباله أن يكون جدله ونقاشه من أجل شهوة أو شهرة كما يفعل ذلك السوفسطائيون من قبل .

فلسفته :

نظرية أفلاطون فى المعرفة :

لعلكم تذكرون موقف السوفسطائيين من المعرفة وجعلهم الحس هو الطريق الوحيد لها ، كما تذكرون كذلك ماقام به سقراط من توجيه سهام النقد لمذهب السوفسطائيين الحسي فى المعرفة وانتصاره للعقل ومعانيه الكلية الثابتة .

ولقد رأى أفلاطون أن الشوط الذى قطعه أستاذه سقراط فى هذا

كان بمثابة وضع أقدامنا على مبدأ الطريق وعلى من جاء بعده أن يواصل السير إلى آخر الشوط فى هذا الطريق .

لهذا فقد وضع أفلاطون نظريته الجديدة فى المعرفة وهو أول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها وأفاض فيها من جميع جهاتها ولقد وجد نفسه بين رأى يرد المعرفة إلى الإحساس ورأى آخر يضع المعرفة الحقة فى العقل ويجعل موضوعها الماهية المحددة الضرورية ولقد استقصى أفلاطون أنواع المعرفة فكانت أربعة[1] .

١ – المعرفة الحسية وموضوعها عوارض الأجسام .

٢ – المعرفة الظنية وموضوعها الأحكام المتعلقة بالمحسوسات من جهة ماهى محسوسة .

٣ – المعرفه الاستدلالية وموضوعها الماهيات الرياضية المتحققة .

٤ – المعرفة العقلية وموضوعها الماهيات المجددة من كل مادة .

وهذه الأربعة مترتبة بعضها فوق بعض تتأوى النفس من الواحد إلى الذى يليه بحركة ضرورية إلى أن تطمئن عند الأخير .

ولكى يبين لنا أفلاطون كيف يتم ذلك النفس .

يرى أننا إذا تأملنا أنفسنا لوجدنا فيها قوة تغاير الحواس ووظيفتها إدراك الموضوعات المختلفة للحواس وفى مقدورها أن تركب بعضها مع

---

(١) ص ٦٩ تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم .

بعض فى ظاهر الحس وفى وقت واحد ويبرهن أفلاطون على حقيقة هذه القوة بما يلى :

أولا : أنه لايكفى لفهم مدلول أى لفظ لغوى أن نسمعه بآذاننا وإنما يتخذ الحس فقط كطريق لتنبيه القوة المدركة فى النفس لولاها مافهم معنى هذا اللفظ .

ثانيا : أن العالم والجاهل يشتركان فى الإحساس بشىء ما ومع ذلك فالعالم يخبر عن المستقبل ويؤيد الواقع صدق أخباره ، وما ذاك إلا لأن هناك قوة تعلم وقوانين لاتتغير كما تتغير المحسوسات ويصل أفلاطون من هذا إلا أن المعرفة ليست هى الإحساس وإنما هى حكم القوة المدركة فى النفس على الإحساس وهذا هو مناط الفرق بين الإنسان والحيوان[1] .

المعرفة الظنيه : لايمكن أن يطمئن الإنسان إلى معرفة تأتى عن طريق الظن ، فإن هذا الظن لايعدو أن يكون قلقا فى النفس يدفعها إلى طلب العلم والمعرفة التى تأتى عن هذا الطريق قد تكون صادقة وقد تكون كاذبة ومن المعروف أن الظن مبنى على التخمين أما العلم فمبنى على البرهان .

والمرحلة الثالثة : التى تنتقل النفس إليها إنما تكون فى الرياضيات والفلك والموسيقى مثلا ، والفكر فى هذه المرحلة لايحتاج إلى صور الأشياء المحسوسة لتعينة على تأمل هذه المعانى خالصة وتكون واسطة لتنبيه المعانى الكلية المقابلة لها التى هى فى الحقيقة موضوع الفكر الإنسانى لهذا يرى أفلاطون أن المعانى الكلية الرياضية لايأتى العلم اليقين عن

---

(١) ص ٩٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

طريقها حيث لايمكن البرهنة عليها ولذلك فهى من حيث الرتبة كانت معرفة وسطى بين غموض الظن ووضوح العلم أنها أرقى من الظن لأنها كلية وتعلمها ضرورى لكل إنسان وهى أرقى من العلم لأنها استدلالية .

ويمضى الفكر إلى المرحلة الرابعة والأخيرة من المعرفة وهى المعرفة المبنية على التعقل المحض والتى هى موضوع العلم وغايته . .

نظرية المثـــل

لقد بنى أفلاطون نظريته فى المثل على رأى سقراط فى المعرفة فقال : إن الإدراكات الكلية التى يصل إليها العقل كما أثبتها سقراط فى محاورته للسوفسطائيين هى حق لاريب فيه غير أن سقراط لم يبين لنا ما إذا كانت هذه الكليات العقلية لها وجود خارجي أو أن وجودها ذهنى فقط . أما أنا فأقول أن هذه الإدراكات العقلية لها وجود خارجى ولها أسماء لها مسمياتها فى الخارج فكل من المعنى الكلى لإنسان وماء وفرس مثلا لكل منها مثال له وجود خارجى غير وجودها الذهنى وغير أفرادها التى توجد محسوسة أمامنا فى الخارج (ما صدقاتها) .

وهذا المثال الخارجى أكمل من أفراده الموجودة فى الخارج تحت دائرة الحس ولكل شىء كلى فى العالم مثال حتى الجمال له مثال فى الخارج وحتى الألوان والطعوم ، وكل مجموعة من المثل لنوع واحد تتدرج تحت مثال عام لها جميعا وأسمى منها فالبياض مثال والسواد مثال وكلها تتدرج تحت مثال اللون وهكذا وفوق هاتيك المثل جمعاء يوجد المثل الأعلى وهو الخير المطلق ونظرية المثل هى المحور الذى تدور عليه رحى الفلسفة الأفلاطونية وإليكم هذه النظرية . التى أوردها أفلاطون فى الجزء السابع من كتابه الجمهورية حيث قال :

تصور يا عزيزى جلوكون حاله الطبيعة البشرية بالنسبة للمعرفة والجهل كما سأرمزه لك بكهف عميق يدخل النور إليه من فتحه مستطيله بطول ذلك الكهف وتمثل أناسا مقيدين فيه منذ الطفولة بكيفيه لا يستطيعون معها التحرك أو الإلتفات إلى الوراء ، بل يبصرون فقط ما يكون أمامهم . ووراءهم ار متقده فالأشياء التى تمر وراء أولئك الأسرى تقع ظلالها أمامهم

فيظنونها حقائق وهى ليست كذلك فإذا حل قيد أحد الأسرى وأجبر على الإلتفات خلفه ، ألا يخطف بصره تلك النار فلا يميز فى بدء أمره الأشياء التى لم ير إلا ظلالها ، فماذا يكون جوابه فى تلك البرهة لمن يقول له أن ما رآه سابقا ليس إلا ظلا للشيء الحقيقى الذى يراه الآن .

وإذا اقتيد خارج الكهف إلى الفضاء حيث يستطيع نور الشمس وحيث تمر أمامه حقائق الأشياء وليس أشباحها ألا يقتضى له زمن طويل لحمين بين الحقيقة والخيال ويدرك كنه الشيء ويعلم أن النور يعكس الظلال .

هكذا حال الإنسان من يوم ولادته يتدرج فى الرقى العقلى وكذلك المثال ليس مجرد إدراك عقلى بل هو حقيقة واقعية مطلقة ومستقلة عن الأشياء المتمثلة لنا وهو الصورة التى تحتذى الأشياء أشكالها منها ويتصورها العقل كذلك .

فالدائرة مثلا توجد بذاتها قبل أن نرسم فى الحيز وقبل أن يضع المهندس لها تعريفا أو حدا ، كذلك حال كل الطبائع الحسية والمكائنات الحية والصفات والعلاقات الأدبية فلكل منها مثال مشخص فى العالم العقلى سابقا لما هو مشخص فى العالم المادى .

وعلى رأى أفلاطون أن المثل مبدأ المعرفة والوجود ولها صفتان جوهريتان :

الأولى : أنها شاملة لكل الموجودات التى من جنس واحد .

الثانية : جوهرية أى موجودة بذاتها وهى أتم وأكمل من الموجودات المتشكلة على شاكلتها .

بيد أن تلك المثل ليست أجنبية عن بعضها البعض إنما هى منظمة بحسب درجة كمالها وفى أولها مثال الخير .

أن الله عند أفلاطون هو مثال الخير وهو حى حقيق مدرك وله مظاهر ثلاثة :

أولا : هو الخير أو الواحد مصدر الصلاح والحقيقة وغاية كل شىء .

ثانيا : هو العقل الأسمى (لوجوس) مركز المثل حيث تبقى فيه إلى الأبد فهو العالم المثالى ، وما العالم الحسى إلا صورة غير كاملة له .

ثالثا : الله روح هذا العالم ، هو الفاعل صانع المادة ومحركها طبقا لنماذج المثل .

وقد أثبت وجوده بدليل المحرك الأول والعلل الغائية أو بعبارة أخرى دليل الحركة ودليل النظام .

فإن ما يبدو فى هذا العالم على وجه إجمالى وفى جزئياته المختلفة على وجه تفصيلى يستحيل أن يصدر اتفاقا وبدون علة عاقلة مدبرة تتوخى خيره وترتب له من الأسباب ما يكفل هذا الخير عن قصد وفكر وإرادة .

المادة :

أما المادة فهى أيضا — عند أفلاطون — أزلية الوجود ، كان كل شىء فيها منذ البدء مختلطا مضطربا ، وقد أراد صلاح الله إن كل شىء يكون على شبهه بقدر الإمكان ، فكون العالم طبقا للمثل التى اختلطت على نوع ما بالمادة العديمة الشكل ، ولكن لما كانت هذه المادة غير كاملة فقد بقيت فيها آثار نقص العالم المادى وميول الخلائق الخيرة والشريرة

فالله إذن هو الخير والعقل والروح ، خالق العالم بصلاحه لأن من كان صالحا لا يعمل إلا صالحا ثم نظمه بعنايته بحسب القوانين العامة للوجود .

ولكن توجد نقطة غامضة فى فلسفة أفلاطون فى هذا المجال وهى كيف خلق الله العالم ، فإذا ما كانت المثل هى دون غيرها الواقع ، فما حقيقة الأشياء المحسوسة ؟

قال أفلاطون فى كتابه تيماس ، يوجد عنصر أزلى ملازم لله وهذا العنصر هو المادة . والكون نشأ من مشاركة المادة للمثل بنوع الانكسار كما تتولد الألوان من انكسار الضوء .

مذهب أفلاطون في النفس

يرى أفلاطون أن النفس البشرية قوة تتحرك بذاتها قد اتحدت بالله قبل أن تظهر فى العالم الحسى ثم تسفلت بحلولها فى المادة وصارت على شكل جسم ناسية وجودها السابق لكى تكفر عن آثام ارتكبتها فى حياة ماضية وهى واحدة أبدية لا تتغير . وللنفس - عنده - ثلاث قوى :

١ — النفس العاقلة ومقرها الرأس .

٢ — النفس الغضبية ومركزها القلب .

٣ — النفس الشهوانية ومقرها البطن .[١].

فالقوة الأخيرة تنشأ فى النفس من اتحادها بالجسم وهى أساس الرأى أى المعرفة التبعية للأشياء الحسية وأساس المحبة الأرضية التى تربط النفس بالمتاع الدنيوى الظاهرى، أما العقل فهو مبدأ المعرفة والمحبة الحقيقية ويكون مستكناً فى النفس ثم يستيقظ ويتنبه تدريجيا حتى يتمالك ذاته ، والنظر إلى ما تتضمنه الأشياء المحسوسة من الحقيقـــة والكمال تبعث فيه الشوق إلى تذكر المثل التى شاهدها سابقا فالمعرفة تذكر .

أما الشجاعة فتوجد بين العقل والإحساس وتتأثر بأفعالها غير أن العقل يطلب الإحساس ويستميل القوة المذكورة إليه ، ويمكن تشبيه الشجاعة بالقوة الإرادية لو كانت حرة ، بيد أن أفلاطون يذهب كسقراط

(١) هذه القوى نفسها يستخرج أفلاطون منها تقسيم المجتمع المثالى كما صوره فى جمهوريته .

مذهب (الجبر العقلى) فالإنسان يعمل بالضرورة كما يفكر وكل غلط خطأ)
ولا يخطىء الإنسان إلا لجهله فليس هو شرير بطبعه .

خلود النفس : يرى أفلاطون أن النفس لا تموت لأنها خالدة كالمثل ذاتها لأن الحياة يليها الموت وبعد الموت لابد أن تكون هناك حياة فالأضداد تتعاقب ، والنفس عند كل إنسان تطمح إلى ما هو أرفع من العالم الأرضى ، فلابد أن يكون هناك ما هو أسمى من الوجود الحسى أى عالم المثل الخالد ، وبما أن النفس تطمح إلى الخلود فلاشك هى خالدة .

لاشىء من لاشىء وبما أن النفس تفكر فى خلود عالم المثل فلابد أن تكون النفس قد ولدت فى عالم المثل الخالد وعادت فهبطت فخلود النفس ثابت لأن الإنسان يدرك الحقيقة بنفسه التى تتذكر ، فالمعرفة بالنسبة إلى إلى أفلاطون تذكرية وليست اكتسابا ، ثم ما يثبت خلود النفس أيضا هو أنها بسيطة فى تركيبها والبسيط خالد لا يفسد ككل ما فى عالم المثل وأنها تشتاق إلى السعادة والسعادة لا تتحقق فى عالم الحسى فلابد أن تكتمل أو تنال فى حياة أخرى ولأن النفس تتحرك بذاتية لأنها إلهية فلاتفسد خلاصة القول أن أدلة خلود النفس عند أفلاطون هى :

١ ــ تعاقب الأضداد يثبت بأن بعد الموت حياة لأنها الحياة تليها موت .

٢ ــ النفس تدرك المثل بما يثبت أنها كانت فوق وتعرف أن هناك ما هو أسمى من عالم الحسى وبالتالى فهى خالده .

٣ ــ المعرفة تذكرية فالنفس إذن تتذكر المرحلة التى كانت فيها فى السماء وهذا دليل على وجود النفس قبل اتصالها بالبدن .

٤ ــ النفس مبدأ بسيط والبسيط لايفسد ، أما المركب فهو القابل للفساد .

٥ — يتوقف الإنسان إلى السعاده وهى لا تتحقق فى عالم الحس بل فى عالم المثل الخالد .

٦ — عالم الحسى لا يعاقب الشرير ولا يكافىء الخير ، فلابد أن يكون هناك عالم آخر يقوم بهذا الدور .

٧ — النفس متحركة أزلية وإلهية إذن فهى خالدة . وأدلة روحانية النفس هذه جعلت أفلاطون يؤمن بالتناسخ ويقول إن النفس تعود أكثر من مرة فى أكثر من جسد حتى تتحكم القوة العقليـــة بالشهوة والغضب ، فيستحق الإنســان الذى تبقى منه النفس أن تعود نفسه إلى عالم المثل الخالد .

إن مهمة النفس فى العالم الأرضى أن تتخلص من المادة وذلك إن لم يتم لها بحياة أرضية واحدة تعود أكثر من مرة فى أكثر من بدن ، وتتفاوت مستوى حياتها بحسب مستوى خلاصها من المادة ، حتى إذا ما أصبحت بريئة خلدت فى عالم المثل ، أما إذا أثبتت تأصلها بالشر فتخـــلد فى جحيم لا خلاص منه [1].

مذهبه الخلقى :

اتفق أفلاطون مع سقراط فى مزج الفضيلة بالمعرفة وتوحيدها بيد أن الفضيلة تكون فى معرفة الخير أى فى التشبه بالله ، ولما كان الله هو الوحدة المنظمة والمرتبة لجواهر الأشياء ، فالتشبه به هو تنظيم قوى النفس المختلفة وترقيتها إلى ذروه الكمال .

---

(١) ص ٢٨ - ٢٩ الفلسفة العربية عبر التاريخ ، وانظر تاريخ الفلسفة العربية ص ٢٥ جميل صليبا .

ويقابل كل جزء من أجزاء النفس فضيلة فالاعتدال فضيلة النفس الشهوية ، والشجاعة فضيلة النفس الغضبية والحكمة فضيلة النفس العاقلة ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاثة باعتدالها ونسبة بعضها إلى بعض فضيلة أخرى تكمل وتتم لها تلك الفضائل وهى العدالة ويجب أن تخضع كل قوة من هذه القوى إلى التى أعلى منها والسعادة والفضيلة لا تنفصلان فالذى يبتعد عن النظام ينبغى أن يعود إليه ، والأفضل تحمل الظلم ولا يجب مقابلة الظلم بمثله ويجب على المجرم أن يسعى فى التكفير عن ذنبه ولا يهرب منه والرجل الفاضل يحب الخير بجميع مظاهره .

مذهبه فى السياسة :

يرى أفلاطون أن السياسة ما هى إلا تطبيق عملى للأخلاق بمعنى أن الغرض منها الوصول بالناس إلى الفضيلة والسعادة وتنحصر مهمة الحكومة فى تقرير الفضيلة فالفرد لا يوجد إلا للدولة كوجود العضو فى الجسم .

والدولة أشبه بالإنسان لها ثلاث قوى تنطبق على طبقات الناس المكونة للأمة .

فتنتمى للقوة الشهوية طبقة الفلاحين والعمال وكل ذى حرفة مادية ، وتنتمى للقوة الغضبية طبقة المحاربين الذين يدافعون عن الوطن ، أما القوة المدركة العاقلة فينتمى إليها الحكام وهى صفة هؤلاء الحكام ، كما أن الشجاعة صفة الطبقة الثانية والاعتدال تتصف به الفئة الأولى وينبغى للفريق الأدنى الخضوع للفريق الأعلى منه فتسود العدالة وتستقيم أمور الدولة وتستقر أحوال الأمة ويجب إلغاء حق

التمليك الفردى والعائلة فتكون النساء والمقتنيات مشاعة بين الجميع
وتتولى الحكومة توزيع الأموال وتربية الأولاد — لأنهم ليسوا
أبناء هذا أو ذاك من الناس بل هم أبناء الدولة وتتبع فى التربية
الميل العزيزى ، وأذكياؤهم يتعلمون الحكم ليكونوا فيما بعد حكاما
ويشعر أفلاطون بصعوبة تطبيق هذا النظام فيجيب فى الجمهورية على
من سأله عن إمكان تكوين دولة على هـــذا النحو ، بأن البحث
عن النظام الكامل شيء وإمكان تطبيق هذا النظام شيء آخر .

تبدأ محاورة القوانين بسؤال عن مشرع القوانين من هو ؟ والجواب عن ذلك إنه الله . فهو عند أهل كريت زيوس ، وعند أهل لقدمونيا أبوللون . والذى يرمز إليه أفلاطون من ذلك أن القانون إلهى أى خالد أزلى له طبيعة ثابتة . والإنسان إلهى كذلك بالعقل المودع فيه . والعدد هبة من السماء كما قال فى ملحق القوانين .

فالله هو النموذج الذى يتشبه به الإنسان ويحاكيه إن فى سلوكه الفردى أو الاجتماعى . وليس بين سلوك الإنسان فى نفسه أى الأخلاق ، وبين سلوكه مع غيره أى السياسة خلاف . أفلاطون لا يفصل بين الأخلاق والسياسة ، ولا كذلك أرسطو . وقد كتب أفلاطون محاورتين أساسيتين فى السياسة هما الجمهورية والقوانين . وللجمهورية عنوان باليونانية هو Politeia أى سياسة المدينة . وهذا هو أيضاً عنوان كتاب السياسة لأرسطو . وقد ترجم العرب « بوليتيا » أفلاطون بالمدينة الفاضلة . أما الترجمة السائدة فى الغرب اليوم فهى الجمهورية . وقد وضع القدماء تحت العنوان اليونانى عنوانين آخرين يفسران موضوع المحاورة ، أحدهما الجمهورية . والآخر فى العدالة . والأول يوحى بأن موضوع المحاورة السياسية ، والثانى الأخلاق . والواقع أنه من المجازفة تحديد موضوع الجمهورية ، إنها تشمل كل شىء يتعلق بالإنسان من أخلاق وسياسة وتربية ، وفلسفة واجتماع ، وتاريخ ، وإذا كانت تبدأ بالسؤال عن العدالة ما هى ، فالجواب عن ذلك فى المدينة الفاضلة كلها . المدينة العادلة ، فالإنسان الفرد . والإنسان الاجتماعى ، يسيران جنباً إلى جنب ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر . ويجب لفهم الإنسان أن ننظر إليه من خلال المجتمع أى المدينة ، كما يجب أن ننظر إلى المجتمع من خلال الفرد . وعدالة الفرد هى عدالة الدولة ، وينبغى أن تبحث العدالة فى المدينة قبل أن تبحث فى الفرد ، لأنها فى المدينة أوضح ، كأنها أشبه بكتاب

ذى حروف كبيرة يسهل قراءتها ، ثم بعد ذلك يقرأ المرء العدالة فى الفرد ، وهى ذات الحروف الأصغر . وفى ذلك يقول سقراط : « العدالة صفة فرد ، ولكنها كذلك صفة المدينة كلها »[1] . يقول باركر : « كان غرض أفلاطون أن يصل إلى الحاكم الفيلسوف الذى ينبغى أن يحكم بالعقل المحنك لا بحرفية القانون ، أو – إذا كان ذلك الغرض غير ممكن البلوغ إليه – أن يدرب المشرع الفيلسوف الذى ينبغى أن يشرب حرفية القانون بروح الحكمة والعقل . وكان الأمر الأول المثل الأعلى فى الجمهورية ، والأمر الأخير المثل الأعلى فى القوانين» . ونحن نرى أن الغرضين لا يتنافيان ، بل يكمل أحدهما الآخر ، ففى الجمهورية لن يكون الحاكم فيلسوفاً إلا إذا عرف الله مثال الخير ، ثم تشبه به فى أفعاله . وفى القوانين يجب على الحاكم أن يعرف الله مقياس الأشياء جميعاً ، وأن يحكم بمقتضى ذلك المقياس . فالجمهورية تبغى العدل من جهة المعرفة الخالصة ، والقوانين تنشد العدل من جهة العمل والتطبيق. حقاً لقد أغفل أفلاطون القانون من الجمهورية ، ولكن ليس معنى ذلك أنه أوجب على الحاكم وعلى المدينة عدم اتباع القانون ، فقد كانت عنايته فى ذلك الحين إرساء قواعد المبادئ العامة التى تقوم عليها المدينة الفاضلة ، أما القوانين فتفصيلات تأتى عقب ذلك . وقد زعم كثير من المحدثين أن أفلاطون أصيب بخيبة أمل عندما أراد أن يحقق مثله الأعلى فى الجمهورية على ديونيسوس ، وكان يطمع أن يكون الحاكم الفيلسوف ، فعدل عن هذه النظرية إلى المثل الأعلى الذى بسطه فى القوانين . ومهما تكن الأسباب التى دفعت بأفلاطون إلى كتابة القوانين بعد الجمهورية ، إلى كتابة الجمهورية وهى المدينة الفاضلة ثم القوانين وهى الدولة التى تليها فى الأفضلية Second Best فكلاهما فاضل ينشد العدل ، ويتشبه بالإله ، ويطالب بتعليم الحكام .

ولكى نفهم نظرية أفلاطون الأخلاقية والسياسية – وهما لا تنفصلان – فلنرجع إلى بدء حياته فى شبابه ، ونتتبعه حتى النهاية . يقول فى الخطاب السابع

---

(١) الجمهورية ٣٦٨ .

إنه « كان يأمل حين كان صغيراً ، كما يفعل الناشئة دائماً ، أن يشارك فى سياسة المدينة متى بلغ أشده »[1] . هذه العبارة من قلم صاحبها تدل على هواه الراسخ فى نفسه ، نعنى حب السياسة العملية لا النظرية . وقد صحبته هذه النزعة مدى الحياة ، ولكن فى صور مختلفة ، فقد ذهب إلى صقلية عدة مرات لتعليم الحاكم ، أو بعبارة العصر الحاضر ليكون مستشاراً سياسيًّا . ولما شاهد المفاسد التى وصفها فى خطابه السابع ، وفى محاوراته ، تلك المفاسد السائدة فى صقلية وفى غيرها من المجتمعات ، رأى أن الحل الصحيح فى تعليم الحكام وتربيتهم ، فأنشأ الأكاديمية لتكون مدرسة يتخرج فيها الحكام والمشرعون . وقد صرح بأن الفيلسوف لا يجب أن يكون رجل أقوال فقط[2] .

إذن كانت السياسة الباعث الأساسى الذى دفع أفلاطون إلى البحث الفلسفى — كما رأينا . وازداد اشمئزازه عند ما رأى الحكم على صديقه وأستاذه سقراط . فشرع يبحث عن العلة فى فساد المدن ، والسبيل إلى إصلاحها . وكان سقراط يبحث البحث ذاته ، وأراد أن يصلح الأخلاق . ولكن أفلاطون رأى أن الأخلاق تقوم على أساس أعمق من مجرد العمل الصالح ، واقتضى منه ذلك أن يبحث فى طبيعة النفس البشرية ، بل الكون بأسره . ونحن نجد النزعة السقراطية التى تتجه الوجهة الأخلاقية فى المحاورات الأولى ، فنصح سقراط فى فيدون بالزهد ، ونصح أفلاطون فى الجمهورية بالاعتدال . وتمتاز هذه المحاورات الأولى بنقد شديد للسفسطائيين الذين كانوا يمسكون بزمام التربية ويرفعون علم الثقافة الممثل فى مذاهب براقة ليست من الحق فى شىء . فالسوفسطائى هو الذى يعلم صناعة النجاح ، والاستمتاع ، والثقة بالنفس ، وإرادة القوة ، وينكر الحق الثابت والخير الموضوعى ، وهو الذى يتخرج على يديه الخطيب العام الذى يتولى مهام الدولة ، وهذا الخطيب على طرفى نقيض من الحاكم الصالح الحقيقى . فالسياسى

(١) الخطاب السابع ٣٢٤ ا .
(٢) الخطاب السابع ٣٢٥ ا .

الخطيب رجل يقوم على الإيهام والوهم لا على الحقيقة (١)، ويعتمد على الأكاذيب والأباطيل لا على الحق .

فى أول الجمهورية تعريفات ثلاثة للعدالة ، تعريف قيفالس من أن العدالة هى اتفاق أعمال الإنسان مع التقاليد الجارية ، ولكن هذا المذهب السلفى لا يصلح لأن التقاليد فاسدة. وكان همّ أفلاطون أن يهدم القديم وأن يزلزل قواعد التقاليد البالية . فهاجم الشعراء والسفسطائيين والفنانين والساسة ورجال الدين . والثانى تعريف ثراسياخوس العدالة بأنها مصلحة الأقوى، أو بعبارة أخرى القوة هى الحق (٢) . ويترتب على ذلك أن مقياس السلوك هو إرادة الشخص ومقياس السياسة إرادة الحاكم ، وهذا المذهب هو مطية الاستبداد والظلم ، والثالث نظرية غلوكون وهى أن الظلم من شيم النفوس، وفعل الناس له حسن ووقوعه عليهم قبيح ، فلما رأى الناس أنهم يَظْلمون ويُظْلمون، فيجربون لذته ومرارته، اتفقوا فيما بينهم ألا يظلم بعضهم بعضاً (٣) ، فشرعوا القوانين والعرف ، وسموا القانون عدلا . فإذا كانت العدالة فى المذهب السابق ثمرة المصلحة فهى هنا نتيجة الخوف ، كما ذهب إلى ذلك هوبس من الفلاسفة المحدثين .

ماذا يفعل أفلاطون إزاء هذه المذاهب القوية . والتى لا يزال كثير من الناس يعتنقونها ؟ أخذ يمتحن فكرة اللذة ، ويبحث فى طبيعة النفس . وطبيعة الموجود ، وصلة النفس بالخير والشر ، والفضيلة والرذيلة . فأولئك الذين ذهبوا إلى أن الإنسان بطبعه يميل إلى تحقيق لذاته والجرى وراء شهواته على حساب غيره . ويؤثرون الظلم على العدل ، مخطئون فى فهم الطبيعة البشرية . لأن هناك فرقاً بين الخير واللذيذ ، وليس الخير إيثار لذة على أخرى ، وليس الحق هو القوة . ولكن خير النفس فى الزهد وممارسة الرياضة لتتعلم التناسب . وتنطبع على النظام

(٣) الجمهورية ٣٥٨ – ٣٥٩ .

والانتظام ، مما بسطنا القول فيه عند الكلام عن النفس . وبقى أن يبحث أفلاطون فى المجتمع .

هل المجتمع الإنسانى طبيعى أم صناعى ، وكيف يتألف المجتمع ؟

هو عند معظم السفسطائيين صناعى ، فالحالة الطبيعية للإنسان كانت فى غاية البؤس حتى استطاع الإنسان بفنه أن يصوغ القوانين التى أنقذت البشر من الحالة الطبيعية والتى كانوا فيها أشبه بالحيوانات .

أما أفلاطون فيذهب عكس ذلك ، فالاجتماع عنده طبيعى ، والإنسان مدنى بالطبع ، فهو يجتمع فى الأسرة ، ثم فى الدولة ، وترجع هذه الطبيعة إلى حاجة الناس إلى إشباع ضروريات الحياة كالطعام واللباس والمسكن ، مما لا يقوى فرد واحد على القيام به ، فينهض كل واحد بمهمة يتخصص فيها ، هذا يبنى ، وذاك يزرع ، وهكذا ، فالمجتمع قائم على التكافل والتضامن بين الأفراد ، وعلى قيام كل فرد بأداء وظيفة معينة ، لا على القهر والخوف .

أساس المجتمع التخصص وتقسيم العمل ، ومن هنا ظهرت المهن والحرف والفنون ، ثم اتسع الأمر بالتبادل ، وارتقى التبادل إلى تجارة منظمة ، واصطنع الناس المال أداة للتبادل ، وكثرت الحاجيات ، وظهرت نوافل ليست من طبيعة الحاجات الطبيعية ، واتسعت رقعة الفنون ، وبعد الإنسان بذلك عن الحالة الطبيعية الأولى ، وفسد المجتمع ، وشهد أفلاطون هذا الفساد ، وبرم به ، وأراد إصلاحه . وتعمق النظر فى أصول الاجتماع ، وخرج بنظريته فى الجمهورية التى تقوم على ثلاثة مبادئ ، التخصص فى العمل ، والتربية ، والحاكم الفيلسوف .

فالمجتمع كالفرد ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، الحكام ، والجند ، والعمال ، وهؤلاء يقابلون الأنفس الثلاثة العاقلة والغضبية والشهوانية . وصلاح المجتمع فى أن يعهد إلى كل فرد بالعمل الذى يليق به ، أن يوضع الرجل الصالح فى مكانه الصحيح . فلا يتولى الحكم الحمقى من غير ذوى الاستعداد للحياة العقلية ، وأكبر الظن أنه كان يشير إلى ديونيسوس .

وقد نظر أفلاطون فى أمر المرأة فأعلن حريتها لأول مرة فى التاريخ على أساس فلسفى من الطبيعة البشرية . فهى تشارك فى الإنسانية كالرجل تماماً . وينبغى أن تتعلم وأن تبلغ مرتبة الحراس مثله تماماً . وكانت منزلة المرأة فى الزمن القديم فى شتى أنحاء العالم أقل من منزلة الرجل . وتعامل معاملة الإماء والعبيد ، ولم تكن تشارك فى الحياة العامة ، ولم يتحقق حلم أفلاطون بالنسبة لها إلا منذ القرن التاسع عشر . ولاينبغى أن نفهم ماذكره أفلاطون من شيوعية المرأة وإلغاء الزواج على حرفيته : أولا : لأن الصلة بين الرجل والمرأة لم تكن مقصورة على الزواج ، ولم يكن التسرى واتخاذ القيان والاستمتاع بالصلات الجنسية محرماً من الدين أو غير مألوف من جهة العرف . يقول أفلاطون فى الخطاب السابع وهو يصف الحياة فى إيطاليا وصقلية – كما ذكرنا من قبل : إنها حياة لا ينام فيها الفرد ليلا وحده أبداً ، وينغمس فى جميع الأمور التى تصحب هذا اللون من الحياة . فلم يكن الزواج القاصر على صلة الرجل بامرأة واحدة شيئاً مقدساً محترماً . وثانياً لأن غرض أفلاطون ليس الصلة الجنسية بل إنجاب الأولاد بحيث يكونون أفضل خلف ينمو لخدمة الدولة ، ولذلك جعل الأولاد ملك الدولة . وقد سارت الدول حديثاً فى هذا الاتجاه من العناية أولا وقبل شىء بالطفولة لأن مستقبل الأمة يقوم على أكتاف الطفل القوى الذى ينشأ نشأة صحيحة من كل وجه . وتشمل الشيوعية كذلك المال لأن التعلق به مصدر الفساد فى الدولة .

وكما أن كل فرد يتخصص فى عمله اللائق به ، كذلك كل طبقة تتخصص فى عملها ، ولا تحاول أن تزاول ما ليس من عملها . طبقة الحكام ليس لها أن تعمل . وطبقة العمال ليس لها أن تحكم ، وطبقة الجند عليها أن تحارب فلا تحكم ولا تعمل . ويرجع فساد الدول إلى قيام الطبقات بغير ما أهلت له ، واستيلاء طلاب المال أو السلطان أو الجهال على الحكم .

فالحكومة الفاضلة هى التى يرأسها الحاكم الفيلسوف الذى يجرى على سنة العقل ويهتدى بمثال الخير ، وتنصرف كل طبقة إلى عملها . وهذه الحكومة أول

محاكاة للمدينة السماوية ، ذلك العصر الذهبى حين كان الآلهة يعنون بأنفسهم بالبشر . أما اليوم فلا توجد إلا أربعة أنواع من الحكومات المتدهورة ، وهى جميعاً تتسلسل عن طريق المحاكاة من المجتمع الطبيعى ، وذلك حين يسود الجهل عند الحكام فيستولون على مقاليد الحكم ويستعبدون المحكومين .

وأول حكومة تلى الحكومة الفاضلة ، أى مدينة الفلاسفة الذين يحكمون بالفعل هى حكومة الكرامة ، أى المدينة التى يهتدى حاكمها بالكرامة أو الشرف ، فضيلة النفس الغضبية . كالحال فى إسبرطة ، وفى أثينا منذ زمن موغل فى التاريخ . ثم ينغمس الحاكم فى الشهوات الحسية ، وتمتد يده إلى الرشوة ، وينقلب حكام هذه المدينة إلى إقطاعيين .

والحكومة الثانية هى حكومة المال — يسميها الفارابى حكومة اليسار — وقد تسمى أيضاً حكومة القلة ، وفيها يظهر التقابل بين طبقتين هما القلة الحاكمة وكثرة الشعب ، وحين تفسد القلة يقوم صراع بين الطبقتين .

والحكومة الثالثة هى الديمقراطية ، أى حكم الشعب الذى يثب بالحكام الفاسدين ويذبحهم ، ويتنفس عبير الحرية المطلقة ، والمساواة المزعومة ، وهذه هى الفوضى . ذلك أن المساواة فى نظر أفلاطون هى أن يقوم كل فرد بالعمل اللائق به ، وأن تعطى له الفرصة المتكافئة لتبرز مواهبه .

والحكومة الرابعة هى الاستبداد ، حين ينهض من بين الشعب وهو فى حالة الفوضى رجل يمسك بأزمة الحكم ليرعى مصالح الدولة .

ومن الواضح أن أسوأ أنواع الحكومات عند أفلاطون الديمقراطية ، وأن أفضلها حكومة الفرد المستنير ، أو الحاكم الفيلسوف . إذ فى الديمقراطية يصبح الشعب عبداً للعبيد ، وفى الاستبداد يقرب الإنسان من الإله [1] .

ولا علاج لهذه الأحوال من الفساد إلا بنظام من التربية يبدأ منذ الصغر ، ويبصر الناس بما يجب عليهم عمله ، أى بفن الحياة وفن السلوك وفن الحكم بشرط ان يقوم ذلك كله على المعرفة . وقد توسع أفلاطون فى الكلام عن نظام التربية ومناهج التعليم ومنزلة كل علم – كما ذكرنا من قبل – حتى ذهب الكثيرون إلى أن الجمهورية كتاب فى التربية والتعليم ، أو كما قال روسو : « ليست الجمهورية كتاباً فى السياسة ولكنها أبدع رسالة كتبت عن التعليم »[1] . وعلى هذا الأساس صاغ الأستاذ ييجر كتابه « بايديا » أى الثقافة . ذلك أن أفلاطون يبسط لتحقيق العدالة نظامين أحدهما النظام الاجتماعى الشيوعى (والأصح أن نقول الاشتراكى لولا أن كتاب الغرب يصفونه بالشيوعية .[2] والثانى نظام التعليم المشترك الذى تقوم به الدولة . ولكننا لن نصل إلى تحقيق النظام الاجتماعى المطلوب إلا باتباع نظام خاص من التعليم . والغرض من التربية أن يبلغ الجسم والعقل والنفس والخلق الكمال ، بالعلوم المناسبة . وقد رأينا فى أسطورة الكهف كيف يبلغ الفيلسوف المثل بالجدل الصاعد ، وعليه بعد ذلك أن يعود إلى الكهف ليرشد إخوانه المساجين ويعلمهم . فالحاكم هو الفيلسوف الذى يرى الحقائق ، ثم يرجع إلى الشعب ليفيض عليه من نور علمه ، وليأخذ بيده . وقد اعترض بأن الفلاسفة عاجزون عن العمل وأنهم أهل نظر فقط يعيشون فى أبراج عاجية . ولكن أفلاطون نفى هذه التهمة عنهم بما ضربه من أمثلة على نفسه ، وفضلا عن ذلك فقد أوجبت أن يتدرب الرجال من الخامسة والثلاثين إلى الخمسين بعد تعلم الفلسفة ، على صناعة الحكم ، بأن يتولوا المناصب العامة ، وعند الخمسين يصلح عندئذ أن يكون من بينهم حاكم للمدينة .

والمدينة الفاضلة هى التى تمتاز بالفضائل الأربعة الرئيسية : الحكمة ،

---

(١) نقلا عن باكر ص ١٤٥ .

(٢) هناك فروق شاسعة بين شيوعية أفلاطون والشيوعية الحديثة تجعل وصف جمهورية أفلاطون بالشيوعية مضللا – أول ذلك أن جمهورية أفلاطون نظام ثابت ، والشيوعية الحديثة مجتمع يقوم على صراع الطبقات : ديناميكى .

والشجاعة ، والعفة ، والعدالة . فالمدنية حكيمة بحكامها . مقدامة بجيشها ، معتدلة بعفة أهلها ، وعادلة حين يقوم كل فرد بالعمل الذى يصلح له ، ويوضع الرجل اللائق فى مكانه اللائق .

والحال كذلك فى الفرد، فالعقل يدبر ، والغضب يسوق . والشهوة تستمتع ، والاعتدال بين العقل والغضب والشهوة هو العدل . والجور مرض بالنفس يجعلها تنساق وراء الشهوة أو الغضب. فهناك تواز بين أخلاق الفرد. وسياسة المدينة؛ فالعقل يهدى الفرد ، والحاكم الفيلسوف يدبر المدينة ويسوسها بما فيه من عقل إلهى خالد .

هذه هى المبادئ العامة التى تقوم عليها نظرية أفلاطون فى الجمهورية ، أغفل فيها ذكر القانون لأن عنايته كانت بتوضيح منزلة الطبقات الثلاث الموازية للأنفس الثلاث ، ووجوب أن يكون العقل هو الحاكم . أما فى محاورة القوانين ففيها تفصيل الشرائع التى يجب على الحاكم اتباعها . ويمكن تلخيص المبدأ الذى تقوم عليه هذه المحاورة فى عبارة أفلاطون التى يذكرها فى الافتتاح . فقد ذكرنا أن الاستهلال يبدأ بأن الله هو مشرع القوانين ، ولكنها ليست القوانين التى تأمر بالحرب والعدوان ، بل « يجب على المشرع وهو يضع قوانينه أن ينظر لا إلى جزء من الفضيلة فقط وهو أدنى أجزائها ، بل إلى الفضيلة فى مجموعها ، وأن يبتدع أنواعاً من القوانين تلائم كل نوع من الفضائل »[1] . وقد كانت الفضيلة الجامعة فى الجمهورية هى العدالة التى تتفرع عنها أنواع الفضائل الأخرى . أما فى القوانين فالفضيلة الأساسية هى ضبط النفس أو الاعتدال . وعنها تنبع سائر الفضائل بما فيها العدالة . فالحكمة تقوم على ضبط النفس . ولا يمكن أن يتحقق العقل فى السلوك الفردى أو الاجتماعى إلا مع التناسب والانسجام . والتناسب ثمرة ضبط النفس ، والانسجام صنو الحكمة . وكلا التناسب والحكمة وهما فضيلتان

---

(١) القوانين ٦٣٠ .

شقيقتان من بنات ضبط النفس ، ونصل إلى هذه الفضيلة بالتشبه بالإله « وهو مقياس الأشياء جميعاً» .

ليست الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء ، بل الحرية الصحيحة أن يوجه الإنسان إرادته طبقاً للعقل ، وأن تكون إرادته عاقلة فيحسن الاختيار بين الحسن والقبيح ، أما إذا فعل على ما يهوى ، فإنه يصبح عبداً لشهواته . عبودية العقل هى الحرية ، وحرية الشهوة هى العبودية .

فإن جرى المشرع على فضيلة ضبط النفس والاعتدال وبثّها فى أرجاء المدينة حقق أغراضاً ثلاثة : « أن تصبح المدينة الّتى يشرع لها حرة ، وأن تتوحد أطرافها بالتناسب ، وأن تظفر بالسداد »[1] .

فالعقل الذى وصفه أفلاطون فى الجمهورية من الناحية النظرية فقط ، ومن جهة رؤيته الحقائق ، يخضعه لنا فى القوانين من الناحية العملية لحكم القانون ، أو للخيط الذهبى للقانون . وفى ذلك يقول : « فلنفرض أن كل واحد منا نحن المخلوقات الحية ، إن هو إلا دمية بارعة صنعتّها الآلهة ، ولسنا ندرى أكان غرضها من ذلك اللهو أم الجد . ولكننا نعلم حق العلم أن ما فينا من انفعالات هى كالأوتار أو الحبال التى تجذبنا ، وأنها ـ لتعارضها فيما بينها ـ تجرنا إلى أفعال متضادة فنبلغ الحد الذى يفصل بين الخير والشر . وهنا يحدثنا العقل أن كل واحد منا يجب أن يتمسك على الدوام بخيط واحد فقط من جملة تلك القوى اندافعة له ، وألا يدعه يفلت منه بأى حال من الأحوال ، ومقاوماً شد الخيوط الأخرى ، هذا الخيط : هو الحاكم الذهبى ، هو حكم العقل الإلهى الذى يسمى القانون المشترك للمدينة »[2] .

وإذ قد نادى بالقانون فى مدينة القوانين ، وجعل الحاكم المثل الأعلى فى

(١) القوانين ٧٠١ .

(٢) القوانين ٦٤٤ .

تطبيق القانون ومراعاته عن طريق ضبط النفس . فينبغي على الحاكم أن يحمل الناس على طاعة القوانين بقوتين : الاحترام والخوف . أما الاحترام فينشأ من معرفة الناس بأن مراعاة القانون أسمى من الاستمتاع باللذة . وأما الخوف فيأتي من شعورهم بقوة الحاكم . فإذا شرعت القوانين ، وخضع أهل المدينة لها ، فهناك أمل كبير فى النجاة والسعادة . وهذه المدينة هى التى سعى أفلاطون بالاشتراك مع ديون إلى تحقيقها فى سراقوسة . ولكنه قال عنها : إنها ليست إلا المدينة التالية فى الأفضلية[1] . وهذا هو السبب فى أن المحدثين رأوا فى الجمهورية المدينة الفاضلة الأولى ، وفى القوانين المدينة الفاضلة التى تليها ، وتقوم الأولى على معرفة الحاكم العقلية ، وتعتمد الثانية على حكمة القانون .

ومع ذلك فكلا المدينتين تهتم بالتعليم ، وتنصح به ، وتبين أهميته الفلسفية ، ابتداء من الفنون والموسيقى والرياضة البدنية ، إلى العلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك ، إلى الفلسفة . وهذه العلوم جميعاً تعلم الطاعة للنظام ، إذ « كيف تكون ثمة حكمة بغير انسجام ؟ كلا ، إن أشرف أنواع الائتلاف وأعظمه هو بحق أعظم حكمة »[2] .

بذلك عدل أفلاطون عن القول بالعقل الذى يبصر الحقيقة إلى القول بالقانون الذى يحقق النظام . لذلك لا يجب أن يكون الحاكم هو أغنى رجل أو أقوى شخص ، بل أكثر الناس طاعة للقانون . وهذا الحاكم الخاضع للقانون هو ظل الله فى الأرض ، لأن الله الذى يمسك بيده بدء جميع الموجودات ووسطها ونهايتها يسوقها إلى غاية بحسب العدل الأزلى والقانون الإلهى . والسعيد السعيد من يعتصم بحبل الله ، ويتمسك بعدله ، محتذياً مثاله فى طاعة وخضوع . والشقى من يفتنه غرور النفس ، أو تسحره الثروة والمنزلة أو الجمال ويعتقد أنه فى غير حاجة إلى مرشد أمين . والله هو مقياس الأشياء جميعاً . ولما كان شبيه الشيء منجذب إليه ،

(١) الخطاب السابع ٣٣٧ .
(٢) القوانين ٦٨٩ .

فإن من يخضع حياته لمقاييس الإله لا لمقياس الإنسان ، كان أقرب إليه ، شبيهاً به ، عادلا كعدله (1) .

فلاغرابة أن تكون مدينة أفلاطون ، سواء فى الجمهورية أم فى القوانين ، إلهية سماوية ، تحقق العدالة ولكن لا على هذه الأرض ، وأن تكون موطن الفلاسفة ، والمكان الذى يستطيع أمثال سقراط أن يعيشوا فيه دون حاجة إلى الهرب بالموت ، أو الانعزال بالزهد ، أو الاعتكاف بالتأمل .

(1) القوانين ٧١٥ – ٧١٦ .

أرسطو

ولد هذا الفيلسوف على الأرجح عام ٣٨٤ قبل الميلاد فى ستاجيرا من من أعمال تراقيا وكان أبوه قد ورث منصب طبيب الأسرة لملك مقدونيا وقد ذهب أرسطو إلى أثينا حيث أصبح تلميذا لأفلاطون ولبث فى الأكاديمية مايقرب من عشرين عاما ثم أصبح مربيا للإسكندر الذى كان عمره إذ ذاك ثلاثة عشر عاما ولبث فى ذلك المنصب حتى بلغ الاسكندر السادسة عشر من عمره ، وأعلن أبوه أنه قد بلغ رشده وعين وصيا على العرش أثناء غياب فيليب وقد توجه أرسطو إلى بلده أسوس من أعمال طرواده حيث أسس فرعا للأكاديمية وقد ظل أرسطو يعلم فى هذا المكان ثلاث سنوات وقد ظلت هذه المدرسة قائمة مدة طويلة وتعاقب عليها زعماء كثيرون ولكن حظها فى البقاء كان أقل من حظ الأكاديمية [1] وكان أرسطو يلقى دروسه على تلاميذه وهو ماشى ولذا أطلق على هؤلاء لقب المشائين .

مؤلفاته :

تعتبر مؤلفات أرسطو كدائرة معارف تتناول جميع العلوم البشرية التى كانت معروفة فى الجيل الرابع قبل الميلاد فوضع لكل علم كتابا خاصا ماعدا العلوم ، وتنقسم هذ المؤلفات إلى ثلاثة أقسام :

١ ـ العلوم النظرية أو العلمية ومن مؤلفاته فيها : كتاب السماء والطبيعة وتاريخ الحيوان وكتاب النفس ثم كتاب الفلسفة الأولى أو ماوراء المادة الخ

٢ ـ العلوم العملية أو الأدبية ومن كتبه فيها الأخلاق والتدبير المنزلى والسياسة المدنية الخ .

---

(١) ص١٥ تاريخ الفكر الفلسفى (أرسطو) جـ٢ د. محمد على أبو ريان .

٣ — العلوم العقلية والشعرية ومن مؤلفاته فى هذا المجال الشعر ، كتب المنطق (أرجانون) وهى تتضمن قاطيغورداس (أى ـ المقولات) وباريمنياس (أو العبارة) وأنالطيق (أى القياس) وأنالطيق الثانية (أو البرهان) الخ .

منطق أرسطو :

إن المنطق كقانون للفكر منظم لعملياته ، وكميزان للبحث العقلى ضابط لصحيحه من فاسده ، هو وحده الذى يصلح فى نظر فيلسوفنا لأن يكون آلة ارتباط بين عالمى الحس والعقل وبه وحده كذلك ترتبط كليات هذا الوجود بجزئياته ، وكذلك كلياته وجزئياته بعضها ببعض ومن هنا كانت عناية أرسطو بالمنطق عناية كبيرة فكل ماهو موجود فى كتب المنطق العربية تقريباً هو منطق أرسطو .

ولقد قسم الغربيون فى العصور الحديثة المنطق إلى قسمين منطق الصورة ومنطق المادة وقد عنى أرسطو بأولهما فقط وأما ثانيهما فلم يبحث إلا فى العصور الحديثة ، ويعد أرسطو مؤسس علم المنطق وواضع قواعده وقوانينه بما لم يدع مجالا لمن أتى بعده لنقضها أو لإضافة شىء عليها ومن هنا فقد سمى أرسطو بالمعلم الأول لأنه أول معلم لعلم المنطق ولم يكن قبله علما[1] والحقيقة أن منطق أرسطو هو الذى خلد ذكره على مر التاريخ .

---

(١) ص ٢٢٩ قصة الفلسفة اليونانية أحمد أمين . .

مذهبه فيما بعد الطبيعة

يرى أرسطوا أن غرض الفلسفة الأولى العلم بالموجودات كما هى موجودة ، والموجود الذى تدلنا عليه التجربة قابل للتغير أى التحول من القوة إلى الفعل الذى تصير فيه الحركة والحركة تستلزم محركا ولذلك تكون الأصول التى تفسير معنى تحول الموجودات (مادة) أى الأساس الغير المحدود الذى تصنع فيه الموجودات . ثم (الصوره) التى تتشكل بها الموجودات وبها تتباين وتتميز عن بعضها (والعلة الفاعلة) التى تحول المادة من القوة إلى الفعل ، ثم (العلة الغائية) التى يقصدها الفاعل عند تشكيلة المادة بالصورة التى شكلها بها .

مثال ذلك :

تمثال من نحاس فادته النحاس ، وصورته النحاس المتمثل ، وصانعه هو العلة الفاعله ، والشهرة أو المكسب غايته من عمله .

والعالم الحسى يتركب من مادة وصورة والعلاقة بينهما علاقة قوة بفعل، وهذان الأسلسان يسبقان كل تغير فهما أزليان ولا يمكن لواحد منهما أن يوجد بغير الآخر ، بل يتلازمان ويتجاذبان ويتممان بعضهما البعض ، وباتحادهما يصير الموجود هو ماهو متميزا عن غيره ، وليست المادة عدما بل هى الوجود فى حالة القوة وتتميز بالصورة ، فكتلة النحاس تمثال بالقوة والتمثال : كتلة النحاس تشكلت بالفعل تمثالا فإذن تحول القوة إلى الفعل هو التغير أو الحركة والحركة نقطة الاتصال بين المادة والصورة .

ومذهب المشائيين يرجع إلى ثلاثة أصول : ـ

القوة أو القدرة والحركة والفعل

أما الموجود الأعظم فهو غير خاضع لهذا القانون التركيبي فهو صورة مجردة بدون ماده لأن المادة ليست كاملة بذاتها ، بينما أن الموجود الأعظم صورة مجرده وفعل مجرد أى غير مختلط بالإنفعال ولا بالتحديد ولقد أصاب أرسطو القول من أن الفعل يسبق القوة ويسبب وجودها والشيء المفقد لايمكن تحوله من القوة إلى الفعل إلا بواسطة واجب الوجود ، فالناقص لايمكنه أن يكون موجدا للتام بل هذا مصدر ذاك .

أما الحركة الطبيعية فهى أبدية ويشترط لكل متحرك محرك يتحرك بمحرك آخر حتى ينتهى إلى محرك لايتحرك بآخر فهو جوهر وفعل معا .

فهذا المحرك الثابت هو الله مصدر الحركة الأبدية التى تتحرك بعلة غائية أى بطريق الجذب نحو العقل الأعظم والشوق إليه كما يستميلنا الخير ويستهوينا الشيء الجميل بدون دخل لهما فى ذلك .

وعلى هـــذا المثال ينجذب عالمى الأرواح والأجسام نحو الله بدافع ذاتى .

فأرسطو لايعترف بالعناية الإلهية كأفلاطون إلا أنه أثنينى مثله فكلاهما يقول بالله والمادة منذ الأزل والله على رأيها لم يخلق بل نظمها فقط والله جوهر روحانى يتجلى فيه الفعل والحياة بأتم مظاهرهما ومتمتع أبدا بالسعادة الكاملة ولأنه منهمك فى مشاهدة ذاته فإنه لايلتفت إلى العالم وأرسطو بهذا الرأى يتصور الإله منطويا على نفسه ومقصورا على برجه العاجى ، غير عالم بشيء فى هـــذا الكون ولا مريدا لما يجرى فيه من أحداث فهو بهـذا ينفى التدبير الإلهى للعالم عن الله ونحب أن نلفت أنظاركم

إلى أن بحث أرسطو فيما بعد الطبيعة نشأ من تحليله لنظرية أستاذه أفلاطون في (المثل) وبيان مافيها من أخطاء والرد عليها ومن هذه الردود .

١ - أن نظرية المثل الأفلاطونية لاتوضح مشكلة كيف نشأ هذا العالم ؟ مع أن هذه أهم مسألة في نظر الفلسفة فإذا سلمنا بأن هناك مثالا للبياض مثلا فكيف نشأت عنه الأشياء البيضاء ؟ لايمكننا أن نفهم هذا من كلام أفلاطون ، ولا يمكننا أن نفهم العلاقة بين المثال وأشيائه .

يقول : أن هذه الأشياء صورة للمثال ، وأن المثال (يشاركها الوجود) ولكن هذه العبارة — في رأى أرسطو — عبارة شعرية لاتوضح العلاقة ولا تبين أساس الوجود .

٢ — يمتنع قيام مثل للجواهر المحسوسة فإن المادة جزء منها ولا يوجد الإنسان مثلا إلا في لحم وعظم ، فإذا فرضنا المثل مفارقة كانت معارضة لطبيعة الأشياء التي هي مثل لها ، وإذا فرضناها متحققة في مادة صارت متشخصة جزئية ، وفاتنا المقصود منها وهو أن تكون مجردة ضرورية .

٣ — المثل على رأى أفلاطون روح الأشياء ، وروح الأشياء يجب أن يكون فيها لاخارجا عنها ، ولكن أفلاطون فصل المثل عن الأشياء وجعلها عالما مستقلا ، وجعل لكل مثال وجودا مستقلا .

المعرفة عند أرسطو

يقرر أرسطو أن الحواس الخمس هي نافذة الجسم المفتوحة على العالم الخارجي ، فحاسة الذوق تدرك بالإتصال طعم الأشياء وحاسة الشم تدرك ولو عن بعد روائح الأشياء ، وحاسة اللمس تميز الحرارة والبرودة والرطوبة

واليبوسة وهى فى كل أنحاء الجسم ، وحاسة السمع تدرك ولو عن بعـــد الأصوات ، وحاسة البصر تدرك المرئى ولو من بعد أيضا .

إلى جانب ذلك يملك الإنسان إدراكا باطنيا يحاول به أن يجرد من الصورة المادية مابقى فى ذاكرته لذلك تصبح معرفته تجريدية ذهنية تحفظ جواهر الأشياء بعد أن تنتزع منها صفاتها المحدودة ، فمثلا الألوان يدركها الإنسان كمفهوم مجرد بعد أن يدرك الألوان حسيا بحاسة البصر .

ثم يقرر أرسطو أن المعرفة تذكرية إرادية لاحدسية كما قال أفلاطون ، بمعنى أن الإنسان يريد أن يعرف ولا يتذكر دون مجهود وهذه الإرادة تجعل الإنسان يستدعى أفكاره بصور متشابهة أو مترابطة وهذا ما نعرفه اليوم باسم تداعى الأفكار .

والعقل البشرى — فى رأى أرسطو — هو عقل بالقوة يولد كصفحة بيضاء لاشىء عليها ثم بواسطة التجريد يبدأ الإنسان يخط هذه الصفحة بالمعرفة ، والمعرفة هذه عامة لاجزئية ومعنى أن معرفة الإنسان تنطلق من المجرد إلى الحسى لا العكس ، مثلا يقول أرسطو : إننا بعقلنا لا نرى أفلاطون مثـــلا الذى هو إنسان بل نرى الإنسان الذى هو فى أفلاطون فلا وجود للمعقولات إلا فى الذهن عكس ماقيل فى نظرية المثل .

ولكن كيف تنتقل المعقولات لتصبح بالفعل بعد أن كانت بالقوة ؟ يقرر أرسطو أن ذلك يتم عن طريق العقل الفعال وهو عقل بالجوهر لايدخله جسد ، هو عقل جميع الأنفس البشرية يتصل بعقولنا الفردية ويعاملنا كما يعامل النور الأشياء التى لولاه لاتراها ، كذلك العقل الفعال عقل الأرض لولاه لاوجود لعقولنا الفرد إلا بالقوة ، هو وحده يحولها إلى عقول فردية بالفعل تدرك كل المعقولات حتى إذا ماضعف العقل عند

الشيخوخة فهذا لايعنى أن العقـــل جسد بل مرد ذلك إلى كون القوى الحيوانية المدركة فى الحواس قد ضعفت . وبالتالى صار على العقل أن يتحمل صعوبة المهمة لأن نوافذه على المعرفة أى الآلات والحواس لم تعد قادرة وقوية كما كان سابقا[1] هذا هو رأى أرسطو فى المعرفة وهذا هو حديثه عن العقل الفعال ولست أدرى ماالذى جعل أرسطو يرتاد المجهول ويتحدث عن هذا العقل الفعال ؟

إن أرسطو لم يخبرنا عن أوصاف هذا العقل وكيف لايخالطه الجسم ويعمل بواسطة الآلات الجسدية ؟

من أين أتى هذا العقل الفعال ؟ وكيف يبرر أرسطو هذا التناقض فى قوله ، إن هذا العقل لايتحد بالبدن مع أنه لا وجود للنفس - فى رأيه - إلا مع البدن ، فأين كان هذا العقل عند حدوث النفس ؟ وأين توجد النفس دون جسد ؟

هذه الفكرة جعلت الشارحين فيما بعد يختلفون ويفسرون أرسطو عده تفسيرات .

منهم من اعتبر العقل الفعال هو الله .

وآخرون ظنوه من عقول نظريه الفيض .

وغيرهم اعتبروه العقل العام .

أما ماقرره أرسطو فى فكرة القوة والفعل فهذا وحده يضمن لأرسطو أن نعجب به وأن نثنى عليه وعلى منهجه الفلسفى العميق .

---

(١) الفلسفة العربية عبر التاريخ ص٥٣

مذهبه فى الأخلاق :

يرى أرسطوا أن الإنسان يحتاج إلى جماعة ليعيش فى ظلالها ذلكم أن الإنسان عنده مدنى بالطبع ومن هنا كانت الحاجة إلى الأخلاق وذلك لتنظيم علاقة الفرد بالفرد ثم بالمجتمع كى يعيش الجميع فى الخير الأعظم الذى يراه أرسطو غاية الحياة .

ولكن ماهو هذا الخـــير الأعظم ؟ هل هو السعادة ؟ ولكن ماهى السعادة ؟ .

لقد اختلف الناس فى تحديدها ، بعضهم يراها فى اللذة وبعضهم يقول بأنها الحكمة وبعضهم ومنهم أرسطو يحصرها فى الفضيلة وأرسطو ينفرد عمن تقدمه بفهم خاص للفضيلة ، فهو يرفض الفضيلة الحزينة العابسة المحرومة من طيبات الحياة تقنع بالعقليات المجردة وتطرح حاجات الجسم وتميت الميول والعواطف .

وهو يقرر أنه وإن كانت الفضيلة المجردة هى الخير الأعلى والخير العام فإن الخيرات الدنيوية الخاصة جديرة أن تكون لها كمالا على كمال ، وأن حصول الفيلسوف الفاضل على الصحة والثراء والجمال والأسرة الشريفة والتقدير والإجلال الجدير بمقامه كل ذلك يزيد فى فضيلته ويكملها[1] .

ويرى أرسطو الفضيله بأنها (وسط بين طرفين كلاهما رذيلة) فالكرم الذى هو فضيله وسط بين الإسراف والتقتير وكلاهما رذيلة ، والشجاعة بين الجبن والتهور وكلاهما رذيلة ، والعدل وسط بين الظلم والانظلام وكلاهما رذيلة ، وبالجملة فإن الفضيلة هى المران على عمل الخير

---

(١) ص ١٧ - ١٨ فلسفة الأخلاق : الأستاذ أبو بكر ذكرى .

وتكون فى اختيار أواسط الأمور ومقياس السلوك عنده د لك هو التزام الوسط فى كل شيء .

والعائلة لازمة للجنس البشرى وضرورية لكيان المجتمع وهو بهذا الرأى يخالف أفلاطون الذى يفكك الأسرة لمصلحة المجتمع .

مذهبه السياسي :

يرى أرسطو أن الإنسان حيوان اجتماعى فهو مدنى بالطبع كما سبق والغرض من السياسة تكمن عنده فى خير الدولة التى لابد أن تقوم على مبدأ الحرية والمساواة .

ووظيفة الحكومة كما يرها أرسطو إنما تقوم على تقرير الفضيلة وإقامة العدل بين الناس فيتساوون فى الحقوق والواجبات ولا يمتاز الواحد عن الآخر إلا بالكفاءة .

وخير شكل الحكومة ـ فى رأيه ـ أن تكون جمهورية لأنها تضمن النظام والأمن والحرية .

وبعد فهذه قطرات من بحر فلسفة أرسطو وسطور من تراثه الفكرى المترامى الأراف الواسع الغور ، البعيد المدى .

فإن أرسطو تعتبر ـ بحق ـ أكبر وأعظم الفلاسفة اليونانيين قاطبة ذلك بأنه لم يوسع قط من مدلول كلمة فلسفة حتى أصبحت تحتوى عنده كل ضروب وأشكال المعرفة الإنسانية ، بل أن أعماله الفلسفية لتعتبر بمثابة موسوعة فلسفية لخصت لنا كل ثقافة وفلسفة عصره . فلقد عالج أرسطو فى فلسفته موضوعات متعددة ومتنوعة فتطرق إلى دراسة الله ووجوده والنفس الإنسانية وكذلك الطبيعة والمجتمع ، ولم يهمل السياسة والشعر

والبلاغة والمسرح . ولعل أهم جوانب فلسفة أرسطو قاطبة هو المنطق على أساس أنه المنهج الذى كانت تقوم عليه كل الثقافة اليونانية ، وقد صاغه أرسطو الصياغة العلمية التى بدت حتى فى العصور الحديثة — كما يقول كانت الفيلسوف الألمانى وكأنها هى الصياغة الأخيرة النهائية[1] .

وقد رتب أرسطو كتبه فى المنطق بحيث تطابق عمل العقل فى تدرجه من البسيط إلى المركب وبحيث يكون كل منها كالمقدمة لما يليه ، فبدأها بكتاب المقولات المسمى « قاطيغورياس » وجعل البحث فيه عن الأجناس العالية للوجودات فحصرها فى عشر مقولات هى .

الجوهر ـ الكم ـ الكيف ـ الاين ـ المتى ـ الوضع ـ الإضافة ـ الملك ـ الفعل ـ الإنفعال ـ .

ولما كانت هذه المقولات التسع ماعدا « الجوهر » هى صفات له يمكن أن تقع محمولات عليه فقد جعل كتابه « المقولات » مقدمة لكتاب العبارة المسمى « بارى أرمتياس » الذى يعالج فيه القضايا من جهاتها المختلفة ومايتعلق بها من أحكام مثل العكس والتناقض .

ولما كانت القضية تقع مقدمة للقياس فقد جعل هذا الكتاب مقدمة لكتابه « التحليلات الأولى » المسمى « أنا لو طيقا الأولى » الذى يبحث فيه عن القياس من حيث الصورة التى يجب أن يكون عليها ومن حيث وجوب اشتماله على الحدود الثلاثة والشروط التى يجب توافرها فى كل شكل من أشكال القياس لإطراد الإنتاج .

ولقدكان المعلم الأول يعتز باستدلاله القياسى ويعتبره أدق ماوصل

---

(١) ص ١١٤ مدخل الفلسفة دكتور/ حسن عبد الحميد .

إليه العقل الإنسانى فى التفكير ، وكان له مكانة عظيمة طيلة العصور الوسطى مسيحية وإسلامية حيث كان يستخدم فى دعم القضايا الدينية واللاهوتية إلى أن استقل كعلم عقلى فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، كما اعتمدت عليه فلسفة بعض المتأخرين أمثال « كانت » و « ليبنتز » و « هاملان » .

والحق - كما قلنا سابقا - أن منطق أرسطو قد خلد اسمه أكثر مما خلدته فلسفته فإنه كان موضع إعجاب المفكرين فى كل العصور ، وقد ترك أرسطو علما كاملا مشتملا على جميع صور الفكر بحيث لم يترك لمن جاء بعده مجالا لتعديل أو زيادة أو تجريح فهو كما يقول كانت :

« سلسلة منظمة من التفكير السليم »

هذا وقد ألحق العرب فيما بعد بمنطق أرسطو عناصر جديدة استوحوها من باقى كتاباته فأضافوا الخطابة والشعر وصار منطق أرسطو يضيف لنفسه الجدل الخطابى والشعرى الذى يقنع بسحر الأسلوب والخيال والعاطفة[1] .

---

(١) أنظر ص ٤٥ من الفلسفة العربية عبر التاريخ و ص ١٠ من المنطق الحديث للدكتور الهراس و ص ١٥ من المنطق الحديث ومناهج البحث للدكتور قاسم دار المعارف .

المقارنة بين أفلاطون وأرسطو

يحلو لكثير من المؤرخين أن يقابلوا بين فلسفة أفلاطون وفلسفة أرسطو أو بين التلميذ وأستاذه، فالبعض يوفق بين الفلسفتين والبعض الآخر يفرق بينهما وكأنهما على طرفي نقيض يبالغون في نظرة أفلاطون المثالية وفي نظرة أرسطو الواقعية وسوف نضع بين أيديكم هنا ما اتفق عليه الفيلسوفان وما اختلفا فيه.

١ – اختلف الإثنان في طريقتهما فأفلاطون شاعر بقدر ماهو فيلسوف يحب المجاز والرموز ويكتب بشكل اختراعي وعلى نمط محاورات لا يظهر فيها رأيه إلا بعد أخذ ورد وطريقته استقرائية أما أرسطو فكتابته منظمة وآراؤه متعادلة وطريقته الملاحظة والبرهان الدقيق ولغته موجزة مع اختصار في التعبير.

٢ – اتبع الاثنان مبدأ أستاذهما سقراط من أن غرض المعرفة (العموم) وليس (الخصوص) المتغير، وجوهر الوجود على رأى أولهما المثال وعلى رأى الثاني الصورة الظاهرة.

فالمثل الأفلاطونية والصور المشائية لها مصدر واحد بيد أن أفلاطون يفصل الخاص عن العام ويرى في هذا الأخير الحقيقة الواقعة، أما أرسطو فبدوره يصل العام بالخاص والفرد المكون منهما هو الواقع ويبنى على ذلك أن الحواس وبالتالي الامتحان والتجربة لا دخل لهما في المعرفة – على رأى أفلاطون – بعكس ماذهب إليه أرسطو.

والاثنان مصيبان في مذهبهما لأن الشيء العام لا وجود له بصفته هذه بدون الأشخاص التي يتحقق بها، ولأنه يجب البحث عن العموم بصرف

النظر عن الأفراد التي لاتتشكل بأشكال متماثلة إلا بتعليل خارج عن تلك الأشخاص ومخالف لجوهرها .

٣ ـ قال الفيلسوفان أن الكمال غاية الوجود ، والكامل هو الأول بذاته أى الفعل السابق للقوة . أو المثال الموجود قبل الواقعى ، غير أنهما اختلفا فى الطريقة الموصلة من الناقص إلى التمام أو من التابع إلى المتبوع المطلق .

فأفلاطون لاحظ التشابه الكائن بين الموجودات فبحث عن النماذج متى تشكلت على مثالها الأنواع المختلفة وتدرج فى الارتقاء من نموذج لآخر حتى انتهى إلى المثال الأعظم لنموذج الكمال والجمال .

أما أرسطو فلاحظ حركة الموجودات وأفعالها فتدرج من محرك لآخر إلى أن وصل إلى المحرك الذى لايتحرك أى إلى الفعل المجرد مبدأ النظم جميعها والعلة الغائية للطبيعة .

وكل من الإثنين قال بالواحد الأحد . إلا أن الله فى نظر أفلاطون منظم العالم بعقل وبصلاح ، أما أرسطو فهو يقلل من قيمة الألوهية إذ جعلها مشغولة عن العالم بالتمتع بكمال جوهرها وسعادتها العظمى .

٤ ـ ينفصل أرسطو عن أفلاطون بآرائه الأخلاقية والمنطقية والسياسية لجدليات أفلاطون ركيكة . أما الأستاذ (أرسطو) فقد وضع أساس المنطق واستوفى البرهان لم ينكر أفلاطون الحرية الشخصية صراحة ولكنه يشك فيها بتمثيل الفضيلة بالمعرفة والرزيلة بالخطأ أما أرسطو فقد ميز بين العالمين العقلى والاخلاقى ورفض مذهب (الجبر النفسى) مؤكدا أن الإنسان مخير وحر التصرف لامسير .

وخلاصة القول : أن فلسفة هذين العظيمين أثرت أكبر تأثير في في الاحقاب التي تلتهما حتى لقب أفلاطون بالإلهي .

ودعى أوجست كونت (أرسطو الذى لاشبيه له) لقد كان أفلاطون يحلق في السماء أما أرسطو فيبحث في الارض ويلمس الواقع ، يقول بعضهم .

, إنك إذا تحولت من فلسفة أفلاطون إلى فلسفة أرسطو كنت كمن هبط من ذروه جبل إلى أرض ذات مزارع وبساتين ، تعهدت زرعها وأشجارها يد ماهرة وأحيطت بسياج حصين[1] وهاهو الرسام الشهير رافائيل يتخيل أرسطو يشير بأصبعه إلى الأرض ويعنين واقعتين بينما أفلاطون ينظر بحلم ومثالية إلى السماء ويشير إليها[2] .

وقد قال أحد الكتاب الالمان :

(أن كل مولود يولد إما أفلاطونيا أو أرسطوطاليسيا) ويعنى بذلك أن الناس إما أن يميـــلوا إلى الخيال وإما إلى الواقع ، أما إلى الشعر وأما إلى المنطق الجاف .

---

(١) ص ٢٨٥ قصة الفلسفة اليونانية .
(٢) الفلسفة العربية عبر التاريخ .

الفلسفة بعد أرسطو

بعد أن جاد الزمان بالفلاسفة العظام (سقراط - أفلاطون - أرسطو) أخذت الطبيعة هدنة ردحا من الوقت حيث أن الخلفاء لهؤلاء الكبار لم تكن فيهم روح الابتكار أو الإبداع فظلوا متبعين مذاهب معلميهم ، حتى أنهم أيضا لم يحافظوا عليها كما تسلموها بل أدخلوا عليها آراء غريبة فتلاميذ أفلاطون أدخلوا نظرية العدد بدلا من نظرية المثل ورأى بعضهم أن الخير ليس مبدأ الأشياء بل نتيجة لها ونفس الشيء أيضا حدث في مذهب أرسطو فلم يحافظ تلامذته على تعاليمه بل حوروا في مذهبه فيما وراء الطبيعة وجعلوه واحديا بعد أن كان أثنينيا ، وانصرفوا إلى العالم الطبيعي فأوى بهم الأمر إلى المذهب المادي ولقد كانت نظرية السعادة أو الخير المطلق شغل الفلاسفة الشاغل لذا فقد أصبح علم الأخلاق من أهم أبحاثهم ومن هنا فقد تباروا في الإجابة على هذا العلم واشتهر أنذاك ثلاث مدارس جديرة بالذكر وهي المدرسة الأرتيابية والمدرسة الرواقية والمدرسة الأبيقورية وسوف نتحدث عن هذه المدرسة الأخيرة فقط لأنها أكثر هذه المدارس شهرة .

الرواقيون

حياة زينو[1]

ولد زينو القبرصي مؤسس المدرسة الرواقية نحو سنة ٣٤٢ ق . م
مدينة سيتيوم من أعمال قبرص ، وقد كانت مدينة
يونانية تغلب على أهلها النزعة الدينية التي يتميز بها الجنس السامي ،
وقد كان ينتمي إلى هذا الجنس عدد كبير من سكان تلك الجزيرة .
وكان أبوه بل أسرته جميعاً تشتغل بالتجارة ، فبدأ زينو في
طليعة شبابه يمارس تلك المهنة ، ثم نزلت به كارثة مالية فادحة
أصابته بجنوح مركب فيها ماله فاصطدمت بصخرة حطمتها ،
وبذلك فقد زينو كل ثروته . فذهب إلى أثينا حيث تتلمذ
لكراتس الكلبي ، وستلبو الميغاري ، وبوليمو
الاكاديمي ، فاجتمعت لديه فروع شتى من المذاهب
الفلسفية ، إذ درس فلسفة الكلبيين وطرائق حياتهم العملية ،

(١) يلاحظ أن هناك فيلسوفين كبيرين يسمى كل منهما زينو ، زينو الإيلي وقد تقدم ذكره في الفلسفة الإيلية وزينو الرواقي وهو هذا .

كما درس الفلسفة الميغارية ، هذا فضلا عما تأثر به من تعاليم سقراط التي درسها مما كتبها اكزنوفون وأفلاطون ، فتناول تلك الآراء جميعاً ، وطبعها بطابع ذهنه ، وأخرجها للناس فلسفة جديدة ، فأنشأ حوالى سنة ٣٠٠ ق م مدرسة فى رواق مزخرف نسب إليه المذهب وأصحابه . ولئن كان التاريخ لا يعى من أخريات أيامه إلا قليلا فإنه لا يسعه أن يخفى تلك الشخصية الممتازة البارزة التى صادفت من قلوب معاصريها كل إجلال وإكبار ، لما تحلت به من خلق نبيل ، ولما اتصفت به حياته من بساطة واعتدال استطاع بفضلهما أن يعمر أعواماً طوالا دون أن تصيبه علة أو مرض ، ثم شاء أن يختم حياته بيده ، فانتزع نفسه من صدره اختياراً سنة ٢٦٤ ق . م (أو ٢٦٠) .

أعلام المذهب الرواقى

وجدير بنا أن نلم إلمامة خفيفة بأعلام الرواقيين الذين خلفوا زينو ، فقد تزعم المدرسة الرواقية من بعده كلنثيس
وأخذ يديرها بين سنتى ٢٦٤ و ٢٣٢ . وقد كتب فيما كتب نشيداً دينياً رائعاً كان من أثره أن اكتسب المذهب الرواقى تلك النزعة الدينية القوية التى عرفت عنه . ثم خلفه كريسبس

، وقد تولى رئاسة المدرسة بين سنتى ٢٣٢ و ٢٠٤ ق‌م وهو الذى أكمل جوانب النقص فى مذهب الرواقيين . حتى انتهى بفضله إلى ما يجوز عليه من تمام ، فضلا عما بذل من جهد فى رده على ما وجهه إليه الشكاك ورجال الأكاديمية من سهام النقد . وهكذا لبث المذهب الرواقى فى أثينا ينتقل من زعيم إلى زعيم حتى كانت سـنة ١٥٠ ق . م أو ما يقرب منها ، فانتقل إلى روما ، حيث خيم برواقة إلى سنة ٢٠٠ بعد الميلاد ، وأبرز أعلام هـذا المذهب من الرومانيين هم : سينيكا ، وابكتيتس ، والإمبراطور ماركس أورليوس ، وشيشرون . فقد نفخو فيه من روحهم بما أنتجت أقلامهم .

أساس المذهب الرواقى

لم يحفظ لنـا التاريخ مما كتب الفلاسفة الرواقيون فى ثلاثة القرون الأولى من حياة مدرستهم إلا أجزاء قليلة متناثرة ، وذلك على كثرة ما سطرت أقلامهم كثرة خصبة وافرة ، حتى قيل عن أحدهم — كريسبس — إنه ألف وحده نحو سبعمائة كتاب . ولذا كان من المتعذر أن نرد أجزاء المذهب إلى أربابها من أعلام الرواقيين ، فليس لدينا ما نستطيع أن نعتمد عليه فى التمييز بين آراء

زينو نفسه وما أضافه أتباعه ، وبخاصة كريسبّس ، فكان لزاماً علينا أن ننظر إلى المذهب كله كوحدة دون أن نعمد إلى تتبع مراحل نموه وتطوره ، فلنأخذه كما خلفه كريسبّس .

جاءت الفلسفة الرواقية مناقضة لفلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو ، فقد أقام هؤلاء فلسفتهم على أساس البحث النظرى قبل كل شىء ، أما الرواقيون فلم يأبهوا بالآراء النظرية ولم يعيروها من عنايتهم ودرسهم إلا بمقدار ما تكون سبيلاً إلى الجانب العملى من الحياة ، فليست الفلسفة عندهم أن يتقصى الإنسان بنظره الأرض والسماء ثم يقف عند هذا الحد لا يعدوه ، إنما هى — كما عرفوها — فن الفضيلة ومحاولة اصطناعها فى الحياة العملية .

أراد زينو إذن أن يحيا حياة فاضلة تقوم على أساس من الخلق القويم ، ولكن من له بهذا الأساس ، وأين يجده ؟ إنه يريد عماداً ثابتاً وطيداً لا تتزعزع قوائمه مع اختلاف الزمان والمكان ، فالتمس بادئ ذى بدء كراتس الكلبى عسى أن يصادف عنده أساسه المنشود ، ورافقه زمناً طويلاً ، حتى أخطأ فريق من أتباع زينو فاعتبروا أنفسهم ورثة للفلسفة الكلبية التى تفرعت عن فلسفة سقراط ، وكانوا يتخذون سقراط وديوجنيس وانتسثنيس أمثلة عليا لما يجب أن يكون عليه الحكيم ؛ وإذن فقد كان غرضهم

الأسمى هو غرض المدرسة الكلبية بذاته : سعادة الإنسان واستقلاله بفضيلته ، وكان تعريف الفلسفة عندهم هو تعريفها عند ذلك المذهب الكلبي : عمل الفضيلة ، وقاسوا قيم الأبحاث النظرية بمقدار اشتراكها فى بناء الحياة الأخلاقية . ولكن فات هذا الفريق أن مذهب زعيمهم زينو لم يكن هو بذاته مذهب المدرسة الكلبية بل ولا هو تهذيبه فحسب ، بل إنه شيء آخر جديد خلقه زينو خلقاً وأنشأه إنشاء ، وإن يكن قد استقى عناصره من سابقيه .

لم يكن الرواقيون جميعاً على اتفاق تام فى فلسفتهم ، فبينا نجد هريلوس يصرح بأن المعرفة وحدها هى الخير الأسمى وأنها غاية الحياة المثلى ، يرى فى الطرف الآخر « أرستون » يحتقر الثقافة والتعليم ، ويسخر من كل ضروب المعرفة ، فإن كانت تلك المعرفة متعلقة بما وراء الطبيعة فهى محاولة فاشلة ، فهيهات لهذا العقل البشرى العاجز أن يصل إلى شيء مما وراء الطبيعة ، وأما إن كانت المعرفة بحثاً فى الطبيعة المادية نفسها فهى عيث لا غناء فيه . وكأنما أراد أرستون بذلك أن يحصر الرواقية فى حدود الفلسفة الكلبية فلا تعدوها ، بأن ركز القيمة كلها فى الأخلاق وحدها ؛ وبين هريلوس من ناحية وأرستون

من ناحيــة أخرى كان زينو يرى أن المعرفة العملية شرط أساسى للحياة الأخلاقية ، ولذا فقد قسم فلسفته إلى أبحاث ثلاثة : المنطق والطبيعة والأخلاق ، على أن يكون الأولان وسيلتين تؤديان إلى الثالث وهو الغاية المنشودة .

أما المنطق فقد تأثر فيه خطو أرسطو ، وإن يكن قد أضاف إليه ، وأما الطبيعة فقد بناها على مزيج من نظرية هرقليطس وآراء أرسطو ، وأما الأخلاق فقد خفف من غلواء المدرسة الكلبية فأدخل على صلابتهم شيئاً من اللين : من تلك العناصر المتفرقة أقيمت الفلسفة الرواقية ، فلا يجوز لأحد أن يزعم أنها استمرار للفلسفة الكلبية وحدها بحال من الأحوال .

المنطق

خير لنا أن نمر في بحثنا على الجزء من منطق الرواقيين الذى يتصل بالقواعد لأنه فى جوهره منطق أرسطو ، وأن ننصرف بعنايتنا إلى نظريتهم التى أضافوها — وهى من ابتكارهم — عن أصل المعرفة ومقياس الحقيقة .

أنكر الرواقيون ما ذهب إليه أفلاطون من أن فى النفس مُثُلاً جاءتها بالفطرة منذ الولادة ، ولم تُكتسب من العالم الخارجى ،

وزعموا أن نفس الطفل عند ولادته تكون صفحة بيضاء خالية من كل أثر وصورة ، ثم لا تلبث أن تتوارد على حواسه آثار منبعثة من الأشياء الخارجية فتنطبع صورها فى لوحة الذهن كما تنطبع صورة الختم على قطعة الشمع ، وإذن فالعقل قابل للآثار الحسية منفعل بها ، وقد يكون له أثر فعّال ولكن على ألا نتجاوز تلك الفاعلية ما تقدمه له أعضاء الحس من مادة ، فهو لا يخلق من عنده شيئاً ، إنما ينحصر تصرفه فى هـذه الدائرة الضيقة وحدها ، يشكّل فيها ويصور من أجزائها كيف شاء ، وإذن فمعين المعرفة كلها هو العالم الخارجى ، يرسل إلينا أسباب العلم فتسلك إلى أذهاننا سبلا خمسة ، هى الحواسّ ، وليس سوى ذلك علم ولا معرفة خلافاً لما ارتآه أفلاطون « من أن العقل وحده مصدر المعرفة تنبع منه لأنها مطبوعة فيه وأما الحواس فهى لا تؤدى إلا إلى الوهم والزلل » . نعم أنكر الرواقيون ما أثبته أفلاطون من أن هذه المدركات الكلية — أو بعبارة أخرى أسماء الأجناس كإنسان وحصان وشجرة — صور لحقائق ميتافيزيقية موجودة فعلا خارج حدود أذهاننا ، فتلك الإدراكات الكلية إن هى إلا أفكار فى عقولنا نحن ، وانتزعناها مما صادفنا فى الحياة من جزئيات ، فجمعنا كل طائفة من الأشباه فى جنس واحد ، وأطلقنا عليها اسماً مشتركاً

فليس لهذا الاسم المشترك مدلول خارج نفوسنا .

وما دامت المعرفة كلها إنما صدرت عن الأشياء المحسة فالحقيقة هي المطابقة بين ما ينطبع في أذهاننا من آثار وبين الأشياء الخارجية نفسها ، أو بعبارة أخرى هي تطابق بين صورة الشيء في أذهاننا وبين الشيء نفسه ؛ ولكن كيف السبيل إلى معرفتنا أن هذه الأفكار التي تحملها رءوسنا نسخ صحيحة لأشيائها في الخارج ، ما يدريك أن صورة الشجرة التي في ذهنك تنطبق على مسماها ، ولم لا تكون هذه الأفكار من لعب الخيال وصنع الوهم ؟ أثمـــة مقياس نقيس به الحقيقة فنميز بين الفكرة الصحيحة والفكرة الزائفة ؟ يجيب الرواقيون أن نعم ، ولكنه ليس في هـــذه الإدراكات الكلية لأنها صنيعة أذهاننا ؛ فهي التي كونتها وركبتها مما أتت إليها به الحواس ، قد رأيت زيداً وعمراً وأحمد وخالداً فكونت لنفسك من هؤلاء صورة سميتها « إنساناً » فلا يجوز لك بحال من الأحوال أن تتخذ هذا الذي كونته لنفسك بنفسك مقياسا تميز به الباطل من الصحيح . وإذن فلا حق إلا هذه الآثار الحسية نفسها ؛ وعلى ذلك فقياس الحقيقة لا بد أن يكون في دائرة الإحساس ولا يتعداها ، مقياس الحقيقة هو الشعور لا الفكر .

ويرى الرواقيون أن الأشياء الحقيقية تبعث فينا شعوراً قويا واضحاً ، أو اعتقاداً بأنها حقيقة . وهذه القوة وهذا الوضوح فى الصورة التى تنبعث فى الذهن من شىء حقيقى كفيلان بتمييز الصورة الذهنية الصحيحة التى تمثل حقائق خارجية من الصور التى نسجتها الأحلام وركبها الخيال . فالشيء الحقيقى إنما يفرض نفسه على نفوسنا فرضاً ، وليس لإنكاره من سبيل ، إذ يقوم فى النفس اعتقاد جازم بأن هذا الشيء المعين موجود فعلا فى الخارج ؛ فهو حقيقة مؤكدة ، وهذا الاعتقاد هو وحده مقياس الحقيقة .

وإذن فقد عادت الفلسفة أدراجها كرة أخرى ، واتسمت بالطابع الشخصى ، وأصبح مقياس الحقيقة ليس قائما على العقل وهو عنصر عام ، بل على الشعور وهو عقيدة شخصية محصورة فى الفرد .

الطبيعة

وضع الرواقيون أساسا لفلسفتهم الطبيعية وهو : « أن ليس فى الوجود غير المادة » وهذا المبدأ يتفق ورأيهم فى المعرفة الذى شرحناه ، فإن كانت المعرفة لا تأتى إلا من طريق الحواس فما لم يحس لا يعرف . وكل شىء موجود هو مادة ، حتى الروح وحتى

الله تعالى ؛ وقد أداهم إلى هذا النظر اعتباران : الأول أن وحدة الوجود تتطلبه ، فالعالم واحد ولابد أن يكون نشأ من مبدأ واحد ، فالقول بأن هناك مادة ومثلا كما يقول أفلاطون ينشأ عنه وجود فاصل بين الاثنين ليس عليه جسر يعبر عليه بينهما ، فيجب أن نقتصر على المادة ونعمل فيها عقلنا . وثانياً — أن الجسم والنفس ، والعالم والله متفاعلان . فمثلا الجسم يؤدى إلى أفكار فى النفس ، والنفس تبعث على حركات فى الجسم ، وهذه كانت تكون مستحيلة إذا لم يكن الجسم والنفس من عنصر واحد ، فالمادى لا يمكنه أن يؤثر فى غير المادى والعكس ، فلابد أن يكون هناك اتصال واتحاد فى العنصر ، وحينئذ يجب أن يكون الكل ماديا .

ثم بحثوا فى أساس المادة الذى نشأ عنه هذا العالم ، والذى هو أصل لكل التغيرات ، فتبعوا فى ذلك مذهب هرقليطس القائل بأن النار أساس كل شىء ، وأن كل شىء مركب من نار ، وقد مزجوا رأيهم المادى بالحلول فقالوا إن الله هو النار الأولى ، ونسبة الله إلى العالم كنسبة روحنا إلينا ، ونفس الإنسان نار كذلك ، وجاءت من النار الإلهية وانبثت فى الجسم كله ، وكذلك الله منبث فى العالم كله لأنه نفس العالم والعالم جسمه .

وعلى الرغم من أن الله منبث فى كل شىء فى الوجود كما تنبث

روح الإنسان فى كل أجزاء جسمه ، إلا أنه كالروح البشرية أيضاً — مع انبثاثها هذا تتخذ لها مستقراً من الجسم يكون مركزا رئيسيا لها ، يمتاز عن بقية الأجزاء — كذلك هو مع انتشاره فى كل دقائق الكون قد تخير لنفسه مكاناً اتخذه مركزا رئيسياً ممتازا ، وموقعه من الكون فى المحيط الخارجى ، وعلى رأى آخر فى قلب العالم ، ومن ثم تنبعث قواه فى كل أنحاء الكون .

لم يكن بادئ الأمر فى الوجود غير الله فى هيئة النار كما أسلفنا ، ثم تحرك الله ، أو تحركت تلك النار الإلهية بتعبير أصح ، وحولت جزءاً منها إلى هواء ، ثم جزءاً من الهواء إلى ماء ، ثم سوى جزءاً من الماء أرضاً ، ومعنى ذلك أن هـذا الهواء وهذا الماء وتلك الأرض إن هى إلا صور من الله حوّل نفسه إليها عمداً ، وأبقى من نفسه جزءاً إلهياً خالصاً ، لا يزال فى أصله النارى ، وهو الذى حدثناك عنه أنه مستقر فى محيط الكون الخارجى أو فى القلب ، وهو الذى يبدو لنا كأنه وحده الله منفصلاً عن هذا العالم يسيره ويدبره ، والواقع أنهما جميعاً شىء واحد على اختلاف فى الكيف والدرجة .

ولكن العالم لن يلبث على صورته هذه إلى الأبد ، بل إنه سيعود — إذا سار ما قدر له من شوط — فيتحول إلى نار

عظيمة تصهر كل شيء إلى بخار ملتهب كما كان أول الأمر ، وسيعود الله أو «زيوس» حسب تعبيرهم فيحتضن العالم في نفسه ولا يكون في الوجود إلا هو في صورة واحدة ، ولن يلبث حتى يعود فيخرج مرة ثانية ، وهكذا سيتعاقب على العالم حالان : الهدم والبناء إلى ما لا نهاية ، ولما كان ذلك يحدث على أساس من النظام والقانون ، وليس متروكا أمره فوضى ، فإن العوالم المتعاقبة اللانهائية في عددها ستجيء متشابهة أتم الشبه حتى في أدق التفصيلات ، فيقع في كل عالم ما وقع في سالفه من أحداث ، ويظهر فيه ما ظهر في ذاك من أحياء وأشياء في دقة وضبط ، لا يجد الشذوذ إليهما سبيلا ، وفيم اختلاف المسبب إن كان السبب هو هو والقانون بذاته لا يتغير ولا يعتريه نقص ولا زيادة ؟ ولئن كان العالم هكذا مسيراً بقانون مقدور فهو مجبر على السير في طريق معينة ليس لأي شيء عن السير فيها محيص ، بما في ذلك الإنسان .

يتضح مما سبق أنه على الرغم من مادية الرواقيين فقد قالوا إن الله هو العقل المطلق ، وهم بهذا القول لم يعدلوا عن ماديتهم لأنهم فسروه بأن النار الإلهية عنصر عاقل وإذا كان الله عاقلا فالعالم مسير بالعقل والحكمة ، ومن هذا ينتج :

(١) أن العالم سائر إلى غاية ، يسير نحوها بنظام وجمال وثبات .

(٢) وأن العالم خاضع لقوانين ثابتة ، يسيره حتما قانون العلة والمعلول والسبب والمسبب ، لهذا لم يكن الإنسان حراً ، لأنه لا يمكن أن يكون حر الإرادة في عالم مجبر ، قد نقول إننا نختار هذا أو ذاك ، ولكن هذه العبارة ليست تدل إلا على أننا نرضى هذا أو ذاك ، وما اخترناه أو ما رضيناه فنحن لا شك مضطرون إليه .

ونفس الإنسان جزء من النار الإلهية ، ولهذا كانت نفساً عاقلة — ولكن ليست نفس كل فرد تأتي مباشرة من الله ، وإنما النار الإلهية انبعثت منها نفس الإنسان الأول ثم تنقلت من الأصل إلى الفرع وهكذا على طريقة التوالد ، وبعد الموت تستمر كل نفس ، أو الخيرة منها — مذهبان في ذلك عندهم — حية متصلة بالفرد إلى أن يحصل الاحتراق ، فتعود هي وكل شيء إلى الله .

الأخلاق عند الرواقيين

تعاليم الرواقيين الأخلاقية موسعة على مبدأين أشرنا إليهما في تعاليمهم الطبيعية .

(١) أن العالم محكوم بقانون شامل ثابت ليس فيه استثناء

(٢) أن طبيعة الإنسان الأساسية طبيعة عاقلة ، فصاغوا آراءهم الأخلاقية فى هـذا المبدأ « عش على وفاق الطبيعة » يعنون بذلك شيئين :

(١) يجب أن يعمل الناس على وفاق الطبيعة بمعناها الواسع أعنى على قوانين الطبيعة التى تحكم العالم .

(٢) أن يعملوا على وفاق الطبيعة بمعناها الضيق ، أعنى حسب أهم شىء فى طبيعتهم وهو الجزء العاقل ، فيسير الإنسان على حسب ما يرشد إليه العقل خاضعاً لقوانين العالم تكون حياته حياة أخلاقية . فالفضيلة هى السير حسب العقل ، والإنسان الحكيم هو من يخضع حياته لحياة العالم ويعد نفسه تُرْساً فى دولابه الدائر — والخضوع للعقل قال به أفلاطون وأرسـطو من قبلهم وإنما الفرق شرح الرواقيين لهذا المبدأ ، فأرسطو مثلا عد أهم جزء فى الإنسان عقله كما قال الرواقيون ، ولكنه عد الشهوات جزءا من الإنسان له مكانه ولم يتطلب محاربتها وإنما تطلّب ضبطها بواسطة العقل ، أما الرواقيون فعدوها شرا محضاً يجب إبادته ، وصوروا الحياة حياة حرب بين العقل والشهوات يجب فيها أن ينتصر العقل ويظفر بالشهوات يعدمها ، ومن ثم كانت نظراتهم تنتهى بالتقشف والزهد وعدم التوازن بين قوى الإنسان

قد جعل أرسطو الفضـــيلة أكبر شيء قيمة ، ولكنه مع هذا جعل للمال والظروف والأشياء التى حولنا قيمة فى الحياة . أما الرواقيون فقالوا : لا خير فى الوجود إلا الفضيلة ، ولا شر إلا الرذيلة ، وما عداها فشيء تافه لا قيمة له ، فالفقر والمرض والألم والموت ليست شروراً ، والغنى والصحة واللذة والحياة ليست طيبات ، فإذا انتحر الإنسان وأعدم حياته لم يعدم شيئاً ذا قيمة — واللذة ليست ذات قيمة ، وعلى الإنسان ألا يبحث عن اللذة ، فالسعادة الحقة فى الفضيلة ، والإنسان يجب أن يكون فاضلاً لا للذة ولكن لأنه الواجب ، وليس هناك درجات للفضائل ولا للرذائل ، فكل الفضائل خير ومتساوية فى الخير ، وكذلك الرذائل .

والفضيلة مؤسسة على شيئين : العقل والمعرفة ، لهذا كان المنطق والطبيعة ونحوها من العلوم ليست لها قيمة ذاتية ، إنما قيمتها فى أنها أساس للفضيلة ، وأساس الفضائل كلها الحكمة ، ومن الحكمة تنبع فضائل أساسية أربع ، وهى : بعـــد النظر والشجاعة ، وضبط النفس أو العفة ، والعدل ؛ وإذ كانت الحكمة أساس هذه الفضائل كان من حازها حاز كل شيء ، ومن فقدها فقد كل شيء ، والإنسان إما فاضل بكل ما تدل عليه الكلمة ، وإما شرير بكل ما تدل عليه الكلمة ، وليس فى العالم إلا اثنان :

حكيم ومغفل ، ولا شيء بينهما ، وليس هناك تدرج من الشر إلى الخير ، فالحكيم هو الكامل ، وهو الحر والغنى ، وهو الملك حقاً ، وهو الشاعر وهو الفنان والنبى ، وليس للمغفل إلا البؤس والقبح والفقر ، وهؤلاء الحكماء فى الدنيا قليلون ، وكلما تقدم الزمن زادوا قلة .

وقد وضع الرواقيون ، قواعدهم هذه قاسية جافة كما رأيت . ثم أخذوا يعدلونها ويستثنون منها حسب ما ألجأتهم إليه الظروف ، فعدّلوا نظرهم فى إبادة الشهوات لما رأوا أن ذلك مستحيل ، وإن كان ممكناً فهو يؤدى إلى الفناء العاجل ، والعجز عن العمل ، فقالوا : — إذن — إن الحكيم لا يفقد شهواته ولا يستأصلها ، ولكن لا يسمح بنموها — كذلك عدّلوا قولهم بأن كل شيء عدا الفضيلة والرذيلة لا يؤبه له ، فلما رأوا أن هذا لا يسير مع الحياة العملية أعلنوا أن من الأشياء التى لا يؤبه لها ما يفضّل بعضه بعضاً ، فإذا خير الإنسان بين الصحة والمرض اختار الصحة ، وقالوا : إن ما عدا الفضيلة والرذيلة ينقسم إلى ثلاثة أقسام : ما يُفَضّل ، وما يجتنب ، وما يهمل فلا يهم — كذلك عدلوا رأيهم فى أن الإنسان إما حكيم وإما مغفل ، فقد رأوا أن أبطال العالم ورجال التاريخ والسياسة ينطبق عليهم ما ذكروه عن المغفلين لأنهم ليسوا حكماء على الإطلاق ، فهم كثيراً ما ينغمسون

(٢٠)

فى الرذائل ، حتى الرواقيون أنفسهم لا يخلون ممن يرتكب الأخطاء أحياناً ، وفضلاؤهم لا يصح أن يقارنوا بسقراط وديوچنيس فاعترفوا بأن من الناس من ليسوا فضلاء ، ولكنهم يقربون من الفضلاء .

وقالو : ومهما بلغ الإنسان من استقلاله عن العالم الذى يحيط به واستغنائه عن كل شيء مكتفياً بنفسه فإنه لا بد متصل ببنى جنسه فى بكثير أو قليل ، وهو بما ركب فيه من نفس عاقلة يدرك أنه جزء من الكون ، وأنه مضطر لذلك إلى العمل من أجل الجميع ، ويدرك كذلك أن سائر الكائنات العاقلة لا تختلف عنه نوعاً ولا تقل عنه فيما لها من حقوق ، وأنهم يخضعون لنفس القانون العقلى الذى يخضع له هو ، ويدرك أيضاً أن الطبيعة إنما أرادت بهؤلاء جميعاً أن يعيشوا معاً فى مجتمع واحد ، يعمل الواحد من أجل الآخر ، فقد جبلت فى الإنسان غريزة الاجتماع الذى لابد لنشأته وقيامه من شرطين : العدالة والحب بين الأفراد ، وبغيرهما لا يرجى لمجتمع دوام البقاء ، ولذا فلا مندوحة للحكيم أن يصادق الحكماء جميعاً ، وأن يبادلهم حباً بحب .

ويرى الرواقيون أن هذه الصلة بين أفراد الإنسان لا يجوز أن تقتصر على أبناء الوطن الواحد : فالعالم كله أمة واحدة لا فرق

بين رجل ورجل ، ولقد تابع زينو بهذا الرأى المدرسة الكلبية متابعة وفية لم يغير فى رأيهم شيئاً ، حتى قيل عن الكتاب الذى ألفه زينو وأسماء « فى الدولة » إنه « كتب على ذيل كلب » إشارة إلى أنه تأثر فى كتابه هذا آراء الكلبيين خطوة خطوة .

فلم ير الرواقيون مبرراً للتفريق بين بنى الإنسان فى المعاملة ما داموا ينتمون جميعاً إلى أصل واحد ، ويسيرون إلى غاية واحدة ويخضعون لقانون واحد ، وهم أعضاء جسم واحد ؛ فيجب وجوباً لا مفر منه أن نعامل كل إنسان كائناً من كان ، معاملة حسنة طيبة ، لا نستثنى من ذلك العبيد ، فهم كذلك جديرون منا بكل عناية وتقدير .

والدين الحق عند الرواقيين هو الخضوع لقوانين الكون وصروفه المقدورة ، وهو تلبية حاجات المجتمع وخدمته ، والتقوى هى عبادة الآلهة ومحاكاتهم حتى نرتفع إلى ما هم فيه من كمال ، هى فى صفاء القلب ومضاء العزيمة . فليس الإيمان الصحيح والدين القويم إلا الحكمة والفضيلة ، وبعبارة أخرى الدين والفلسفة شىء واحد .

* * *

ومن هذا ترى أن الرواقيين لم يأتوا بجديد كثير ، وإنما اقتبسوا من أقوال من قبلهم ، وكانوا قساة فى تعاليمهم لا ينظرون

إلى الأشياء إلا من جانب واحد ، وقصروا الفلسفة على الفلسفة التى تتعلق بأنفسهم ، فما يهم من الفلسفة عندهم هو الإجابة عن هذا السؤال « كيف أعيش » ، ومن محاسنهم التى لا شك فيها أنهم رقوا الشعور بالواجب ، ودعوا إلى سمو النفس فوق سفاسف الحياة .

ومن متأخرى الرواقيين ابكتيتس . ، وهو من أكبر معلميهم (٥٠ – ١٣٠ م) وقد كان عبداً رقيقاً ، يحكون أن سيده كان يعذبه يوماً وقد لوى رجله فلم يزد ابكتيتس على أن يبتسم ويقول فى هدوء : « ستكسر رجلى » ، فلما كسرت قال فى غير جزع : « قلت إنك ستكسر رجلى » . وكان من أهم تعاليمه أن أخلاقنا وسعادتنا إنما تعتمد على قوة المقاومة ، وما نجد هذه الحياة من آلام ليس إلا تمريناً رياضياً نصل به إلى ضبط النفس والإمساك بزمامها (١)

---

١) ص ٢٩٢ وما بعدها : أحمد أمين وآخر ، قصة الفلسفة اليونانية ، ط ٣ مطبعة التأليف والنشر

المدرسة الأبيقورية

لقد أسس هذه المدرسة أبيقور الذي ولد فى ساموس عام ٣٤٢ ق م وبعد فترة انتقل إلى أثينا حيث قضى عاما واحداً ثم قصد إلى كولوفون وبقى اثنى عشر عاما لا ينقطع عن الدراسة والبحث معلما نفسه بنفسه وعندما استقر فى أثينا أقام مدرسة فى داره وحديقته ولذا فقد عرف تلاميذته فلاسفة فلاسفة الحديقة ، ولقد كان هذا الفيلسوف ذا شخصية محبوبة وهذا هو السر فى تعلق تلامذته به إلى درجة التقديس ، وقد بقيت المدرسة الأبيقورية قائمة نحوا من ستة قرون ، ولقد وضع أبيقور أساس المذهب وأكمله فلم يزد من جاء بعده شيئاً ذا قيمة على آراء أستاذهم ولقد أفرط هذا الفيلسوف فى التأليف إذا أخرج نحوا من ثلاثمائة مجلد لم يبق منها سوى شذرات قليلة .

مذهبه الطبيعى :

لقد اهتم أبيقور بدراسة الطبيعة وحاول أن يفهم أسرارها لأن هذا — فى رأيه — يخدم الجانب الهام والأساس من فلسفته وهو الأخلاق ، وهو يقول فى هذا أن الذى ينقص صفو الإنسان فى هذه الحياة أمران الخوف من الآلهة وخشية الموت وما قيل عن الحياة بعد الموت فإذا استطعنا أن نقضى على هذا الخوف .

فإننا نكون حينئذ قد تخلصنا من أخطر الأمور التى تقف حائلا أمام سعادة الإنسان وليس أمامنا من طريق للقضاء على هذا الخوف إلا بدراسة الطبيعة وفهم قوانينها والاقتناع فى النهاية بأن هذا العالم ما هو إلا آلة ميكانيكية محكوم بعلل ومعلولات طبيعية ولا توجد فيه سوى الكائنات الطبيعية ، وأن الإنسان فى نهاية الأمر حر له أن يحقق سعادته كيفما يريد

والدراسة لما له من صلة بمقوماتنا الذاتية ، وفائدة عظيمة فى حياتنا العملية ذلك هو الجانب الأخلاقى من الفلسفة الإنسانية والواجب أن لا نعتد بغيره من الأبحاث الأخرى إلا بمقدار ما يعيننا على دراسة الأخلاق التى يجب أن يصرف إليها الحكماء كل اهتمامهم [1].

لقد تابع أبيقور (أريستيب) الذى قال أن الخير فى اللذات كيفما كانت والشر فى الآلام مهما حسنت غايتها ، ولكن أبيقور لم يواصل السير معه إلى آخر الشوط ، بل أنكر عليه اعتداده باللذة العاجلة فإن ذلك لا يوصل إلى السعادة ، وإنما نحصل على السعادة بتحصيل الأنفع من هذه اللذات .

ذلكم أن أبيقور يفرق بين نوعين من اللذة .

أحدهما : حاد ومتقلب يذهب سريعاً وتكثر منه الآلام وهذا النوع هو لذة جسمية فإذا جعله الإنسان غرضه من الحياة حكم على نفسه بعذاب تنتال [2].

أما النوع الثانى : فهو اللذة الأبدية فهى ساكنة ومستديمة ومجردة من كل قلق وهذه اللذه هى العقلية التى لا اضطراب فيها ولا ألم ولا نصب فيبلغ الإنسان منتهى السعادة وغاية الحياة أو الخير الأعظم ، ولا يصل الإنسان إلى هذه اللذة إلا إذا ميز بين الرغائب التى يمكن نوالها وعددها قليل وضرورية للوجود (فيكسره خبز وقدح ماء يسد جوعه ويروى ظمأه) .

---

(١) ص ١٤٥ - ١٤٦ الفلسفة اليونانية د . محمد بيصار .

(٢) تنتال ملك ليديا أو لم للآلهة وليمة قدم فيها جسد ابنه فحكم عليه بالعذاب : يعطش ولا يجد ماء ويجوع ولا يجد قوتا فظل إلى الأبد ظمآن جائعا

والرغائب : الطبيعية التى ليست ضرورة يجب التقليل منها بقـــدر الإمكان لأنها مجلبة لانشغال البال واضطراب الفكر كالزواج مثلا والاهتمام بشئون العائلة .

أما الرغائب : الكمالية التى ليست بضرورية ولا بطبيعة فيجب نبذها واستئصالها كمحبة الغنى والشرف والرياسة فهذه الرغبات لا نهاية لها .

والفضيلة أجل ما يتبع ولكن كواسطة وليست كغاية فكما أن الإنسان يدرس الطب لاحبا فى ذات العلم بل ليشفى به الأمراض لنوال الصحة ، كذلك الفضيلة يمارسها العاقل لا لذاتها بل نظراً للذة التى تنشـــأ عنها والحكمة تجعلنا نميز بين اللذات الصحيحة واللذات الكاذبة — والاعتدال يمنعنا من الاسترسال فى الشهوات المضطربة كما أن الشجاعة تقصى عنا الخوف من الموت ومن عذاب الجحيم ، أما العدالة فتحفظنا من اعتداء الغير ، والصداقة تعزينا على احتمال التجارب والصبر عليها .

ومذهب أبيقور بهذا يخرج من مذهب اللذة إلى مذهب المنفعة وكان هذا المذهب تأسيساً لمذهب المنفعة الذى استمد منه بعض فلاسفة الانجليز بعد عشرين قرناً مذاهبهم فى الأخلاق وعرفوا بفلاسفة المنفعة .

ولقد انتشر المذهب الأبيقورى فى روما وذلك بفضل اتباع هذا المذهب، ولكن بعد الميلاد بثلاثة قرون تدهورت تعاليم الأبيقورية وأصبحت كلمة أبيقورى لا تطلق إلا على كل ما جن خليع مسترسل مع الشهوات [1].

(١) ص ٢١ فلسفة الأخلاق : الأستاذ أبو بكر ذكرى .

الأفلاطونية الحديثة

تنسب هذه المدرسة إلى أفلاطين الذى ولد فى مدينة (ليقوبوليس) وهى مدينة أسيوط الآن فى صعيد مصر عام ٢٠٥ ميلادية وبعد مدة من الزمن رحل إلى الأسكندرية حيث تتلمذ خلال عشر سنوات على أموتيوس ساكاس ثم رحل إلى روما وظل بها إلى أن فارق الحياة عام ٢٧٠م ولم يكتب شيئاً من كتبه إلا عنـــدما قارب سن الخمسين من عمره وكانت فلسفته مجرد شروح لنصوص أفلاطون أو أرسطو أو من المدرسة الرواقية وكانت حياته مظهراً للزهد والتقشف لتطهير الروح من أدران الجسد ولم يكن يتناول من الطعام إلا ما يقيم أوده كما حرم على نفسه تناول اللحوم .

فلسفته :

يرى أفلاطين أن العالم قد صدر عن (واحد) غير متعدد لا تدركه العقول ولا تصل إلى كنهـــه الأفــكار ، وهو أزلى أبدى قائم بنفسه فوق المادة والروح وفوق العالم الروحانى / خلق الخلق ولم يحل فيما خلق ، بل ظل قائماً بنفسه على قلعه ليس ذاتا وليس صفة ، بل هو الإرادة المطلقة لا يخرج شىء عن إرادته هو علة العلل ولا علة له وهو فى كل مكان ولا مكان له ولا يوصف إلا بالسلب فهو ليس مادة وليس حركة وليس سكوناً وليس هو فى زمان ولا مكان وليس صفة لأنه سابق لكل الصفات ، فلسنا نعلم عن طبيعة الله شيئاً إلا أنه يخالف كل شىء ويسمو على شىء[1] وهو كامل جواد فياض ومن هذا الفيض حدث (عقل) شبيه به وهذا العقل بدور

---

(١) ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ قصة الفلسفة اليونانية .

ويفيض فيحدث صورة فيه هي (النفس الكلية) وتفيض هـذه النفس فتصدر عنها نفوس الكواكب ونفوس البشر ونفوس الأجسام .

وأما المادة فهي تأتي في آخر مراتب الوجود وهي أصل الشرفية ، واتصال النفس الإنسانية بالجسم أصل نقائصها ومنبع شرورها ومن هنا وجب عليها أن تتخلص منه لتعود إلى الواحد الأول ووسيلتها في الخلاص من الجسم وأدرانه وسلبها في الصعود إلى الأول والاتصال به . يراها أفلاطين في الفلسفة كما يرى الغبطة العظمى في هذا الاتصال أنه حال انجذاب تفقد النفس فيه كل إحساس وشعور بذاتها وتستغرق في الواحد الأول . وهذه الحال ممكنة في الحياة العاجلة ولكن لا يذوقها إلا القليل ، ولا يذوقها هذا القليل إلا نادراً وحتى هو نفسه لم يصل إليها ولم يبلغها في حياته على طولها سوى أربع مرات فقط .

وكان ذلك في مراحل ثلاث :

أولا : روض النفس على قتل الشهوات والغريزة والرغبة .

ثانياً : تأمل ليتسامى إلى العالم الإلهي .

وأخيراً : توصل إلى المعرفة بالحدس حيث اختطف بالله واتحد به وذلك مثل اتحاد العاشق والمعشوق وأحس بسعادة لا توصف لأنها ليست سعادة أرضية .

إن الله عند أفلاطين ليس خالقاً ولا صانعاً لهذه الكائنات ولكنها تصدر عنه أو تفيض منه دون أن يعلمها أو يعني بها ، والعالم المادي صادر عن النفس العالمية وهي علة نظامه وحركاته وغاية الإنسان الفناء في الله وهو

فى هذا يخالف أفلاطون الذى كان يرى أن الإنسان يدرك الله بالعقل ويسعد بهذا الإدراك ومع هذا فإنه يحتفظ بشخصيته .

ولقد أثرت فلسفة أفلاطين فى المسيحية وها هو العميد أنج فى كتابه النفيس عن أفلاطين يبين ما تدين به المسيحية له فتقول :

إن الأفلاطونية جزء من البناء الحيوى اللاهوت المسيحى ، فلن تجد فلسفة أخرى — فى رأيى — تستطيع أن تقترن بذلك اللاهوت دون أن يحدث بينهما تعارض ويقول : أنه يستحيل استحالة مطلقة أن تفصل الأفلاطونية عن المسيحية دون أن تمزق المسيحية تمزيقاً ويذكر لنا أن القديس أوغسطين يتحدث عن فلسفة أفلاطون فيصفها بقوله أنها (أصفى وأشرق ما فى الفلسفة كلها) ويصف أفلاطين بقوله أنه رجل (عاش أفلاطون فى شخصه حياة ثانية)[1].

وأثرت كذلك فلسفة أفلوطين فى الفكر العربى حيث حاول كثير من الفلاسفة العرب التوفيق بين الدين وبين الفلسفة ولم يكن ذلك جائزاً أو ممكناً إلا عن طريق التوفيق وذلك كى يحصلوا على الدين والفلسفة معاً أو يوفقوا بين ما اعتقدوه وبين ما أعجبوا به وأحبوه ولكن ـ والحق يقال لم ينجحوا فى ذلك بل أنهم بفعلهم هذا قد تهجموا على الدين وأورثوا العقد والتقصير للفلسفة العربية[2].

وأثرت نظرية الفيض التى جاءت بها الأفلاطونية الحديثة على كثير من الفلاسفة المسلمين حيث اقتبس المفكرون من المسلمين هذه النظرية وتأثروا

(١) ص ٤١٨ تاريخ الفلسفة الغربية برتراند رسل .
(٢) أنظر ص ٥٩ الفلسفة العربية عبر التاريخ .

بها ولم يشذ عن قاعـــدة الأخذ بها إلا القلائل من الفلاسفة ، وخلاصة ما أخذوه من هذه النظرية هو عامل الفيض بين الله والعقل وما يتخلل علاقتهما من فيض آخر نتج عنه الكثير من العقول والكواكب والأفلاك وذلك لإبقاء الواسطة بين الله والإنسان .

ومما أعجب به العرب أيضاً هو نظرية الانخطاف والإشراق عن طريق الجذب والانجذاب بين الله الجاذب والإنسان المشتاق إلى معشوقه الله .

ولعل الناظر إلى فلسفة الفارابي يدرك مقدار الأثر الكبير لنظرية الفيض والتي عن طريقها يشرح لنا الفارابي كيف كان حدوث العالم عن الله .

ومن المعروف أن هذه الأفكار للأفلاطونية الحديثـــة اشتركت في بنائها : الأفلاطونية ، والأرسطوطاليسية والرواقية أو بعبارة أخرى أن أفلاطين مزج في مذهبه بين هذه المدارس الأغريقية الثلاث كما قدمنا[1] .

وكان من أسباب ظهور الأفلاطونية الحديثة انتشار مذهب الشك ذلكم أن العقل حين يئس بالفكر للوصول إلى الحق لجأ إلى السكر الروحي .

وكان هذا المذهب يميل — أول الأمر — إلى البحث مشوبا بالالهام ثم غرق بعد ذلك في الالهامات والاعتناء بالسحر وفي هذا نهاية الفلسفة اليونانية ، ذلكم أن الفلسفة إنما تقوم على العقل والمنطق فإذا اهتمت الأفلوطينية بالالهـام وما شابه ذلك فقد فقـــدت خاصيتها وهو

---

(١) ص ١٣٢ : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي دكتور محمد البهي دار الفكر طبعة خامسة.. بيروت سنة ١٩٧٢ .

اعتمادها على العقل وأصبحت فى وضع أقرب إلى الدين منـــه إلى الفلسفـة .

وفى سنة ٥٢٩ ميلادية أغلق الامبراطور جوستنيان مدارس ـ الفلسفة فى أثينا فنزح بعض رجالها إلى الشرق وبلغ فريق منهم بلاد فارس وبهذا اتجهت الفلسفة نحو الشرق والغرب فاصطنعتها عقول جديدة وكان لها أثر يذكر فى فلسفة القرون الوسطى حيث ترجمت كتب أرسطو إلى السريانية والعربية[1].

(١) ص٢٠٨ فى تاريخ الفلسفة اليونانية د. عوض الله حجازى وآخ

مكان الفلسفة فى الحضارة اليونانية

بعد التساؤل حول مراحل ظهور الفلسفة تاريخياً عند اليونان يأتى الدور بالطبيعة على التساؤل حول الوضع التاريخى الذى كان لها عندهم . فما هى الوظيفة التى أسندها اليونان إلى فلسفتهم فى الإطار المعقد للثقافة ولحياة الأفراد؟

يمكن أن يعترض المرء لأول وهلة أن كلا من التصورات الثلاثة الرئيسية الممكنة فى هذا الميدان قد وجد من يسانده .

فقد كان هناك بالطبع خصوم ألداء لكل فلسفة ، وأحياناً ما كانوا كثيرى العدد . ولكننا ، مع الأسف ، لا نعرفهم فى معظم الأحيان إلا بطريق غير مباشر . فنحن نراهم عند ما كان الفلاسفة يصفونهم ويردون عليهم (وكثيراً ما كان هؤلاء بالطبع خصوماً لإتجاه بعينه وليسوا خصوماً للفلسفة عموماً) . ونستطيع أن نتابع كيف أن المسيحيين ، فى العصور المتأخرة للحضارة اليونانية ، قد اتخذوا لأنفسهم عند الحاجة حجج معارضى الفلسفة هؤلاء . ومع ذلك فإننا لم نصل إلى تكوين صورة متسقة للعداء الذى قوبلت به الفلسفة فى الحضارة اليونانية .

ومن مصادر النكد الكبرى أننا لا علم لنا علماً كافياً بالإجراءات المختلفة التى اتخذتها الدولة فى أثينا أولا ثم فى روما[131] بعد ذلك ضد نشاط الفلاسفة. (١٢٧)

---

(١٣١) ذكرنا من قبل أن المؤلف يمتد ببحثه خلال الحضارة اليونانية وخلال الحضارة الرومانية أيضاً التى قبلت الفلسفة اليونانية وعاش أهل الثقافة فيها على فكرها . (١٢٧) هـ ... [illegible]

إننا نسمع عن سلسلة وافية من محاكمات الفلاسفة ، وأشهرها المحاكمات التى دبرت ضد أنكساجوراس وسقراط وأرسطو[132] .

ومع الأسف فإنه ليس هناك تسجيل للوقائع يعتمد عليه فى أية حالة من الحالات . حتا إننا نعرف نص الاتهام الذى وجه إلى سقراط ، ولكنه صاغ صياغة عامة حتى أننا لا نعرف ماهى الظروف المحددة التى يشير إليها[133] . وعلى أية حال فإن الواضح هو أن عدم احترام العبادات والشعائر التى تعترف بها الدولة قد لعب فى كل تلك المحاكمات دوراً رئيسيا . فعلى حين اتهم أنكساجوراس بأن نظرياته تشد من عضد الإلحاد ، فإنه يبدو أن الاتهام الذى وجه إلى سقراط وأرسطو كان أنهما ، بالعكس ، مارسا شعائر وعبادات شائنة ولا تسمح بها الدولة .

ومن المؤسف أيضا أننا لا نعرف إلا لماماً الهجمات العنيفة التى وجهها إلى الفلاسفة خطباء أثينا فى عصرها الذهبى[134] . ولكن هناك خطبة ألقاها فى عام ٣٠٦ ق.م. الخطيب ديموخاريس، وهو من أقرباء الخطيب الأشهر ديموسثينيز،

---

(١٣٢) حول أنكساجوراس ، أنظر هامش ٥٤ فيما سبق ، وحول سقراط أنظر « الدفاع » لأفلاطون ، أما أرسطو فقد حاول أهل أثينا إقامة الادعاء عليه بعد وفاة الإسكندر الأكبر الذى كان أرسطو وثيق الصلة به ، ولكن أرسطو ترك أثينا مفوتاً عليهم فرصة ذلك وكان ذلك قبل وفاته بعام واحد

(١٣٣) للمؤلف كتاب حول سقراط وصل فيه تشككه التاريخى مبلغا كبيرا

(١٣٤) وهو الذى يعتبره المؤلف فيما يبدو موازيا لعصر سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ ق م.) وأفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٧ ق م.) وأرسطو (٣٨٤-٣١٢ ق.م.)

ضد الفلاسفة المؤثرين فى ذلك الوقت ، وتسمح بعض إشارات قليلة فيها بفهم أن أتباع أفلاطون وكذلك أرسطو وأتباعه كانوا يعتبرون من أعدى أعداء الديمقراطية . إلى جانب هذا هناك أيضاً هذه الكلمة المأثورة المعبرة : « لاأنت بمستطيع عمل سهم من أعشاب المطارين ، ولا أنت بقادر على إخراج رجال صالحين من تعاليم الفلسفة » . وما هذا إلا اتهام كان الشاعر الكوميدى أرستوفانيز ، مائة عام قبل ذلك ، قد صاغه على النحو التالى : إن الفلسفة لاتعلم الناس إلا أن يكونوا ساهمين ممقوعى الوجوه ، جوعى يجادلون فى كل شىء ، وضعافاً مخنثين[١٣٥] . وقد اضطر الخطيب الرومانى شيشيرون[١٣٦] ، فى العصر الرومانى ، إلى أن يدفع عن نفسه نفس هذا الاتهام ، مما يدل على أن المناقشات الفلسفية كانت لاتتوافق مع مكانة مواطن رومانى من طبقة الحكام .

وبصفة عامة فإنه يمكن أن نعتبر أن الاتهامات الموجهة إلى الفلسفة فى الحضارة اليونانية والرومانية كانت تنقسم فى مجموعها إلى قسمين : هناك أولا اعتبار الفلسفة نشاطاً تنويريا ذا خطورة حيث أنه يحطم عمد التقوى الدينية والآداب الحسنة . وهناك بعد ذلك أنها كانت موضع الاحتقار ، فما هى إلا مهنة معلم مدرسة ولا تليق بالمواطن الذى يعى واجباته ولا برجل المجتمع .

ولكن وجد إلى جانب هذا موقف آخر ، هو ذلك الذى كان يرغب فى أن يتلقى المرء الفلسفة باعتبارها عنصراً من عناصر الثقافة العامة[١٣٧] . فقد

---

(١٣٥) أنظر مسرحية « السحب » لارستوفانيز

(١٣٦) هو أشهر خطباء الرومان ، رجل قلم ورجل حكم وسياسة (١٠٦-٤٢ ق . م .)

(١٣٧) حول هذا وحول ما سبق تلقى محاورة « جورجياس » لأفلاطون (٤٨١ ب وما بعدها) بعض الضوء

كان من المفيد أن ينال الشاب شيئا من الفلسفة إلى جانب دراسة أمور أخرى، وكان هذا واجبا ثقافيا وتوسيعا للافق العقلي وتدعيما للمبادىء الخلقية . وبعد ذلك فقد كان من الممكن للمرء أن ينال منها مهارة لاتقدر بثمن في مناقشة المشكلات المفصلة .

هذا ا... دأ يصبح مسيطراً بوضوح منذ عهد أ. سطو نفسه[١٣٨]. فقد كان القسم الا... س المستمعين إلى المحاضرات الفلسفية ومناقشات الفلاسفة، منذ ذلك الوقت ، من المستمعين الآتين من خارج حلقات المدارس الفلسفية والذين كانوا يرغبون في توسيع تكوينهم الثقافي ، ولكن بدون أن يصيروا مع ذلك « متخصصين » . وكان هؤلاء يذهبون لسماع محاضرات فلاسفة جد مختلفين ، وكان الأمر كذلك في عصر شيشرون إلى درجة أنه يمكن التحدث بالفعل من وجود أربع جامعات كانت مستقرة في أثينا (اتباع المدرسة الا كاديمية، واتباع المدرسة المشائية والرواقيون والابيقوريون) ، وكان الشباب يذهب إليها التلمذة لمدة سنوات . وقد أصبح الفلاسفة أنفسهم يأخذون في اعتبارهم هذه الاوضاع . ولكنا يجب أن نلاحظ أن « الشباب » في الحلقة التي كانت تقوم حول سقراط نفسه كان يعتبر ، في نظر سقراط ، هو الجمهور الحقيقي للتعليم الفلسفي . فقد كانوا هم الأولى بأن يدخلوا دائرة التأمل الفلسفي ، وهذا يفترض ضمنا أن الهدف لم يكن جعلهم يصيرون فلاسفة بالمعنى الكامل الدقيق ، بل اعطاؤهم أسسا فلسفية لنشاطهم التالي على متنوع صوره .

بل إن الفلاسفة قد ألفوا كتبا وملخصات وتعاليم موجزة خصيصا ، من

---

(١٣٨) وتراه أيضاً في مدرسة إيزوقراط الخطيب وكاتب الخطب ومعلم الخطابة (٤٣٦ - ٣٣٨ ق . م .)

أجل أن يعرف هؤلاء الذين يفتقدون إلى الوقت أو إلى الفرصة[١٣٩] ، من أجل أن يعرفوا الأفكار الرئيسية لنظام فلسفي ما . وهكذا فبجانب الفلسفة الموجهة إلى أتباع الفيلسوف هناك الفلسفة الموجهة إلى المثقفين ، وهي تفرقة نراها عند أرسطو نفسه[١٤٠] . والذي يحتاج إليه الرجل المثقف هو معرفة بعض النظريات الرئيسية ، التي بها يوجه حياته ، وبعض القواعد المنهجية التي تمكنه من التمييز بين الصحيح والفاسد من القضايا ، على الأقل بصفة عامة .

ومع ذلك فإن الفلاسفة (منذ عهد سقراط) ، ورغم تنازلات من هذا القبيل ، لم يحاولوا إخفاء إدعائهم أن الفلسفة لها أن تشكل حياة كل إنسان بأسرها ، فالوجود الجدير بالإنسان ، إذا أخذنا الأمور على نحو دقيق ، ليس ممكناً بغير الفلسفة . وعلى الرجل والمرأة ، وعلى الشاب والشيخ ، عليهم جميعاً الاشتغال بالفلسفة ، وليس هناك من سن مبكرة كثيراً أو متأخرة كثيراً للبدء في هذا . ويشير أحد محاوري سقراط مرة بشكل واضح صريح إلى أنه إذا ما كان ماينادى به سقراط صحيحاً فإنه سيصبح على المرء أن يغير من أسلوب حياته من الجذور[١٤١] . وتصور هذا مجموعة من الحكايات التي تبين كيف أن رجل المجتمع عندما يتصل مع الفلسفة فإنه يتغير تماماً ، وهكذا الحال مع ألقبيادس ومع بوليمون الأفلاطوني[١٤٢] ، ومع كثيرين غيرهما .

---

(١٣٩) مثلا بسبب بعدهم عن المدينة التي يقيم فيها الفيلسوف

(١٤٠) كان لأرسطو بالفعل نوعان من المحاضرات : نوع موجه إلى خاصة الاتباع ونوع موجه إلى الجمهور المثقف

(١٤١) وهو كاليكليز في محاورة «جورجياس» (٤٨١ ب - حـ)

(١٤٢) كلاهما كان فاسداً في شبابه . حول ألقبيادس، أنظر هامش ٨٥ فيما سبق ومحاورة « المأدبة» لأفلاطون (٢١٥ ا وما بعدها) ، أما بوليمون فقد هداه =

وقد تجلى اتجاه الفلسفة نحو العمومية بشكل آخر ، ذلك هو طريق السلوك السلوك العلمى . فكان سقراط يتابع أحاديثه فى الساحات والطرقات ، حيث أن ما كان يقول كان يخص كل فرد[143] . كذلك كان هذا الإعلان الذى لا تحده حدود مما سارت عليه أيضاً معظم الاتجاهات الفلسفية فى العصر الهلينستى ، ولو أنه لا يمكن لنا أن ننكر أنه أصبح مع الزمن مجرد تصور خيالى وحسب . ولكنه يمكن أن يوجد على صورته البدائية مع واحد مثل أرستون ، وهو من الفلاسفة الرواقيين القدماء[144] ، والذى أجاب حين لامه قوم بأنه يتناقش بلا تمييز مع كل من يقابل : « إنى أود ، على العكس من ذلك ، أن يكون الحيوان الأعجم ذاته قادراً على إدراك الوصايا الفلسفية » .

إلا أن هناك اعتراضا قويا . فإذا كانت الفلسفة لازمة بالفعل لقيادة حياة جديرة بالإنسان ، فإنه يتوجب أن يكون من الممكن للبشر فى كل مكان ومنذ أقدم العصور ، الوصول إلى مقام الفلسفة . ولكن هذا لا يبدو أنه الواقع . فالتاريخ يخبرنا أن الفلسفة لا هى بالكسب القديم قدما واضحا للإنسان ولا هى بالمنتشرة انتشاراً واسعا . فهى لم تظهر إلا عند اليونان ، وحتى عندهم فإنها ليست لدى سائر مجموعاتهم السكانية ، فطاليس هو الذى أدخلها عند الأيونيين وفيثاغورس هو الذى أدخلها عند الدوريين الذين استقروا فى جنوب إيطاليا .

= إكسينوقراطيس ، رئيس الأكاديمية بعد أفلاطون ، إلى طريق الفلسفة حتى أصبح رئيساً للمدرسة هو نفسه بعد ذلك !

(١٤٣) أنظر محاورة « الدفاع » لأفلاطون فى جملها وخاصة ٢٩ د - ٣٠ ب ، ٣١ ب - جـ ، ٣٦ جـ ، وكان حديث سقراط عن « الفضيلة » وهى تهم كل فرد .

(١٤٤) وكان من تلامذة زينون مؤسس المدرسة

ولم يستهن الفلاسفة بهذا الاعتراض ، وقد حاولوا فى الرد عليه أن يتخذوا وجهتين مختلفتين .

فى الوجهة الأولى اعترف الفلاسفة على الفور أن الفلسفة مخلوق حديث جداً ورقيق التكوين بين مخلوقات العقل البشرى . والعلة فى هذا ليست صعبة الإدراك : فالأكمل فى سلسلة التطور العضوى يظهر إلا فى النهاية ؛ والفلسفة هى أسمى وأدق ما يمكن للانسان إنتاجه ، لهذا فإن نجاحها ما كان يمكن أن يتم إلا فى نهاية تطور الإنسانية . وتصوّر هذه الفكرة على نحو جيل فى تقسيم ربما يعود إلى أرسطو ويتابع تطور معانى مفهوم « الحكمة »[145] . ففى عصور الإنسان الاولى كانت الحكمة هى اكتشاف الفنون الضرورية لإقامة حياة الإنسان ، كالفلاحة وطحن الدقيق . وفى مرحلة ثانية كان الحكماء الذين يدخلون الفرحة والمتعة على حيــــاة الإنسان ، كالرسامين والموسيقيين وغيرهم . وفى مرحلة ثالثة استحق اسم الحكماء هؤلاء الذين كانوا يقومون بتنظيم الجماعات على شكل دول . وفى مرحلة رابعة كانت الحكمة هى البحث المفكر فى العالم الظاهر ، وكانت فى المرحلة الخامسة أخيراً (وهى المرحلة التى وصل إليها فيثاغورس[146]) الاتجاه نحو الأمور الخفية ونحو معرفة الالوهية . وبهذا فإن علم الإلهيات الفلسفى هو تاج التطور الثقافى فى

(١٤٥) أرسطو ، « فى الفلسفة » ، الشذرة ٨ فى نشرة

(١٤٦) رغم أن فيثاغورس كان أيونى الاصل إلا اتجاهه الجديد الذى نشره فى جنوب إيطاليا وجه الفلسفة نحو تصورات أكثر تجريداً من مفاهيم العناصر الطبيعية (كالماء والهواء ...) ، ألا وهى التصورات الرياضية ، لهذا فإنه يعتبر بالفعل مرحلة جديدة فى تطور الفكر اليونانى ، ويقال إن بارمنيدس صاحب فلسفة الوجود كان كل اتصال بالفيثاغوريين فى شبابه

التاريخ والغاية التى تدرك بعد طول الإعداد والتهيئة (١٤٦مكرر).

ولا يقل أهمية عن هذا الاتجاه ما تقول به النظرية المضادة . وهى تنفى صحة الاعتراض المذكور وتسعى من أجل البرهنة على أن الفلسفة كانت قائمة فى الواقع منذ البداية فى كل مكان ودواما ، فهذا فى رأيها هو الطريق الوحيد لإثبات لزوم الفلسفة . ومن الطبيعى ألا يكون البرهان على هذا هينا ، وهو يقع فى ألوان من التعديات لا تزيد فى قسم منها عن أن تكون فى نظرنا مجرد مخاطرات .

وهكذا أدى البحث فى ظهور الفلسفة فى التاريخ لأول مرة إلى البحث فى أمر فلسفة أصلية للإنسانية . ومما يلفت النظر أن نفس أرسطو الذى وجدناه منذ لحظات يقف فى المعسكر الآخر ، يستطلع أيضا فى هذا الاتجاه . فهو يشير إلى الأمثال الشعبية ويرى أنها ما هى إلا بقايا فلسفة أولى قديمة كل القدم ، وأنها بقيت رغم كل المواصف التى مرت على الإنسانية بسبب ندرتها ودقتها وحكمتها. وحاول البعض الآخر أن يلجأ إلى أصول الكلمات وأن يبرهن من خلال معانيها على أن خالقى اللغة منذ بداية التاريخ كانوا من الفلاسفة . (١٤٧) هذا الاتجاه فى البرهنة ، والذى كان من خصائص اليونان ، استخدمه أيضا الرومان أحيانا ، وكانوا بهذا يأملون أن يثبتوا أنهم لم يتعلموا الفلسفة على أيدى اليونان لأول مرة ، بل أنهم ومنذ بداية تاريخهم كانوا حاصلين عليها ولو كان ذلك على شكل جزئى . بل إن الأعجب من ذلك حقيقة هو أن اليونان أنفسهم

(١٤٦مكرر) كل ما سبق عرض لرأى أرسطو فى « فى الفلسفة »
(١٤٧) أنظر محاورة « أقراطيلوس » لأفلاطون

حاولوا أن يضموا بعض الشخصيات الأسطورية التي تنتمي إلى تاريخهم البدائي في عداد أسلاف الفلسفة فقد أعتقد تلميذ أرسطو ثاوفراسطس (١٤٨) أن أسطورة بروميثيوس (١٤٩) وسرقته النار إنما تعني أن بروميثيوس هو أول من أشتغل بالفلسفة بين البشر . ورأى آخرون أن وراء حكاية تحمل أطلس لقبة السماء فوق كتفيه إنما تختفي واقعة بسيطة هي أن أطلس كان فيلسوفا وكان فلكيا . وكذلك كان أيولوس فلكيا وعارفا بأسرار الظواهر الجوية ، ولهذا جعلت منه الأساطير ملكا على الرياح . وهكذا كان الحال أيضا مع طانطالوس ومع بليفرون ومع فايثون وغيرهم (١٥٠) . هذه التصورات ، التي قد تبدو لنا ساذجة كل السذاجة ، ليست من ركام العصور المتأخرة ، بل هي تعود في قسم منها إلى عصر أفلاطون ، وهي قد بدت في أعين اليونان ممكنة القبول لأنها تشبع حاجتين في نفس الوقت : فهي ترد الخيالات الأسطورية الجنحة إلى تصورات تاريخية يمكن الاعتقاد فيها ، وهي تكسو الفلسفة بماض تؤهلها له مكانتها .

أما عن عمومية الفلسفة في كل مكان ، فإنه يجب في هذ الخصوص أن

---

(١٤٨) هو أهم تلامذة أرسطو ، استمر على اتجاه استاذه نحو الاهتمام بالعلوم ، ويعتبر أول مؤرخ للفلسفة بالمعنى الدقيق .

(١٤٩) شخصية أسطورية شهيرة سرقت النار من الآلهة وأعطتها للبشر فخرجت من معرفتها كل الفنون والصنائع (

(١٥٠) كل هذه شخصيات أسطورية . وفيما يخص « أطلس » (أي «الحامل» أو « المتحمل ») فكان ولداً لأحد التيتان وأخا لبروميثيوس ، ويقال إنه كان يحمل أعمدة السماء على كتفيه (أو على رأسه ويديه)

نلقى نظرة على الشعوب الأخرى غير اليونانية . ويحتل المصريون في هذا الصدد مكانا ممتازا متميزا حيث أن حضارتهم ، وهى الحضارة المتفردة فى تميزها عن الحضارات الأخرى والتى تمثل أعلى درجات الطموح ، هذ الحضارة كانت دوما موضع إعجاب اليونان. وكانوا يعتقدون بغير صعوبة أن طبقة الكهنة المصريين قد توفرت منذ أزمنة لاتعيها الذاكرة على دراسة الفلسفة . ويُذكر صراحة عن فلاسفة من أشهر فلاسفة اليونان أنهم زاروا مصر، ومنهم طاليس وفيثاغورس وديمقريطس وأفلاطون وكثيرون غيرهم . وإلى جانب المصريين كان يذكر الفرس أحيانا وكذلك الكلدانيون[151] ، وكان علم الإلهيات عند الفرس وعلم الفلك عند الكلدانيين يحتل فى نظر البعض مكان الفلسفة . وقد اعتبر الفيلسوف الرواقى بوزايدونيوس أن للفلسفة مؤسسين ثلاثة وزعمهم على القارات الثلاثة المعروفة : فينيقى اسمه موخس من أسيا ، وتراقى[152] اسمه زامولكيس من أوربا وأطلس الذى تحدثنا عنه من قبل من أفريقيا . [153]

وتحتل الهند مكانة خاصة عظيمة فى هذا المجال منذ عهد الاسكندر الأكبر[154]، وذلك بحكمائها العراة ، وهناك روايات عن أحاديث الاسكندر مع أحد هؤلاء الحكماء وكيف كان لإقدامه الجسور على اشعال النار فى جسده بارادته أكبر الوقع فى نفس الاسكندر . وحينما يذكر

---

(١٥١) اسم أطلق فى عصور متأخرة على سكان بابل

(١٥٢) ديوجينيز اللايرسى ، « حياة عظماء الفلاسفة ... » ، الكتاب الأول ، الفقرة الأولى .

(١٥٣) فينيقيا هى المنطقة الساحلية الواقعه شرق البحر المتوسط (فى سوريا ولبنان حاليا) ، أما تراقيا فهى منطقة فى شمال اليونان .

(١٥٤) الذى وصلت فتوحاته كما هو معروف حتى الهند

فى هذا المضمار أن الفليسوف الرواقى زينون [١٥٥] قال إنه يفضل أن يرى هنديا يحرق نفسه عن أن يحفظ عن ظهر قلب كل تلك البراهين المؤدية إلى أن آلام الجسد لا أهمية لها ، فإن فى هذا القول تقوم القضية القائلة بأن فلسفة الشعوب الأجنبية (وفيها تدخل إلى حد ما فلسفة اليونان فى عصور تاريخهم العتيقة) تتميز بأنها ليست فلسفة مدرسية مجردة ، بل هى فلسفة عملية . [١٥٦]

أخيراً نذكر السلتيين [١٥٧] الذين يقال إن حكماءهم « الدرويديين » اشتغلوا بالفلسفة . وبالطبع فإن علماء أوصاف الشعوب (الاثنولوجيا) يعملكهم الشك حول ما إذا كانت هناك فلسفة سلتية حقيقية أو أن الأمر لا يعدو أن يكون تأثراً بالفلسفة الفيثاغورية التى كانت قائمة فى جنوب إيطاليا .

وكل هذه الإلحاقات [١٥٨] تبدولنا اليوم ساذجة إلى حد مدهش ، ولكن أهم ما فيها ليس هو التفسير المتسرع بغير فكر لهذه الواقعة أو تلك من وقائع خصائص الشعوب ، إنما هو الفكرة الجوهرية بأن الفلسفة إذا ما كانت لازمة فعلا للإنسان فلابد أن يكون ممكنا إثبات وجودها عند كل شعوب الأرض أينما كانت .

وقد قام بعضهم أحيانا ، من غير شك ، لينصروا القضية المضادة ، ويبدو

---

(١٥٥) وهو كما أشير مؤسس المدرسة الرواقية (٣٣٦ — ٢٦٤ ق . م .)

(١٥٧) من الشعوب الأوربية القديمة ، إستقروا على الأخص فى بلاد الغال (فرنسا)

(١٥٨) أى إلحاق تلك الشعوب بتاريخ الفلسفة

أن إبيقور قصر الموهبة الفلسفية صراحة على الشعب اليوناني وحده . ومع ذلك فإن هذا الموقف موقف استثنائي .

وهناك مسألة كنا قد أشرنا إليها ونحتاج الآن إلى الرجوع إليها مرة أخرى. فالقول بأن الفلسفة تناسب الصغار والكبار، أمر يكاد يكون واضحاً بذاته وقد تمثلت هذه الفكرة في أعين العصور المتأخرة في شخص سقراط الذي كان يتحاور حتى مع الصبية [159] والذي كان يقول عن نفسه إنه بقي دائماً متعلماً حتى في شيخوخته [160]. ولكن الأمر يحيطه غموض أكبر حينما يتصل بتوجه الفلسفة إلى النساء والعبيد . وبالطبع فليست هناك مشكلة من حيث المبدأ، وليس هناك من ينازع جدياً في أن للنساء نفوساً مماثلة لنفوس الرجال وأن الفرق بين النساء والعبيد ليس فرقاً في الطبيعة [161] بل يقوم في الأغلب على ظروف تاريخية معينة . ولكن السيدات اللائي اشتغلن بالفلسفة ، على غرار أسبازيا أو مقابلتها ديوتيما [162] ، أو في عصر يتأخر عنهما هيبارخيا ، امرأة

(١٥٩) أنظر «الدفاع» لأفلاطون (٢٣ جـ وما بعدها ، ٣٠ أ – ب)، وله أيضا محاورة «خارميديس» (١٥٣ د ومابعدها)،ومحاورة «ليزيس»

(١٦٠) أنظر محاورة أفلاطون «ثياتيتوس» (١٤٥ د)، وكذلك محاورة «أوطيفرون» (٥ أ، جـ، ١٥ جـ – ١٦ أ)

(١٦١) وهو ماقبله أفلاطون ودعا على أساسه إلى مساواه المرأة بالرجل «الجمهورية» ٤٥٤ د – هـ ( ) .

(١٦٢) أسبازيا صاحبة بيريكليز، وكانت مشهورة بجمالها وعقلها، أما ديوتيما فهي كاهنة تعلم سقراط فلسفة الحب والجمال في محاورة «المأدبة» لأفلاطون والأغلب أنها شخصية من خلق أفلاطون

الفيلسوف الكلبي إقراطيس ، هؤلاء السيدات لسن إلا ظاهرات استثنائية تماما . كذلك فإن تاريخ الفلسفة قد سجل وجود إمرأتين بين تلامذه أفلاطون على أنه استثناء ، وكذلك الحال مع وجود عبد بين تلامذة ثاوفراسطس ومع قبول إبيقور لنساء وعبيد فى حلقة أصدقائه واستقباله لهم استقبالا حسنا .

وأخيراً نلاحظ أن الفلسفة منذ عهد ما قبل سقراط كانت قد دخلت فى علاقات خاصة مع تلك الفئتين اللتين تحتلان طرفى السلم الاجتماعى ، ألا وهما الأمراء الحكام[١٦٣] والمتسولون . فالفيلسوف يطلب منه أن يكون ناصحا للحاكم واهبا له التوجيه والتحذير ، إلا أنه فى نفس الوقت هو الوحيد الذى لاينثنى أمام قوة الحاكم الناشمة والذى لاتعمى عينيه تلك القوة . ويخبرنا القدماء عن عدد عديد من الفلاسفة الذين رفضوا فى كبرياء دعوة الحكام (ومنهم هيرا قليطس الذى رفض الدعوة التى وجهها إليه ملك الفرس داريوس ليحضر إلى بلاطه) ، وكذلك عن المنازعات الفكرية التى دارت بين الحكام والفلاسفة . ولكن ، من الناحية الأخرى ، فإن الفيلسوف ، لسبب أنه سيد أمره ولايعتمد على أحد ولا على شىء ، أحيانا ما وجد نفسه يقترب اقترابا حتميا من طائفة المتشردين والمتسولين . أو فلننظر إلى الطرف الآخر : فالحاكم ، رغم كل الإمكانات المتوفرة لديه ، هو الذى يظهر أبلها ساذجا ، بينما المواطن الصغير البسيط ، على العكس منه ، هو الذى يمكنه أن يصعد مدارج الفلسفة فى سهولة ويسر على نحو لايقارن . وهكذا فإن الفيلسوف الرواقى زينون لاحظ فى مكر ، بشأن رسالة فلسفية وجهها أوسطو إلى

---

(١٦٣) المقصود الحكام

أحد ملوك قبرص ، أن صانع الأحذية فى أى ركن من أركان شوارع أثينا لديه يقينا من الموهبة الفلسفية أكثر بكثير مما لدى السيد عالى المقام .
ولكن حدث أيضا أحيانا أن أثار بعضهم هذا السؤال الحاذق : هل يجب على المرء إذن أن يصبح عاملا يدويا أولا حتى يصير جديراً بمحادثة الفلاسفة ؟

الفصل الخامس

التأثير الفعلي للفلسفة على الحضارة اليونانية والرومانية

بعد التساؤل حول ما كانت الفلسفة تطالب به لنفسها من حيث المبدأ ، يأتي منطقيا التساؤل حول أي الحدود وصلت إليها الفلسفة تاريخيا في تأثيرها على تشكيل الفكر والسلوك في الحضارة اليونانية . وللإجابة عن هذا التساؤل نجد أمامنا في المحل الأول مجموعتين من المصادر : أعمال الشعراء ومؤلفات المؤرخين . والمجموعة الثانية على الخصوص ذات أهمية كبيرة ، سواء لأنها تسجل تأثير الفلسفة على السياسة وعلى الثقافة ، أو لأنها قد تكون خاضعة هي ذاتها لنظرات فلسفية . أما في مجموعة الشعر فإننا نذكر قبل كل شيء الكوميديا الأتيكية [١٦٤] التي أوصلت إلينا معلومات ثمينة حول ما كان المواطن الأثيني في القرنين الخامس والرابع ق . م . يظنه من أمر الفلسفة وحول مدى اهتمامه بها . أما المسرحية التراجيدية فإن استخراج العناصر الفلسفية التي احتوتها وتقييمها أمر أصعب من ذلك بكثير . ومما هو مثير للإهتمام أنهم قلة هؤلاء الشعراء الذين يمكن أن نسميهم بالشعراء المتفلسفة بالمعنى الدقيق . ومن أعظم هؤلاء شاعر فريد في طبقته ، وذلك هو الشاعر

---

(١٦٤) نسبة إلى أتيكا ، المنطقة المحيطة بأثينا ، وأهم كتاب الكوميديا الأتيكية هو أرستوفانيز (المترجم) .

ويتأثر بالجيد منها ثم يزيد عليها بادرته الفردية فيشكل النموذج الذى وصلت به الحضارة اليونانية إلى مستوى الريادة الذى أثبته لها التاريخ .

ذلك أن مجتمع اليونان كان مركزاً تجارياً راقياً تلتقى فيه الحضارات من كل حدب وصوب مما كان يساعد العقـــل اليونانى على استقراء هذه الحضارات وإنجازاتها كى يعيد البناء بأصالة أعمق وبشمولية أكثر تركيزاً وليعيد ــ للأمم ما اقتبسه من هذه الحضارات ويجزل لها العطاء يقول هيجل : إن الأصول الأولى للحضـــارة الإغريقية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب ، وكان الإغريق يشعرون تجاههم بشىء من الامتنان ، فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسيج واستئناس الخيل ، بل إن كثيرا من مدنهم الهامة قد أسسها أجانب ، فأثينا وهى لفظ غير يونانى قد أسسها مصرى يدعى سيكروبس وطيبة أسسها كادموس وهو فينيق [1].

أجل لقد ارتكز الفكر الإغريق على ما جاءت به العقول الإنسانية ثم قدمها للعالم كله فى صورة ناضجة تماماً كالنحلة تجمع غذاءها من كل زهرة أو حديقة ثم تقدم هذا كله لبنى البشر غذاء وشفاء يقول برتراندراسل فى كل التاريخ ليس هناك شىء أكثر بإثارة الدهشة بل لم يكن فى الحسبان كالظهور المفاجىء للحضارة فى بلاد اليونان إن كثيراً من مقومات الحضارة كان قائماً منذ آلاف السنين فى مصر أو بلاد ما بين النهرين ثم انتشر إلى البلاد المجاورة ، ولكن عناصر ظلت تنقص هذه الحضارات حتى زودها بها الإغريق [2].

---

(١) أنظر ص ١٧ ـ ١٨ من الحضارة الإغريقية للدكتور أحمد صبحى.
(٢) ص ١٥ من المرجع السابق .

ويقول الشاعر شيلى :

إن الفترة الواقعة بين مولد بيركليس وموت أرسطو تعـــد بلاشك أهم فترة فى تاريخ العالم كله سواء نظرنا إليها من حيث هى فى ذاتها أم من حيث أثرها فى مصائر الإنسان المتحضر من بعدها[1].

ولقد اعترفت أغلب الأمم التى ازدهرت بعد اليونان بفضل الفكر الإغريقى وتذكره كالمهد الأول لتحويل الفكر العالمى إلى حجر زاوية فى كل صرح حضارى قام بعد الإزدهار اليونانى.

وقد أورث فلاسفة اليونان الإنسانية خلود فكرهم الذى علم البشرية فيما بعد وزرع فى عقلها ما كان فى الفكر اليونانى من نضج وإيجـــاز ، والفلاسفة اليونان هم الذين شرعوا للعقل البشرى العام ما لا يزال يمارسه حتى يومنا هذا[2] وفلسفتهم كانت أبعد أثرا فى تراث الآنسانية ، إنها فلسفة الشرق الأدنى منذ فتوحات الاسكندر وهى فلسفة الغرب منذ استولى الرومانى على بلاد اليونان إذ كان الرومان السيادة السياسية بينما كان لليونان السيادة الفكرية .

وحينما قامت المسيحية اصطنعت هذه الفلسفة فالفكر الأوربى فى العصر الوسيط إنما تشكله على حد تعبير توينبى عقيدة العبرانيين وفكر اليونانيين .

كذلك تأثر بها فلاسفة الإسلام إذا كان شغلهم الشاغل التوفيق بين عقيدة الإسلام وفلسفة اليونان .

وإذا كان مفكروا الغرب المحدثون يرجعون أصول حضارتهم الحديثة

---

(١) ول ديورانت قصة الحضارة مجلد ٢ ج ٢ ص ٦ ترجمة محمد بدران .
(٢) ص ١٤ الفلسفة العربية عبر التاريخ .

إلى اليونان ، فإن الفلسفة الحديثة مهما تباينت مذاهبها وتنوعت إتجاهاتها واختلفت آراؤها فإنها يمكن أن نلتمس لها بذوراً أو جذور لدى فلاسفة اليونان ، بل إن هناك من يذهب إلى أن شتى تيارات الفكر الحديث إنما تتأرجح بين قطبي الفلسفة اليونانية أفلاطون وأرسطو تميل تارة إلى هذا وطورا إلى ذلك أو تقف بين بين .

من أجل هذا كله كان حديث القلم وقفا على الفلسفة اليونانية ولأنها المدخل الطبيعي لكل من يريد أن يفهم الفلسفة العربية وإلى لقاء قريب إن شاء الله ليواصل القلم مسيرته فى مجال الفكر الإنسانى خلال العصر الوسيط .

هذا وبالله التوفيق.

د/ محمد رشاد عبدالعزيز

المراجع

الكتاب	المؤلف
١ — قصة الحضارة	ول بورانت — ترجمة محمد بدون. الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ١٩٥٥
٢ — تاريخ الحضارة الهيلينية	توينبي ترجمة رمزى جرجس
٣ — تاريخ العلم	جورج سارتون ترجمة نخبة من الأساتذة
٤ — الفلسفة الرواقية	د . عثمان أمين طبعه ١٩٤٥
٥ — عيون الأنباء	لابن أبى أصيبعة
٦ — تهذيب الأخلاق	لابن مسكويه طبع صبيح القاهرة ١٩٥٩
٧ — الملل والنحل	للشهرستانى تخريج د . بدران طبعة ثانية
٨ — تاريخ الفلسفة العربية	حنا الخورى وخليل الجر بيروت ١٩٦٦
٩ — تاريخ الفلسفة العربية	د . جميل صليبا — دار الكتاب اللبنانى — بيروت
١٠ — تاريخ الفلسفة الغربية	برتراندرسل — ترجمة ذكى نجيب وأحمد أمين
١١ — فى تاريخ الفلسفة اليونانية	الدكتوران عوض الله حجازى ومحمد نعيم
١٢ — قصة الفلسفة اليونانية	أحمد أمين وذكى نجيب
١٣ — تاريخ الفلسفة اليونانية	يوسف كرم
١٤ — الحضارة الإغريقية	د. أحمد صبحى مؤسسة الثقافة الجامعية
١٥ — دراسات فى حضارة اليونان والرومان	د . لطفى عبد الوهاب يحى
١٦ — مبادىء الفلسفة	دابورت ترجمة أحمد أمين
١٧ — المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية	أولف جيجت — ترجمة د . عزت القرنى

الكتاب	المؤلف
١٨ – أرسطو عند العرب	عبدالرحمن بدوى طبعة ثانية الكويت
١٩ – الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب	الدكتور محمد بيصار
٢٠ – مشكلة الفلسفة	د. زكريا إبراهيم
٢١ – ربيع الفكر اليونانى	د. عبد الرحمن بدوى
٢٢ – مدخل إلى الفلسفة	د. حسن عبد الحميد
٢٣ – الفلسفة العربية عبر التاريخ	رمزى نجار – طبعة ثانية – بيروت
٢٤ – محاورات أفلاطون	ترجمة زكى نجيب محفوظ
٢٥ – تاريخ الفكر الفلسفى «أرسطو»	د. محمد على أبوريان
٢٦ – أفلاطون	د. أحمد فؤاد الأهوانى دار المعارف بمصر طبعة ثانية
٢٧ – الفلسفة تاريخها ومشكلاتها	هنترميد – ترجمة د. فؤاد زكريا طبعة ثانية ١٩٧٥ دار نهضة مصر – القاهرة
٢٨ – التفكير الفلسفى فى الإسلام	د. عبد الحليم محمود
٢٩ – فلسفة الإطلاق	أبو بكر ذكرى
٣٠ – التفكير الفلسفى الإسلامى	د. سليمان دنيـــا
٣١ – الجانب الإلهى من التفكير الفلسفى	د. محمد البهى – دار الفكر طبعة خامسة بيروت ١٩٧٢
٣٢ – معانى الفلسفة	د. أحمد فؤاد الأهوانى